2026

محاكمة مكيافيلي

رواية للكاتب

سمير عالِم

الطبعة الأولى

محاكمة مكيافيلي

محاكمة مكيافيلي

رواية للكاتب

سمير عالِم

الطبعة الأولى

٢٠٢٦

الطبعة الأولى: ٢٠٢٦

ISBN : ٩٧٨٩١٨٠٢٦٠٤١١

الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية:

٢٠٢٦-٠٥-١١-٢١- ١٦

الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم السويد، فاستراء جوتالند
البريد الإلكتروني: arabiskabok@hotmail.com

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع الاتحاد العالمي للمثقفين العرب.

© جميع الحقوق محفوظة لدى دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. المؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-
Stockholm

الإهداء

إلى السنجاب الذي خبأ حبات البندق في التراب.. سيمحو آثار أقدامك المطر.. وتخلّد ذكراك شجرة.

المقدمة

فكرة الرواية مستوحاة من تاريخ حقبة الحكم العسكري والاستبدادي في دول أمريكا اللاتينية، حين شهدت الأرجنتين إبان حكم الدكتاتور (خورخي فيديلا) والذي استمر حكمه من عام ١٩٧٦وحتى١٩٨١، وحقبة (بيونشي) في تشيلي، شهدت خلالها هذه البلاد عمليات قمع عنيفة ضد المعارضين، ويقدر عدد الذين اختفوا خلال حكم (خورخي فيديلا) بنحو ٣٠ ألف إنسان في الأرجنتين وحدها، وفي السنوات القليلة الماضية، نشطت مجموعات شبابية في هذه الدول، تطالب بمحاكمة كل المتورطين في ارتكاب هذه الجرائم بحق الشعوب.

ذلك التاريخ الذي يكرر نفسه منذ أن أوجد الله الإنسان على هذه الأرض، ولا يكاد يوجد شعب من الشعوب إلا ويحتفظ في ذاكرته القريبة أو البعيدة بقصص مشابهة يرويها للأجيال الجديدة.

تلك القصص التي تلهم خيال المبدع ليرويها بطريقته، ويستخلص منها العبرة والحكمة.

وسبق وأن كتبت قصة قصيرة بعنوان (دوفا) ضمنتها في

مجموعتي القصصية التي صدرت بعنوان (كلاسيكيات) وتناولت فيها قصة زوجة لجندي ألماني ذهب إلى المعركة للقتال في صفوف الجيش النازي، للمشاركة في الحرب العالمية الثانية، وفي أثناء حكم هتلر.

تجارب إنسانية، يعيش معها كل فرد تفاصيلها الخاصة به، من ألم، وخوف، وموت، ويفقد معها الإنسان الأمل، وأي فرصة للخلاص.

عادة من تباغتني الفكرة لكتابة مقال أو قصة فجأة، وقد يتطلب مني الأمر أياماً أو أسابيع، وفي حالات أخرى شهوراً كثيرة، وأستغرق وقتاً في تخيل فصول القصة، وأنغمس في تفاصيل الأحداث بمشاعري وخيالي، وأشعر بكل آلام أو أفراح شخصياتها؛ إلى أن تحين اللحظة وأندفع لكتابتها، وحين أجلس للكتابة؛ تصيبني حالة انفصال كامل عن الواقع، وأشعر بتدفق الأفكار وتتابعها دون انقطاع، وفجأة يتوقف كل ذلك، وأصاب بالعجز التام وعدم القدرة على كتابة كلمة واحدة، وقد يستغرق مني الأمر زمناً لأتمكن من العودة لمواصلة ما بدأته، وفي هذه الرواية، تطلب مني الأمر نحو سنتين وأربعة أشهر لأتمكن من الانتهاء منها، وعاماً آخر لأصل لقناعة بأنها جاهزة للنشر، بعد مراجعات عديدة.

وحقيقة، لا أعلم في أي مرحلة ومتى خطرت لي فكرة إقحام (مكيافيلي) في تفاصيل هذه الرواية..؟!

ولكن وجدتني أكتب فصول الرواية، وأنا أسير باتجاه جعل (مكيافيلي) جزءاً منها.

القارئ لمسيرة أي مستبد؛ حتماً سيجد ذلك التشابه بين ما أقدم عليه المستبد، وبين ما أورده (مكيافيلي) في كتابه المعنون بـ (الأمير)

وتحول فكر (مكيافيلي) مع الزمن إلى مدرسة قائمة بذاتها، يشار إلها بالمكيافيليه.

وهنا في هذه الرواية، أقدم للقارئ قصة نسجها خيالي بشخصياتها وأحداثها، وعايشت مشاعرهم مع كل الأحداث، وآمل أني وفقت في ذلك، وأن أمنح القارئ تجربة قراءة ممتعة، بالقدر الذي كنت أستمتع به وأنا أكتب فصولها.

٩ يوليو ٢٠٢٢

الفصل الأول

أطوار، تتفقد حقيبة يدها للمرة الأخيرة سريعاً، خوفاً من أن تكون قد نسيت وضع أي من متعلقاتها الشخصية التي اعتادت أن تكون معها على الدوام، نظرت إلى نفسها في المرآة على عجل، تناولت فرشاة الشعر ومررته على شعرها مرتين دون المبالغة في تصفيفه، فهي لا تهتم كثيراً بمظهرها كبقية الفتيات اللاتي في مثل عمرها، ويبدو مظهرها فوضوياً بعض الشيء لمن لا يعرفها.

خرجت من غرفتها مسرعة، وفي طريقها مرّت على المطبخ، وتناولت في يدها كوباً من القهوة التي أعدتها منذ قليل لتأخذها معها.

كانت أطوار قد تأخرت قليلاً عن الخروج، لتلحق بالندوة التي تنظمها الجامعة التي تدرس بها، ومتحمسة للحاق بهذه الندوة منذ بدايتها، والتي تقدمها شخصية معروفة، تثير إعجاب أطوار منذ مدة طويلة، ومثل ذلك فرصتها الأولى لتلتقي بها بشكل مباشر.

أسرعت أطوار متوجهة نحو باب المنزل للخروج، ووجدت والدها السيد شاكر يجلس هناك على الأريكة، وما أن رأته أطوار حتى توقفت فجأة وهي تحدق به.

نظر السيد شاكر نحوها دون أن يتفوه بكلمة، وهو يدرك نوعية المعركة التي على وشك النشوب بينه وبين ابنته أطوار.

وبنبرة حادة وجهت أطوار كلماتها لوالدها: **"ها أنت ذا مجدداً تفعل ذلك.. ألا تكف عن تدخين هذه السجائر يا أبي!.. إننا نعود لنقطة الصفر"**

لم يرد السيد شاكر على كلماتها، والتزم الصمت.

ولكن أطوار عادت مجدداً لتقول: **"لقد كلفك التدخين كثيراً يا أبي.. أخشى من أن تعود حالتك الصحية للتدهور كالسابق"**

رد السيد شاكر بصوته الخشن المرتجف والمتقطع بالقول: **"لا تخافي.. لن يعود ذلك الورم للظهور مجدداً"**

أطوار: **"كنت تقلل من أثر التدخين عليك طوال السنوات الماضية.. حتى أصابك ذاك الورم الخبيث في حنجرتك.. وكدت أن تفقد قدرتك على الكلام تماماً.. وها أنت تعود للاستخفاف بمضاره عليك..!"**

اندفعت أطوار مسرعة نحو والدها، وهي تخطط لخطف علبة السجائر من أمامه، ولكنه كان أسرع منها، وتمكن من إخفائه في الجيب الداخلي لمعطفه.

نظرت إليه أطوار بغضب وهي تقول: **"لا يمكنني خوض هذا النقاش معك الآن.. وعليَّ الخروج على الفور للحاق بالندوة.. ولكني سأعود لأجد حلاً لذلك"**

وصلت أطوار إلى القاعة الساعة ٨:١٥، وحمدت الله أن الندوة لم تبدأ بعد، وعلى الفور تناولت هاتفها المحمول واتصلت بصديقتها رحمة، والتي وصلت إلى المكان قبلها، وقامت بحجز مقعد لأطوار بجانبها.

ركضت أطوار بين مقاعد القاعة، وهي تعتذر لهذا وتبتسم لذاك، وتطلب منهم أن يفسحوا لها المجال للعبور، حتى تمكنت من بلوغ مقعدها بجوار صديقتها.

جلست أطوار وهي لاتزال مرتبكة، فقد كانت تحاول اللحاق بالموعد وتدرك أنها تأخرت، ولم تصدق أنها الآن تجلس

بالقاعة بانتظار دخول ضيف الندوة.

ولم يمرّ وقت طويل حتى بدأ الحضور بالتصفيق بمجرّد ظهور مقدم الندوة، والذي بدأ بقراءة السيرة الذاتية لضيف هذا المساء، وهي الأستاذة سلوان حافظ.

كانت الأستاذة سلوان، سيدة في منتصف العقد الخامس من عمرها، ذات طبيعة رصينة وهادئة، ومظهر جذاب، يميل لون شعرها إلى اللون الرمادي، بقصة قصيرة أنيقة، واعتادت أن تظهر وهي ترتدي وشاحاً قرمزي اللون مصنوع من صوف الكشمير الثمين، تلف به كتفها بشكل منسدل على صدرها، ليمنحها كل تلك الجاذبية.

استمرت الندوة على مدى ساعتين كاملتين، لم يتوقف خلالها الحضور عن التصفيق لكل ما كانت تقوله الأستاذة سلوان، وكل الأفكار والآراء التي طرحتها، والتي كانت أطوار من أكثر المعجبات بتلك الأفكار.

فالإنسان بالنسبة لأطوار (فكرة) وكانت السيدة سلوان شخصية تحمل الكثير من الأفكار التي تلتقي في نقاط كثيرة والأفكار التي كانت أطوار تناقشها باستمرار في مساحات عقلها التي تضج بالنشاط.

وكأن تلك الندوة، والكلمات التي تفوهت بها السيدة سلوان؛ أضافت المزيد إلى بنك الأفكار في عقل أطوار، لأنها تدرك أن كل تجربة جديدة في الحياة هي فرصة لمزيد من المعرفة.

انتهت الندوة، وودع الحضور الأستاذة سلوان التي غادرت المسرح بالتصفيق الحار.

قفزت أطوار من فوق مقعدها وهي تمسك بيد صديقتها رحمة وتجرها خلفها، دون أن تدرك رحمة إلى أين كانت أطوار تنوي أخذها معها.

ركضت أطوار بين الحضور الذي كان بدأ يتزاحم عند بوابات الخروج، بينما كانت أطوار تسير عكس التيار، وتتجه نحو المسرح الذي غادرته الأستاذة سلوان للتو.

حاولت شق طريقها بين الحشود، لتصطدم أخيراً بأفراد الأمن الذين منعوها من الصعود إلى المسرح، واللحاق بالأستاذة سلوان.

ولكنها تمكنت من استغفال الحارس وركضت بسرعة نحو الدرَج، وتسللت إلى خلف الكواليس، لتجد نفسها تقف أمام الأستاذة سلوان، والتي كانت محاطة بعدد من الصحفيين،

وفريق من المنظمين.

لم تتمكن أطوار من الاقتراب أكثر، وفضلت الانتظار قليلاً ريثما تنهي الأستاذة سلوان حديثها مع الصحافة.

كانت أطوار تقف هناك وتراقب ملامح الأستاذة سلوان أثناء حديثها، ابتسامتها الهادئة، نظراتها الحادة والذكية، وأناقتها في الحوار، وهي تهمس لنفسها: **لم تطلب الشمس يوماً من أي من الكواكب اللحاق بها.. أو أن تدور في فلكها.. بل إن الكواكب تجد نفسها واقعة في جاذبية الشمس.. مرغمة على الدوران في فلكها الإهليجي.. لأن الشمس حرّة.. منطلقة.. سابحة في الكون.. غير مبالية.. لم تعتد النظر إلى الخلف.. أو التلفت حولها لترى من ينظر إليها.**

وسلوان بالنسبة لأطوار كانت كذلك، شمساً حرّة، لها تلك الجاذبية العنيفة في الإيقاع بالكواكب.

وأخيراً لحقت بها رحمة ووقفت بجوارها وهي تتمتم ببضع كلمات تحدث فيها صديقتها، تتهكم فيها على رجل الأمن الذي منعها من العبور، وتعمل على إصلاح مظهرها.

ودون أن تلتفت نحوها قالت أطوار: **"أنظري.. إنها هناك**

بين الحشود"

كانت رحمة لاتزال تتمتم بكلماتها بغضب وتقول: **"يا إلاهي كاد أن يمزق قميصي وهو يحاول منعي من العبور.. ذلك الحارس الغبي.. كنت سأتحول إلى حديث الناس هذا المساء.. وتنتشر صورتي في الصحافة بقميصي الممزق"**

وقفت أطوار محدقة، تتأمل الأستاذة سلوان وهي تدلي بتصريحاتها للصحافة، وبدأت تهمس بصوت مرتفع بما كان يدور في خيالها لصديقتها رحمة، وهي تسأل: **"تُرا.. ما سر كل هذه الكريزما التي تتمتع بها!.. إنها تبدو كنجمة تدور في فلكها كل تلك الكواكب من حولها.. إني أشعر بجاذبيتها بالرغم من هذه المسافة التي تفصلني عنها.. أهو ذاك الشعر الرمادي الذي يمنح ملامحها هذا الوضوح.. متجاوزاً طبيعته المعروفة كلون مخادع لا يفصح عن الحقيقة..؟ أم هو ذاك الذكاء الذي يشع من عيونها في كل لفتة.. وفي كل نظرة..؟ أم تراه هذا الوشاح القرمزي الذي تحب أن تحيط بها كتفيها..؟ وكأنها تخشى أن يتسلل البرد إلى داخلها.. ويشوه الدفء الذي تشعر به؟"**

قاطعتها رحمة بنبرة حادة وهي تقول: **"أقسم لك.. بأني كنت**

سأركض نحوها لأنتزع منها هذا الوشاح لأستر بهي نفسي.. إن فعلها ذاك الغبي ومزق قميصي"

وهنا انتهت الأستاذة سلوان من حديثها مع الصحافة، وبدأت بالمغادرة.

ركضت نحوها أطوار مسرعة، وهي تحاول اللحاق بها، وبعد عدة خطوات خلفها، انتبهت الأستاذة سلوان إلى أن هناك فتاة تتبعها وتحاول الحديث إليها.

توقفت وابتسمت وهي تنظر في عيني أطوار التي أخذت تقترب منها أكثر، وما إن رأتها أطوار تتوقف، حتى بادلتها بابتسامة هي الأخرى.

أسرعت بخطواتها أكثر لتصبح أمامها أخيراً، وقبل أن تتمكن من تحيتها، بادرتها الأستاذة سلوان بكلمات همست بها بهدوء، وهي تحدق في عيني أطوار وتقول: **"أرى فيهما انعكاساً لصورتي!.. لأمسي.. لتمردي.. لإصراري.. لكل مبادئي"** صمتت لحظة وهي تتأمل أطوار.

تلعثمت أطوار ولم تدرِ بماذا يمكنها أن ترد، لقد فاجأتها الكلمات..!

سألتها الأستاذة سلوان وهي ترمش بعينها، وبنبرة استفهام: **"من أنتِ.. ما اسمك..؟"**

وكأنها كانت تبحث في إجابتها عن شيء أعمق من مجرد اسم تنتظر أن تفصح لها عنه، أكثر من مجرّد هوية، ربما فكرة لم تكتمل بعد، أو ربما حلم لا يزال غافياً، وربما حرب تنتظر انطلاق رصاصتها الأولى..!

ردت أطوار بسعادة: **" أطوار شاكر نجم.. أنا طالبة في السنة ما قبل الأخيرة بكلية الحقوق"** ارتبكت قليلاً وعادت لتقول: **"إني اقرأ كل ما تكتبينه في الصحافة أستاذة سلوان.. وأتابع كل البرامج التي تحلين ضيفة عليها.. لقد كنت أنتظر هذه اللحظة دائماً.. اللحظة التي أقف فيها أمامك وانظر إليك.. أنظر إلى مرحلة من تاريخ وطني"**

ابتسمت الأستاذة سلوان وشكرتها، ثم قالت: **"لقد تأخرت.. وعلي المغادرة"** ثم عبثت بحقيبة يدها قليلاً، وأخرجت كارتها الشخصي، ناولته أطوار، وطلبت منها أن تتصل بها لاحقاً.

شكرتها أطوار، واستدارت الأستاذة سلوان مغادرة، لتتوقف للحظة وتنظر نحوها وتقول: **"سأنتظر اتصالك"**

تلفتت أطوار حولها وهي تبحث عن صديقتها رحمة، بحثت

عنها هنا وهناك، لتجدها اخيراً تقف مع ذاك الحارس وتتجادل معه، وتتهدده بأنها ستتقدم ضده بشكوى لدى إدارة الجامعة، تتهمه فيها بأنه حاول تمزيق قميصها، وذاك المسكين يقف أمامها وهو يفكر في عواقب هذه الشكوى.

اقتربت منها أطوار وهي تحاول إنهاء هذه المسألة العالقة، حتى تمكنت من إقناع صديقتها رحمة بالتوقف عن الجدال.

عادت أطوار إلى المنزل ذلك المساء، لتجد والدها وصديقه السيد جلال يجلسان في الحديقة الأمامية.

كان والدها السيد شاكر يدندن بعض الأغاني على العود، ويستعيد ذكرياته القديمة، بعد أن فقد قدرته على الغناء جرّاء الورم الذي عانا منه لسنوات، وعلى الطاولة التي أمامهم توجد رقعة الشطرنج التي اعتاد الاثنان على لعبها باستمرار.

كانت الفوضى تسيطر على مشهد الرقعة، فالحرب لا تزال قائمة بين الفريقين، بينما انتشر ضحايا المجزرة في كل جانب خارج ساحة اللعب، قبل أن يتمكن أحدهم من حسم المعركة

لصالحة، فآثرا أخذ استراحة قصيرة، والاستماع إلى العود، لمعاودة الحرب.

اقتربت منهم أطوار وألقت عليهم التحية، وجلست بجوار والدها تستمع إلى عذوبة الألحان التي كانت تنساب من بين أصابعه.

سرحت بخيالها قليلاً وهي تتأمل رعشات الوتر كلما لامسته الريشة، وكيف لهذا الجماد الخالي من الروح، أن يثير داخل نفوس البشر كل هذه الفوضى من المشاعر، حزن، سعادة، حب، كره، حنين، وحتى نفور..!

حتى إن كان العازف عاجزاً عن الغناء، فالنغم وحده قادر على إيقاظنا، أو تخديرنا، أو حتى وضعنا أمام حقيقتنا، بمجرّد صوت.

نعم صوت، فالصوت وحده كفيل بأن ينقل إلينا مشاعر الطرف الآخر حتى بدون أي كلمات، فصرخة الإنسان هي مجرّد صوت، ولكنها لغة ألم، لغة رفض، وسيلة الأخرس الذي يفتقد القدرة على الكلام، ليقول أنا هنا، ليعبر عن غضبه، احتجاجه، تمرده.

عادت أطوار ونظرت إلى رقعة الشطرنج، إلى تلك الحجارة

السوداء المنتشرة على كامل المساحة، المزروعة في كل الزوايا، والمسيطرة على المركز، ونظرت إلى ملك الفريق الأبيض المحاصر من كل الجهات، وحيداً، أعزلاً، عاجزاً، المدرك لحقيقة أن اللعبة على وشك أن تنتهي، وأنه سيموت.

وتساءلت، كيف لنا أن نموت بصمت، دون حتى أن نصرخ..!

الفصل الثاني

صباح أحد الأيام؛ خرجت أطوار من قاعة المحاضرات، وتوجهت نحو (كفتريا) الجامعة، اختارت لنفسها زاوية بعيدة وهادئة، أخرجت هاتفها المحمول وبدأت بتصفح حسابها على برنامج (الانستغرام) ليلفت انتباهها منشور جديد على صفحة الأستاذة سلوان، قامت للتو بنشره على حسابها.

ضغطت أطوار على زر الإعجاب، وكتبت (صباح الخير) في التعليقات، ليأتيها الرد على الفور (صباح النور)

أدركت أطوار حينها بأن الأستاذة سلوان مستيقظة الآن، فهي تعلم بأن الحساب يدار من طرفها شخصياً.

بحثت في حقيبة يدها عن الكارت الشخصي الذي حصلت عليه منذ أيام، أثناء اللقاء السريع الذي جمعهم.

ترددت قليلاً؛ إلا أنها قررت الاتصال، فقد مضت عدة أيام على ذلك اللقاء، ويجدر بها فعل ذلك الآن.

لم يستغرق رد الأستاذة سلوان على الاتصال وقتاً، وأجابت على الفور، ألقت عليها أطوار تحية الصباح، وعرّفتها بنفسها،

وتذكرتها الأستاذة سلوان.

دار بينهم حوار ودي وسريع، وعرضت الأستاذة سلوان خلالها على أطوار زيارتها في المنزل هذا المساء.

رحبت أطوار بالدعوة التي وجهتها لها، وأجابت بأنها ستاتي وفق الموعد الساعة الـ ٠٥:٠٠ مساءً.

ذلك المساء، استعدت أطوار وتوجهت لمنزل الأستاذة سلوان، والذي لم يكن يبعد عنها سوى مدة نصف ساعة باستخدام المترو.

وقفت أمام باب المنزل وهي تشعر بقليل من التوتر، قرعت الجرس وانتظرت لعدة ثوانٍ، ليفتح الباب، وتستقبلها الأستاذة سلوان بابتسامة رقيقة مرحبة، وتطلب منها الدخول.

دخلت أطوار إلى المنزل ومشت بخطوات خجولة نحو الأريكة في صالون الاستقبال، جلست هناك وهي تنظر حولها، وإلى كل تلك التحف (والأنتيكات) الموجودة في أرجاء المنزل.

كان منزل الأستاذة سلوان منزلاً صغيراً، لكنه يفصح عن الذوق الرفيع لصاحبته.

الجدران مطلية بألوان دافئة؛ تبعث على الراحة، وتمنح الضيف شعوراً بالود والحب، ويغلب عليه الطابع الكلاسيكي الذي ينتمي لحقبة الستينات الميلادية، وفي أحد جوانب الصالون هناك خزانة، وفوقها جهاز تشغيل الأسطوانات القديم (غرامافون) وفي أحد الزوايا هناك مكتب الأستاذة سلوان، مكتب كلاسيكي تثير الزخارف المنقوشة عليه رغبة الناظر إليها لتلمسها، وللإحساس ببراعة أنامل الحرفي الذي أبدعها، وعلى أحد الحوائط، هناك العديد من الصور المعلقة، وكأنها تحكي تاريخ من سكنوا هذا المنزل على مدى عقود.

التفتت أطوار نحو الأستاذة سلوان التي كانت تجلس على المقعد المجاور، ابتسمت لها، وأبدت لها إعجابها بالمنزل.

ردت الأستاذة سلوان وهي تجول بنظرها في أرجاء الصالون:
"إنه المنزل الذي ولدت فيه.. وعشت فيه سنوات عمري"

أجابتها أطوار وهي تقول بأنها أدركت ذلك من خلال الصور المعلقة على الحائط.

سلوان: **"ذاك المكتب هو في الحقيقة مكتب والدي.. الذي كان يجلس عليه وهو يصوغ كل تلك المقالات التي كان ينشرها في الصحف.. لا تغيب صورته عن خيالي حتى الآن.. وأتذكر نفسي وأنا طفلة.. حين كنت أقترب منه وهو يجلس.. وأعبث بأوراقه.. وأحدث كل تلك الفوضى من حوله.. وأقطع عليه حبل أفكاره.. ليصرخ بعدها وينادي على أمي لكي تبعدني.. وبمجرّد أن ينتهي من كتابة المقال.. يقوم باستدعائي ويجلسني على حجره.. وكأنه يود الاعتذار لي"**

ضحكت الأستاذة سلوان بمشاغبة وهي تقول: **"لقد كنت طفلته الوحيدة والمدللة"**

ثم سألتها: **"أخبريني.. كيف تشربين قهوتك..؟"**

ردت أطوار بطريقة مشاغبة هي الأخرى: **"من اليوم.. أود أن تكون كما تفضلين أنتِ شربها"**

سلوان: **"حسناً.. لن يستغرق ذلك طويلاً"**

سألتها أطوار إن كانت تسمح لها بالاقتراب من الصور المعلقة على الجدار وتأملها، وطلبت منها الأستاذة سلوان أن تتصرف دون تكلّف.

نهضت أطوار ومشت عدة خطوات، اقتربت من الصور، وبدأت تتأملها واحدة تلو الأخرى، وهي تنظر إلى مراحل حياة الأستاذة سلوان في تلك الصور، وكأنها أرشيف يحوي سيرة حياتها، أحلامها، لحظات سعادتها، وحتى انكساراتها.

مشت قليلاً نحو جهاز تشغيل الأسطوانات، وبدأت تقلب في الأسطوانات التي بجانبه، مجموعة من أسطوانات الأغاني الكلاسيكية، التي تنبعث منها رائحة الماضي، وأنغام عذبة ترافقها قصائد الحب، اقتربت من المكتبة الكبيرة، المليئة بالكتب، تناولت بعضها وتصفحتها بشكل سريع، عناوينها، صفحاتها الخشنة والناعمة، أفكار، وبعض التفاهات، حقائق، والكثير من الأكاذيب، ثم تناولت كتاب (الأمير لمكيافيلي) وبدأت تقلب فيه.

عادت الأستاذة سلوان وهي تحمل بيدها صينية عليها فنجانان من القهوة، وطلبت من أطوار العودة للجلوس لتناولها.

التفتت ورأتها تمسك بذلك الكتاب بين يديها، ضحكت ضحكة ساخرة وهي تقول: **"مؤلف هذا الكتاب هو من يجدر بالبشرية أن تحاكمه"**

عادت أطوار للجلوس، وبادرتها بالقول ممازحة: **"كنتِ شابة في غاية الجمال أستاذة سلوان.. لابد وأن الكثير من الرجال كانوا يتوددون إليكِ..؟"**

ضحكت الأستاذة سلوان وهي تقول: **"تقصدين الكثير من المخادعين!.. نعم كانوا كثراً.. لكن لم يكن قلبي ليتسع لأكثر من شخص واحد"**

أطوار: **"إذاً.. هي قصة حب..؟"**

اكتفت الأستاذة بإيماءة بسيطة برأسها، فهمت منها أطوار أنها تؤكد ظنها.

سألتها.. وما كان مصير ذلك الحب..؟

ردت الأستاذة سلوان وهي منشغلة بتقديم فنجان القهوة، وتمدها نحو أطوار: **"لقد أخفته العتمة التي كانت تسيطر على كل شيء حينها"**

تناولت بعدها الأستاذة سلوان رشفة من فنجانها، وكأنها سرحت للحظة مع خيالها في مكان وزمن مختلف، لتقطع عليها أطوار تلك الأفكار المتهافتة بسؤال آخر: **"هل كانت سنوات قاسية..؟!"**

لتنتبه الأستاذة سلوان مجدداً وتسأل: **"هل تقصدين سنوات الاعتقال..؟ نعم.. كانت أقسى من أن تصفها الكلمات"**

مضت لحظات من الصمت؛ لتعود بعدها الأستاذة سلوان بالقول: **"إنكِ تفقدين أثنائها الإحساس بالوقت.. فلا شيء سوى العتمة لتحيط بك.. تحدثينها فلا ترد.. تحاولين الإمساك بها فلا تجدين حولك سوى الفراغ.. تستيقظين من نومك وأنتِ تجهلين تماماً ما هو الوقت الآن..! بعد أيام طويلة من الاحتجاز داخل زنزانة وأنتِ وحيدة"**

ابتسمت بعدها الأستاذة سلوان ابتسامة ممزوجة بالألم لتقول: **"لقد حاولت بعدها.. أن أعيد برمجة ساعتي البيولوجية مع موعد حضور جلادي في كل مساء.. ليبدأ بممارسة ساديته الوحشية عليَّ لساعات.. لأدرك أننا الآن في ساعة متأخرة من المساء.. فذاك كان موعد حضوره كل يوم..! أسمع وقع خطواته وهي تقترب من زنزانتي.. أشم رائحته.. أشعر بأنفاسه.. دون أن تكون لي القدرة على رؤية ملامحه ولو لمرة واحدة.. فهم يبقونك معصوبة العينين.. مقيدة اليدين.. حتى بعد أن يسلبوك حريتك.. ويجرّدونك من كل قوتك.. لا يزالون يخافون من النظر في عينك وهي تتألم.. مع كل لطمة**

تتلقينها على خدك..! يحاولون إضعافك أكثر فأكثر.. يحاولون تحطيمك من الداخل لتستسلمي.. ولكنهم يجهلون تماماً.. بأن المواقف التي تنجبها المبادئ.. لا يمكن لها أن تتغير..!"

التفتت الأستاذة سلوان نحو مكتب والدها، وعادت لتقول: **"كان هذا الرجل.. هو من زرع داخلي كل تلك المبادئ.. كل تلك القوة.. وذلك الإصرار.. والثبات.. وللأسف كان هو أحد ضحايا مبادئه..!"**

نهضت من مكانها وتوجهت نحو أحد الخزائن الموجودة بالصالون، بدأت تعبث بمحتوياتها، وكأنها كانت تبحث عن شيء محدد، أخرجت عدداً من الصحف القديمة، نفضت عنها الغبار.

عادت ووضعتها على الطاولة أمام أطوار، وقالت: **"هذه مجموعة من الصحف التي تتضمن مقالات لوالدي رحمه الله.. كان رافضاً لكل أشكال الاستبداد والبطش الذي كانت تمارسه السلطة ضد الناس.. لكل الأكاذيب.. لشرعيته المزعومة وكأنها دين علينا الأيمان به.. واتباعه دون جدال.. لم يكترث لكل تلك التهديدات التي كانت تصله.. ليتوقف عن قول المزيد من الكلمات التي كانت تؤلمهم بالتأكيد.. وتفزعهم.. لكنه**

لم يكن يملك سوى قلمه.. وكل الحقيقة.. بينما هم كانوا يملكون القوة.. السلطة.. والقدرة على تزييف كل الحقائق..! لقد كان صوت الرصاص عالياً.. وقادراً على اختراق جسده الهزيل.. وهو عائد في أحد الأمسيات إلى المنزل.. لقد كان صوت الرصاص أعلى بكثير من صوت صرخاته التي لم يكن يسمعها إلا القليل.. أولئك الذين يقرأون بعقولهم.. يقرأون بضمائرهم..!"

ضحكت سلوان ضحكة ساخرة تنم عن حجم العبث الذي تمت ممارسته أثناء التحقيق لتقول: **"قيدت الجريمة ضد مجهول..! ولكن القتلة كانوا معروفين.. فكل من دافع عن الجريمة كان قاتلاً.. وكل من كتب ليتهم والدي بالخيانة كان مشاركاً في القتل.. كان عليَّ أنا وأمي تقبل ما حصل.. ومحاولة العيش في صمت.. ولكنهم لم يكتفوا بقتله.. بل أرادوا أن يقتلوا أفكاره.. أن يشوهوا مبادئه.. لم أتمكن من الصمت بعدها.. وقررت أن أصرخ.. وأن تكون صرختي أعلى من صرخات والدي.. وكنت أنتظر في كل ليلة.. أن تزورني أنا الأخرى رصاصة لتستقر بصدري كعادتهم.. لكنهم أرادوا أن يتسلوا بي بدلاً من ذلك.. تم اعتقالي وأودعت السجن.. لأنهم يكرهون أن يصرخ أحد في وجههم.. أرادوا أن يجعلوني**

أصرخ وحدي.. في مكان لا يسمعني فيه أحد..!"

نظرت الأستاذة سلوان إلى الطاولة، حيث وضعت أطوار كتاب (الأمير) من يدها، سألتها إن كانت قد قرأته من قبل..؟

أومأت أطوار برأسها بهدوء وقالت: **"في الحقيقة لا.. ولكني أتوق لذلك"**

تناولت الأستاذة سلوان الكتاب بيدها وهي تقول: **"لقد مازحتك منذ قليل وأنا أقول.. يجدر بالإنسانية محاكمته.. لقد كنت أمزح.. رغم أني كنت أعني ما أقول.. هو لم يبتكر الاستبداد.. وكل ما فعله هو أنه جمع كل تلك الأساليب وصاغها في كتاب فقط.. فالمستبد ليس بحاجة لمن يعلمه أساليب الاستبداد.. فهو يمارسها بفطرته التي تملي عليه أفعاله.. ولكن هذا الكتاب تحول إلى مرجع لهم.. (كتلوج) يمكنهم العودة إليه متى غابت عنهم فكرة وأرادوا استرجاعها..! لقد حول الاستبداد إلى منهج تبرره الغايات"**

هنا سمعوا رفرفة جناحي طائر، التفتت الأستاذة سلوان نحو نافذة الصالون المفتوحة وقالت: **"أوه.. ها هو زائري اللطيف يعود"**

نهضت من مكانها وتوجهت نحو النافذة، تناولت صندوقاً صغيراً هناك بالقرب منها يحوي بعض البذور، ونثرتها عند النافذة، وقالت: **"لقد اعتاد زيارتي كل مساء.. لأضع له بعض الطعام.. ليعود بعدها للتحليق بعيداً.. فهو يملك هذا الفضاء الذي وهبه الله له ليحلق فيه بحرية.. بينما نحن البشر مسجونون على هذه الأرض.. مكبلون بالكثير من القوانين والمحظورات حد العجز.. محاطون بالعديد من الخطوط الحمراء التي تلتف حول أعناقنا.. حد الاختناق"**

توجهت الأستاذة سلوان نحو جهاز تشغيل الأسطوانات، سألتها إن كانت أطوار ترغب في الاستماع إلى بعض الموسيقى..؟

ردت أطوار بأنها ترغب في ذلك بالتأكيد.

عادت الأستاذة سلوان إلى مقعدها، وبدأت الأسطوانة بالدوران، بينما إبرة التشغيل لاتزال تبحث عن أول نغمة حتى تلتقطها، وبدأت المعزوفة بنغمة حائرة، تائهة، وكأنها تنتظر إجابة.

بادرتها أطوار بالقول: **"لا أدري.. لمَ تأسرني كل تلك الصور القديمة ذات اللونين الأبيض والأسود..!"**

ردت سلوان **"لأنها صادقة.. خالية من الألوان التي قد تخدعنا**

أحياناً.. وتشوش علينا الرؤية المتجرّدة.. ورؤية كل شيء دون بهرجة مبالغ فيها..! لطالما كان اللون الأبيض والأسود موجودين من حولنا.. ولكننا وحدنا من يملك حق الاختيار.. أو الانحياز لأحدهم"

أطوار: **"وماذا عن اللون الرمادي بين الاثنين..!"**

ضحكت الأستاذة سلوان وهي تقول: **"ذلك اللون الذي لطالما كنت أكرهه"**

صمتت للحظات، ثم التفت نحو أطوار وقالت: **"سأخبرك أمراً لطالما حيرني طوال فترة سجني في تلك الزنزانة.. وأثار في عقلي الأسئلة المتأرجحة ما بين الفضول.. والاستنكار.. والتعجب.. ولا زالت تثير داخلي نفس المشاعر كلما تذكرتها..؟!"**

أنصتت أطوار باهتمام لما كانت الأستاذة سلوان تود إخبارها به.

وتابعت سلوان حديثها: **"في أثناء وحدتي تلك.. كان هناك صوت يؤنسني.. ويثير بداخلي شعوراً مختلفاً تماماً.. كالسحر.. كدعابة يقولها لك أحدهم أثناء بكاءك.. لتنفجري**

ضاحكة بعدها.. صوت دافئ.. كان يتدفق ويسري في أعماق روحي.. وكأنه ينتشلني من داخل زنزانتي.. ويحلق بي إلى مرج أخضر.. مليء بالزهور.. لأتخيل نفسي حرّة.. أركض بينها وتتساقط عني كل الأغلال التي تقيدني..!"

تعجبت أطوار وهي تنتظر أن تكمل الأستاذة سلوان حديثها، وتخبرها بمصدر هذا الصوت..!

التفتت نحوها سلوان وهي تقول: **"أعلم أنك تنتظرين معرفة مصدر الصوت.. وما يكون..! كان جلادي صاحب ذلك الصوت.. والذي كان دون قصد منه يطربني ويؤنسني في لحظات البؤس تلك.. كان بعد أن ينهي واجباته كجلاد كل ليلة.. يجتمع مع بقية زملائه في حجرة قريبة من زنزانتي.. ويمضون الليل هناك يتبادلون الأحاديث.. وتعلوا ضحكاتهم.. ومن ثم يبدأ جلادي بالغناء.. أغنيات رقيقة.. عذبة.. تتحدث عن الحب.. الشوق.. ألم الفقد.. الحنين لشخص ما.. كنت أتعجب كيف لهذا الكائن متحجر القلب.. الذي كان منذ قليل يتلذذ بألمي.. ويرعبني صوته.. أن يتحول بمجرّد أن ينتهي.. إلى إنسان مثلي..! يمتلك قلباً.. يحب.. يشتاق.. كنت أتسائل أهو بهذه القسوة على الدوام.. كيف**

يعامل زوجته.. أطفاله..؟!"

نظرت نحو أطوار، وكأنها تبحث عندها عن إجابة، حتى بعد مرور كل هذا الوقت، كانت سلوان لا تزال تبحث عمن يجيبها.

مدت أطوار يدها، وامسكت بيد سلوان لتقول: **"لقد مضى كل ذلك الآن.. انتهى"**

نهضت من مكانها وهي تقول لأطوار؛ بأنها ستذهب لإعداد فنجان آخر من القهوة لهما، وانصرفت.

كانت الساعة تشير إلى ٩:٣٠، حين طلبت أطوار من الأستاذة سلوان السماح لها بالمغادرة.

ناولتها الأستاذة سلوان كتاب مكيافيلي، وأخبرتها أن بإمكانها أخذه معها لتقرأه.

خرجت أطوار وتوجهت نحو محطة المترو، جلست على المقعد وهي تفكر في كل تلك الأحداث التي سمعتها الليلة، وتشعر بثقل الأفكار التي تجول في رأسها، والأسئلة التي كانت

تطرح نفسها وتقول: **"لماذا..؟ وكيف..!"** وتعيد على نفسها مجدداً طرح السؤال الذي طرحته الأستاذة سلوان عليها: **"هل يشعر الجلاد بالحب..!"**

لتجد أنها باتت هي الأخرى؛ أسيرة لنفس السؤال، الذي لم تعرف له إجابه.

الفصل الثالث

استيقظت أطوار صباح هذا اليوم وهي تشعر بوعكة صحية، فحرارتها كانت مرتفعة، وتشكو من الاحتقان في الأنف والحلق.

شعرت أنها لن تتمكن من الذهاب إلى الجامعة اليوم، وفضلت البقاء في الفراش، وزيارة الطبيب في المساء.

كانت مستيقظة وترقد في فراشها، تسعل باستمرار وبشدة، ما لفت انتباه والدها السيد شاكر، والذي دخل الغرفة للاطمئنان عليها.

جلس بجوارها على السرير، وتحسس جبينها ويدها، وأدرك بأن حرارتها كانت مرتفعة، خرج للحظات وعاد وهو يحمل بيده جهاز قياس الحرارة، ثم خرج مرة أخرى وعاد وهو يحمل بيده إناء به ماء بارد وكمادات، جلس بجوارها، وأمسك يدها ومسح على جبينها، ثم غمس الكمادات بالماء البارد.

ضحكت أطوار وهي تقول له: **"ما هذا يا أبي.. لا زلت تعاملني كطفلة صغيرة..!"**

لم يعر السيد شاكر كلامها أي اهتمام وأكمل ما كان يقوم به.

جلس بجوارها لبعض الوقت وهو يحاول خفض حرارتها، حتى ساعدته الكمادات الباردة على فعل ذلك.

خرج السيد شاكر وعاد بعد لحظات وهو يرتدي ملابسه، وأخبرها بأنه سيغيب لبعض الوقت.

ظلت أطوار مستلقية بفراشها بعد ذلك لوقت قصير، ولكنها شعرت بالجوع، فنهضت لتعد لنفسها وجبة الإفطار.

تناولت طعام الإفطار، أعدت بعدها لنفسها فنجان من القهوة، وجلست بجوار نافذة غرفتها، استنشقت نسمة عابرة، محملة بأريج رقيق أنعشها، وشعاع شفاف لامس خدها، أشعرها بدفء لطيف.

تناولت هاتفها المحمول، لتجد أن صديقتها رحمة قد أرسلت إليها رسالة، تسألها فيها عن سبب عدم رؤيتها في الجامعة اليوم..!

ردت عليها أطوار وأخبرتها بأنها تشعر بوعكة صحية اليوم منعتها من الحضور، جرت بينهم محادثة لبعض الوقت، لتلمح أطوار بعدها والدها عبر النافذة، وهو عائد ويحمل بيده

مجموعة من أكياس التسوق.

اعتذرت أطوار من صديقتها، وأبلغتها بأن عليها إنهاء المحادثة.

ركضت نحو باب المنزل لتحمل عن والدها بعض الأكياس، رفض السيد شاكر ذلك، وأخبرها بأن عليها الراحة في الفراش، وسيتولى هو حملها إلى المطبخ، وسيعمل على إعداد وجبة حساء دافئة لها، لتساعدها على التشافي، وأبلغها بأنه قد حجز لها موعداً هذا المساء عند الطبيب.

عادت أطوار واستلقت بفراشها، غفت دون أن تشعر، ولم تستيقظ إلا حين دخل والدها حاملاً بيده الطعام.

جلس بجوارها وهي تتناول طعامها، وأرغمها على تناوله كاملاً، بالرغم من أنها لم تكن تشعر برغبة في ذلك.

سألته: **"من علمك إعداد الحساء بهذه الطريقة اللذيذة..؟"** وبضحكة مشاغبة بعدها قالت: **"لابد أنك تعلمتها من والدتي"**

أومأ السيد شاكر برأسه مؤكداً ظنها.

سألته: **"هل تفتقدها يا أبي..؟"**

أجاب: **"لازلت أبحث عنها.. لتملأ كل هذا الفراغ الذي أشعر به بعد رحيلها"**

سألته مجدداً: **"هل كنت تحبها..؟"**

رد السيد شاكر: **"وأي رجل كان بمقدوره أن يقاوم سحر كل ذاك الهدوء في عينيها..!"** صمت بعدها للحظة، ثم همس بصوت خافت: **"رحمك الله"**

ثم طلب منها باستعجال أن ترتدي ملابسها استعداداً للذهاب لموعد الطبيب.

أخبرته أطوار أنها ستفعل، وبدوره أبلغها بأنه سيرتدي ملابسه هو الآخر ليرافقها، طلبت منه أطوار أن يستريح وأنها ستذهب وحدها، ولكنه رفض وأصر على مرافقتها.

ضلت بعدها أطوار لثلاثة أيام في الفراش، وترددت صديقتها رحمة لزيارتها عدة مرات خلالها.

وفي اليوم الرابع؛ استيقظت على صوت اتصال وارد على

هاتفها، تناولت الهاتف ونظرت لترى من المتصل، وهي تحدث نفسها بأنها لن ترد، ولكنها تفاجأت بأن الأستاذة سلوان هي من كانت على الخط، وعلى الفور أجابت.

كانت سلوان قلقة بشأن غياب أطوار عنها منذ أيام، وتتصل من أجل الاطمئنان عليها، وعلمت بأنها كانت تعاني من وعكة صحية، وأخبرتها بأنها ستأتي مساء اليوم لزيارتها بالمنزل.

ذلك المساء استعدت أطوار لاستقبال الأستاذة سلوان، كانت وحدها بالمنزل، وحاولت إعداد بعض المخبوزات والكعك لتقديمها لها حين وصولها.

وبعدها جلست أطوار بانتظار وصولها، وبالفعل فقد وصلت الأستاذة سلوان حسب الموعد.

جلستا بحديقة المنزل تتبادلان الأحاديث، أخبرتها أطوار بأن مكوثها بالمنزل لأيام ساعدها على قراءة كتاب (الأمير) أكثر من مرّة.

نظرت سلوان إليها وكأنها تنتظر أن تكمل أطوار كلامها عن الكتاب.

أكملت أطوار: **"كان أول ما لفت انتباهي هي تلك المقدمة**

التي كتبها المؤلف.. الكثير من الاستجداء والتملق.. كمثال صارخ للمثقف الذي يبيع مواقفه في سوق النخاسة..! ويجد سعادته كلما اقترب خده من ملامسة أرضية بلاط السلطة"

ردت سلوان: **"وغالباً ما ينجحون في ذلك.. وإن كان مكيافيلي استثناءً.. فقد عاش حياته منفياً.. وحتى بعد كل ذلك التعرّي الذي أقدم عليه..!"**

أطوار: **"لم أجد في كل ما قرأته في الكتاب سوى جملة من النصائح التي تنصب لتعزيز السلطة والاستبداد.. وكأن الكون كله مسخر لإرضاء وإسعاد أصحاب المقام الرفيع..!"**

سلوان: **"إنها المكيافيلية يا عزيزتي.. ذلك النهج الذي لا يجد ما يخجل منه.. حتى بتخليه طوعاً عن ورقة التوت الأخيرة التي يمكنه التخفّي خلفها.. ويبرع بكل انتهازية في استخدام كل الوسائل التي تخدم أهدافه.. ولو عاش مكيافيلي بيننا اليوم.. لوجدته ينعق مع أسراب الناعقين على كل غصن يحطون عليه.. ويملأ الفضاء تسبيحاً بحمد كل مستبد.. ولكان أحد أولئك الذين يهاجمون أرائي على مواقع التواصل دفاعاً عن السلطة"**

قالت تلك الجملة بطريقة متهكمة، مشاغبة، فانفجرت أطوار

ضاحكة، وهي تستعيد بعضاً من تلك التعليقات التي تجدها أحياناً على منشورات الأستاذة سلوان.

نهضت سلوان من مكانها وقالت بأنها ترغب في التجول في الحديقة.

سارا سوياً، وسلوان تمشي قليلاً، وتتوقف قليلاً عند كل وردة مزهرة، تشمها، تتلمس بتلاتها، وكأنها ترغب في أن يعلق شيء من عطرها بين أصابعها، وتواسيها على تلك الحياة القصيرة التي ستعيشها الزهرة، تنشر خلالها كل هذا الجمال في الحدائق، أو على نوافذ من يعيشون وحيدين، يتأملون سيقانها المتسلقة نحو النور، وانتعاشها مع القليل من قطرات الندى التي خلّفها الليل وراءه على أوراقها.

نزلت على ركبتها عند وردة بيضاء، علقت ببتلاتها بعض ذرات الغبار، نفضتها عنها بلمسات رقيقة، وهي تخشى أن تؤذيها، التفتت نحو أطوار وسألتها: **"من البستاني الذي يعتني بهذه الحديقة.. ويجعلها بهذا الجمال..؟!"**

ردت أطوار: **"إنه والدي.. وأتذكره منذ طفولتي وهو يقضي الساعات الطويلة في الاعتناء بأزهاره.. ويعاملها بكل الحب"**

وبمشاغبة قالت: **"ولكنه دائماً ما كان يعترف لي.. بأني أجمل أزهاره"**

ابتسمت سلوان، وعادت لتلتفت إلى الوردة البيضاء التي لازالت تجلس أمامها، وهي تقول بأنها لطالما تمنت أن تكون الحديقة في فناء منزلها مشابهة لهذه الحديقة، وبخجل همست: **"تُرا.. هل يقبل البستاني برعايتها..؟!"**

نهضت والتفتت نحو أطوار وهي تقول بأن لديها ما تود مناقشته معها.

انتظرت أطوار أن تتكلم الأستاذة سلوان.

قالت سلوان: **"بعد خروجي من المعتقل.. كان عليَّ البقاء في المنزل بحكم قضائي فرض عليَّ البقاء ضمن الإقامة الجبرية.. كما أنني كنت بحاجة لزمن للتشافي من تبعات ذلك الاعتقال.. فقد خضعت لفترة علاج نفسي وصحي امتدت لسنوات.**

وحين اندلعت الثورة ضد حكم الديكتاتور صفوان مختار.. بقيت بالمنزل أتابع الأحداث عبر القنوات الدولية.. وأنا أصفق بحماس وحدي بالمنزل.. لكل الهتافات التي كانت تتردد في

الساحات.. وأدركت حينها.. أن أجمل الألحان.. هي تلك الهتافات التي تعزفها حناجر الجماهير.. المطالبة بحريتها"

ومض بريق صغير في عيني سلوان حينها، ولمحتها أطوار وهي تدرك ما كانت تشعر به الأستاذة سلوان.

وأكملت سلوان: **"منذ ذلك الحين.. وأنا أسعى للقصاص من السلطة ورموزها.. تلك السلطة التي سلبتني حريتي لسنوات.. ومارست ضدي كل تلك القسوة.. ليست ضدي وحدي.. ولكن ضد وطن بأكمله.. ضد أحلام جيل بأكمله..!"**

سارت سلوان وهي تكمل جولتها بالحديقة، وأطوار تسير بجانبها، وعادت لتقول: **"أدرك بأن ليس كل ما أنوي فعله ممكن.. فقد هرب المستبد حاملاً معه كل ثروته.. ولكنه خلف وراءه كل أدواته التي استخدمها للقمع.. ولبناء أسطورته.. كل أولئك الأعوان لازالوا يعيشون بيننا.. لقد تركهم وتخلَّ عنهم كعادة كل مستبد.. حين يدرك بأن زمنه قد أنتهى.. هؤلاء هم من أسعى لجرّهم ليقفوا أمام العدالة.. ويواجهوا مصيرهم"**

توقفت سلوان ونظرت في عيني أطوار، تأملتها وهي تقول: **"أنا بحاجة إليك.. لحماسك.. لإرادتك التي لم تجرب الإنحناء**

أمام سلطة أو جبروت.. لكل أفراد جيلك الذين لم يختبروا قسوة الاستبداد.. ليجرّدهم من إرادتهم.. فأنتم جيل نشأ في ظل سلطة أكثر عدالة"

كانت أطوار تستمع بصمت وهدوء لما كانت تقوله الأستاذة سلوان، ولكنها كانت ترتعش من العمق، تضحك بسعادة، وهي تشعر بإيمان سلوان بها.

كانا قد أكملا جولتهم في الحديقة حول المنزل، وعادا للجلوس في نفس الزاوية مجدداً.

قالت سلوان: **"لقد قررت أخيراً إنشاء جمعية للمطالبة بحقوق كل المعتقلين السابقين.. أريد أن يمثل كل الجناة أمام العدالة"** وبنظرة جادة التفتت نحو أطوار وهي تقول: **"أريدك أن تكوني معي.. أحتاج إليك.. ولكل من هم في مثل سنك.. ويملكون نفس الحماس"**

صمتت سلوان وهي تحدق في عيني أطوار، وتنتظر ردها، وهمست: **"ماذا..! أتوافقين..؟"**

ابتسمت أطوار، وأومأت برأسها بحماس، وأجابت: **"بالتأكيد"**

قالت سلوان وهي تجول بعينها في ملامح أطوار: **"الطريق**

لاتزال في بدايتها.. وهي ليست سهلة"

أطوار: **"أدرك ذلك تماماً"**

قطع تلك اللحظة صوت باب الحديقة يفتح ويغلق، وابتسمت أطوار بطريقة مشاغبة وهي تقول: **"لقد عاد البستاني"**

انتظرتا قدوم السيد شاكر، وبمجرّد أن نظر صوب الزاوية التي كانوا يجلسون فيها؛ استدار نحوهم، سار عدة خطوات، وحين اقترب؛ تعثرت قدمه بحفرة تتوسط الممر بالحديقة ووقع أرضاً، ركضت أطوار والأستاذة سلوان نحوه، وساعداه على النهوض، تمتم بكلمات سريعة وهو يقول بأنه كان ينوي لعدة مرات إصلاح ذلك الجزء من الممر، نفض التراب العالق على ملابسه، ونظر نحو الأستاذة سلوان، حدق فيها للحظات، ثم سأل من تكون السيدة..؟ أجابت أطوار بأنها الأستاذة سلوان حافظ، الناشطة الحقوقية.

ألقى عليها التحية بسرعة، ومن ثم طلب منها السماح له بالانصراف، لم يعجب ذلك التصرف الأستاذة سلوان، وبدا واضحاً على ملامحها الانزعاج.

انصرف السيد شاكر، وأطوار تدرك من خلال ملامح الأستاذة

أنها تشعر بتجاهلها.

وضعت أطوار يدها على كتف الأستاذة سلوان وهي تقول: **"والدي شخص يعتز بنفسه كثيراً.. ولابد من أنه شعر بالحرج بسبب تلك السقطة.. أرجو أن تتفهمي ما حصل"**

طلبت منها الأستاذة سلوان بأن لا تشغل بالها، وبأنها تفهمت ذلك.

تناولت حقيبة يدها، وطلبت من أطوار السماح لها بالرحيل، وأنها ستتصل بها لمناقشة بقية التفاصيل.

الفصل الرابع

بعد أسابيع طويلة من الاجتماعات والنقاش، تم تحديد موعد الإعلان عن تأسيس الجمعية والتي حملت اسم (صرخة) وعقدت الندوة الأولى للجمعية بحضور الصحافة والشخصيات الحقوقية في البلاد.

كانت السيدة سلوان ستتولى رئاسة الجمعية، وكلفت أطوار بأن تكون المتحدثة الرسمية باسمها، بينما ستكون صديقتها رحمة، أحد أعضاء دراسة الحالات التي تتقدم بشكواها إلى الجمعية.

تلك المرحلة كانت صعبة للغاية، فهم بحاجة للدعم المادي، ليتمكنوا من استئجار موقع للجمعية، وتأثيثه بما يلزم.

وشهدت الشهور التالية نشاطاً واسعاً من طرف أعضاء الجمعية، والتي بدأ العديد من الشباب بالانضمام إليها، مؤمنين بعدالة قضيتها ورسالتها.

ولم تخلو من محطات شعر فيها الجميع بالإحباط واليأس، وبأن معركتهم ستنتهي حتى قبل أن تبدأ، ولكن مع كل عضو جديد ينضم للفريق؛ كانت هناك سعادة، وشعور بالأمل، وكل خبر

يتم نشره بالصحافة حول نشاط الجمعية؛ كان يمنحهم قوة، ويعيد إليهم ثقتهم بأن قضيتهم عادلة وتستحق الكفاح.

وبالرغم من رتابة تلك الشهور، وقلة الأحداث التي جرت فيها؛ إلا أن أطوار لم تكن لتستسلم، وكانت دائماً ما تبتكر وسيلة أو تدلي بتصريح؛ تجعل من الصحافة تنشغل بأخبار الجمعية، ومتابعة مسيرتها.

في أحد صباحات يوم هادئ؛ ورد اتصال على هاتف الأستاذة سلون، وكان من مكتب حزب (من أجل العدالة) وطلب فيه المتصل تحديد موعد لتقوم السيدة سلوان بزيارة مقر الحزب.

لم يتضمن الاتصال الكثير من التفاصيل، ولكن سلوان كانت متحمسة للقاء، وشعرت بأن هناك أمراً جيداً سينتج عنه، وتم تحديد الموعد بعد أيام.

أقفلت سلوان خط الهاتف، واتصلت بأطوار على الفور لتبلغها بالخبر، ولم يكن حماس أطوار يقل عن السيدة سلوان.

وفي اليوم المحدد؛ توجهت السيدة سلوان وأطوار لمقر الحزب،

وبمجرّد وصولهم، تم إبلاغهم بأن السيد حسين شهاب، هو من طلب الاجتماع بهم.

لم تكن سلوان مستعدة بشكل كبير لهذا اللقاء، فهي تجهل أسبابه ودوافعه، وهي تنتظر أن يفصح الطرف الآخر عن أفكاره أولاً، لتحدد موقفها بعد ذلك.

لم يمض وقت طويل؛ ودخل السيد حسين شهاب برفقة شخصين من معاونيه، وبعد تبادل الترحيب، والأحاديث الودية السريعة؛ نظر السيد حسين بشكل مباشر وجاد باتجاه سلوان وهو يقول: **"لنبدأ في الحديث حول الأمور المهمة"**

وبعد لحظة صمت قصيرة قال: **"لقد قررت الترشح للرئاسة في الانتخابات القادمة.. وأنا بحاجة لأصواتكم"**

عبثت سلوان بوشاح الكشمير القرمزي الذي يحيط بكتفيها قليلاً، وعدلت من جلستها وهي تقول: **"نحن لا نصوّت.. نحن نصرخ بما نؤمن به فقط"**

رد السيد حسين: **"حسناً.. وأنا بحاجة لتلك الصرخات العالية"**

سلوان: **"لا يمكننا الصراخ إلا حين نشعر بدافع يجعلنا نصرخ من أجله"**

السيد حسين: **"يمكننا دائماً البحث عن تلك الدوافع.. وتبنيها إن لزم الأمر"**

كانت أطوار تجلس صامتة وهي تتابع ذلك الحوار الذي يدور بينهم، والذي كان لا يزال غامضاً، يحرص فيه كلا الطرفين على الحديث بدبلوماسية مبطنة ومشفرة، تحمل العديد من المعاني، ولكن ذلك لم يطل كثيراً، وأراد السيد حسين نقل الحوار لمستوى متقدم.

أراد من ذلك الحوار الحصول على تأييد كامل لجميع سياسات الحزب من طرف سلوان، بينما كانت سلوان تتحفظ على بعض السياسات، وتؤيد بعضها، وهنا قال لها: **"أعلم أنكم بحاجة للدعم لإكمال أهدافكم.. ونحن نملك المال لدعمكم.. ويمكنني أن أدرج ضمن برنامجي الانتخابي.. خطة لتكوين لجنة.. وفتح تحقيق شامل حول تلك المرحلة.. وتقديم كل المتورطين إلى المحاكمة"**

قاطعته سلوان وهي تقول: **"إن كنت تحاول مساومتي.. وأن تلك المحكمة ستكون مقابل موقف مؤيد بالكامل لك.. فانا أطلب منك عدم فعل ذلك"**

نهضت من على كرسيها، ونظرت نحوه وهي تواصل حديثها: **"عليك أن تكون على قناعة تامة.. بأن تلك المحكمة هي واجبك الوطني تجاه هذا الشعب.. إن كنت تظن بأنك فرد منه"**

انسحبت سلوان من ذلك الاجتماع، ولحقت بها أطوار على الفور، دون أن تتفوه بكلمة، لأنها شعرت بأن سلوان في حالة لا تسمح لها بمناقشة أي شيء.

عادت أطوار إلى منزلها ذلك المساء، وهي تشعر بشيء من الإحباط، وبعض الصدمة، من ردة فعل الأستاذة سلوان، والاجتماع الذي لم يدم لأكثر من ساعة..! فهي لم تتمكن من فهم موقف سلوان المتشدد، ورفضها القبول بتقديم بعض التنازلات؛ من أجل تحقيق بعض المكاسب.

وتفاقمت حالة الإحباط لديها في الأيام التالية، وهي ترى عدم حصول أي تطور في وضع الجمعية التي مضى على تأسيسها عدة أشهر، دون تمكنها من البدء بتنفيذ أي من مشاريعها.

بل أن كل المواقف التي تحصل؛ تعيد إليها الشعور بأنها تحارب من أجل قضية خاسرة، وتزداد قناعة بأن الحق لا يمكنه المواجهة وحده مهما حاول، ولابد له من قوة تعينه على كل ذلك.

واعتبرت بأن المسألة، ربما مسالة وقت لا أكثر، حتى تعلن استسلامها، وينهار كل شيء.

وفي تلك المرحلة؛ ابتعدت أطوار بنفسها عن الجمعية، أو التواجد بكثرة ضمن الفريق، ولم تعد على تواصل دائم مع الأستاذة سلوان كما السابق، فهي كانت لا تزال تشعر بالرفض لموقفها الأخير، الذي كانت تراه هي فرصة، بينما أضاعتها الأستاذة سلوان.

الفصل الخامس

استمرت الاتصالات ترد إلى هاتف أطوار من الصحفيين، ووسائل الإعلام الأخرى، تسأل عن أي جديد حول نشاط الجمعية، ولكن أطوار لم تكن تملك أي جديد لتخبر به الصحافة، الأمر الذي كان يشعرها بمزيد من اليأس.

وبدأت تلتفت لدراستها الجامعية أكثر، وهي تعتقد أنها بتحقيق النجاح بدراسة الحقوق، واكتساب الخبرة المهنية في هذا المجال؛ ستكون قادرة على تحقيق طموحها لتحقيق العدالة.

في أحد الأمسيات، وبينما كانت أطوار تجلس بغرفتها منهمكة في الدراسة، طرق والدها السيد شاكر الباب، ليسألها إن كانت ترغب في تناول العشاء معه..؟

ردت أطوار بأنها لا ترغب في ذلك الآن، وطلبت منه أن يتناول العشاء وحده.

أقترب منها السيد شاكر وجلس بجوارها وهو يسأل: **"أرى أن ابنتي الحبيبة بمزاج سيء منذ أسابيع.. ولا أدري ما الذي يعكر مزاجها..! دعينا نتحدث قليلاً"**

ابتسمت أطوار وردت على والدها بالنفي، وطلبت منه ألا يشغل باله بها، وأنها تشعر بالإرهاق فقط بسبب الدراسة.

لم يقنع ذلك الرد السيد شاكر، واستمر في محاولته معرفة سبب هذا الانزعاج الذي كانت تشعر به أطوار.

أغلقت أطوار الكتاب الذي كان بين يديها على الطاولة، والتفتت إلى والدها، وملامحها الباهتة تقول الكثير وإن لم تفصح هي عنها.

أمسك السيد شاكر بيدها وهو يقول: **"هل كبرت صغيرتي إلى هذا الحد.. لتكون لديها حياتها الخاصة.. ومشاكلها التي لا ترغب بمشاركتها مع والدها..! لازلتِ صغيرتي.. لا تنسي ذلك"**

صمت بعدها للحظات، وعاد ليقول لها ممازحاً: **"هل الأمر يتعلق بالحب..؟"**

ضحكت أطوار وهي تقول: **"لا يا أبي.. لست ممن يبحثون عن الحب..!"**

وبعد أن انتهت من الضحك؛ التفتت نحو النافذة وتأملتها قليلاً، وعادت لتقول: **"في الحقيقة يا أبي.. المسألة تتعلق بالجمعية**

والأستاذة سلوان.. أشعر بيأس وإحباط عميقين"

أخذت بعدها نفساً عميقاً وهي تكمل: **"أكره الحديث بهذه النبرة المنكسرة.. لقد تعلمت منك أن أكون قوية دائماً.. وهذا الضعف الذي أشعر به يكاد يقتلني..!"**

بدأت بعدها أطوار تحكي للسيد شاكر كل ما كانت تشعر به، والسبب وراء كل ذلك، وتفاصيل الاجتماع الذي حصل منذ أيام.

استمع إليها السيد شاكر بصمت؛ حتى أنهت حديثها.

نهض من مكانه وتوجه نحو الباب وهو يقول بأنه سيقوم بإعداد العشاء له ولها، وسيكمل الحديث معها بعد ذلك.

بعد أن انتهت أطوار والسيد شاكر من تناول العشاء، طلب منها اللحاق به إلى الحديقة.

كان لا يزال الإحباط يرمي بظلاله على ملامح أطوار، والسيد شاكر يدرك ذلك.

أراد أن يكسر حاجز الصمت ذاك، ويدفع أطوار للحديث؛ فبادرها بسؤال: **"هل أنتِ مؤمنة بهذه القضية..؟"**

أطوار: **"بالتأكيد يا أبي.. تعلم مدى كرهي للظلم.. وهذه القضية هي ما أبحث عنه لأثبت لنفسي أولاً قبل أي أحد آخر.. بأنني أقف دائماً في الجانب الصحيح.. ومع العدالة"**

السيد شاكر: **" إنكِ تقحمين نفسك في حرب لا تعنيكِ في الحقيقة يا ابنتي.. الحياة ليست كما تتصورينها.. بطولات.. أو انتصارات سهلة.. هذه الحياة لم تكن يوماً عادلة.. لا يكفي أن نؤمن بعدالة القضية.. لكي ننتصر"**

أطوار: **"إن خسرت.. وهذا ما يبدو عليه الأمر.. يكفيني شرف المحاولة"**

السيد شاكر: **"تتحدثين وكان المسألة بالنسبة لك إجازة على شاطئ البحر.. يمكنك قطعها والعودة ببساطة لممارسة حياتك إن لم ترق لك.. هذه القضية ستجعل منك خصماً.. بل عدواً لكثيرين.. لن يقفوا مكتوفي الأيدي وهم يرونك تحاولين جرّهم إلى القضاء"**

أطوار: **"أدرك ذلك جيداً.. ولكني لست وحدي.. ولا زلنا نبحث عن طرف قوي بمقدوره تبني قضيتنا"**

السيد شاكر: **"أنتِ ومن معكِ تعيشون في أوهام.. لا تسمحي**

لمجرّد حماس الشباب المتدفق في عروقك.. أن يدفعك لمثل هذه الحماقات.. لا يزال العديد ممن تسعين لمحاكمتهم يملكون المال والسلطة.. وهذا الزواج بين المال والسلطة أقوى من العدالة التي تتشدقين بها"

كان الحوار بدأ يأخذ منحنى تصادمي بين أطوار والسيد شاكر، فهي متمسكة بمبادئها، بينما هو يعتقد بأن القضية التي تحارب من أجلها أطوار قضية خاسرة، وقد تمثل خطراً مباشراً على سلامتها.

ولكن أطوار كانت ذات شخصية عنيدة، وهذا النقاش وتلميحات السيد شاكر يدعوها للتحول في موقفها، من موقف المدافع إلى موقف الهجوم، لينتهي النقاش بينهم بصدام، وفضل السيد شاكر حينها الانسحاب، والذهاب إلى النوم.

جلست بعدها أطوار وحيدة في الحديقة، وهي تستعيد كلمات السيد شاكر، وكل تلك التلميحات التي رمى بها في وجهها، وهو يحاول التبديل من قناعاتها، وإفهامها بأن القضية ستواجه صعوبات كثيرة، ستؤدي بها حتماً إلى الفشل، ثم استعادت موقف الأستاذة سلوان الأخير، وشعرت حينها بأنها في أشد حالات الضعف التي مرّت بها على الإطلاق.

لم تعتد أطوار البكاء أمام أي موقف سابق واجهته في حياتها، ولكنها في هذه المرّة بكت، وحاولت تجفيف دموعها بسرعة، وكأنها تخشى حتى من نفسها أن ترى دموعها.

لم تكن أطوار تبكي لشعورها بالضعف؛ بل كانت تشعر بمرارة وألم تجاه كل أولئك المظلومين وعائلاتهم، وبأن حقهم الطبيعي في العدالة مكتوب له ألا يتحقق أبداً.

لم تكن القضية قضيتها، أو قضية الأستاذة سلوان فقط؛ بل كانت قضية الآلاف من البشر، ممن تم اعتقالهم والزج بهم في السجون، من أجل كلمة، أو لمجرّد التلميح بالرفض، وكل ذلك من أجل أن ينعم أحدهم بالسلطة المطلقة، وبحياة مليئة بالبذخ.

كانت تتخيل صرخاتهم وملامحهم المتألمة تحت سياط جلاديهم، ودموع الأمهات، والزوجات، واليتامى ممن فقدوا أباءهم، وهي غير قادرة على استيعاب فكرة أن ينجو الجناة بعد كل ذلك الجحيم الذي تسببوا به للأبرياء، ذنبهم الوحيد أنهم أرادوا الحرية.

وتعجبت، كيف يسمح لكتاب مكيافيلي أن يكون متداولاً، ومتاحاً لأي قارئ، بينما يمنع نشر مقال صغير يطالب بالعدالة في صحيفة.

ذلك الواقع كان يتصادم بشكل صارخ مع مبادئها، ولا يمكنها القبول به كواقع، لمجرّد أنه يفرض نفسه.

الفصل السادس

في صباح اليوم التالي؛ اتصلت الأستاذة سلوان بأطوار، وطلبت منها زيارتها مساء اليوم في منزلها.

حضرت أطوار إلى منزل سلوان حسب الموعد، وحين دخلت إلى الداخل؛ تفاجأت بوجود شخص لا تعرفه في ضيافة سلوان.

وكان رجلاً طويل القامة، وصاحب بنية جسدية ضخمة، وصوت غليظ، له شعر أشقر داكن خشن، قد تجاوز الستين من عمره.

اقتربت أطوار من حيث كان يجلس الضيف، وألقت عليه التحية.

وبدورها قامت سلوان بتقديمه لأطوار: **"الأستاذ ياسر عبدالسلام .. محامي"**

ومن ثم طلبت منهم سلوان الجلوس، والانتظار لحين فراغها من إعداد القهوة.

انصرفت سلوان، ونظر الأستاذ ياسر نحو أطوار وهو يقول لها: **"ألم تلحظي بأنها اكتفت بتقديمي إليكِ فقط..؟"**

ردت أطوار بأن ذلك لا يهم، وقالت يمكنني فعل ذلك بنفسي: **"أطوار شاكر.. الناطقة الرسمية باسم جمعية صرخة.. وطالبة بكلية الحقوق"**

ابتسم الأستاذ ياسر وهو يقول: **"في السنة ما قبل الأخيرة.. أليس كذلك..؟"**

أطوار: **"نعم"**

أخرج الأستاذ ياسر من جيبه سيجاراً، وأشعله، ثم سأل أطوار: **"أتمنى ألا تزعجك رائحة التبغ..؟"**

ثم واصل القول: **"في الحقيقة.. لم تكلّف سلوان نفسها عناء إعادة تعريفي بك.. لأنها سبق وأن فعلت ذلك.. وأنا كنت أتوق منذ أيام للقائك.. فهي تحدثت عنك كثيراً.. وبطريقة أثارت فضولي تجاهك"**

اكتفت أطوار بابتسامة مجاملة لطيفة، دون أن تعلق بكلمة.

عاد الأستاذ ياسر للحديث؛ بعد أن كان قد أخذ عدة أنفاس من سيجاره، ونفث دخانه عالياً، ليقول: **"قد تكونين استثناءً..**

فأنا لا تروقني أفكار جيلك.. واهتماماته.. وفي العادة يأتي إليَّ في مكتبي العديد من الطلاب حديثي التخرج من كلية الحقوق.. للتدريب أو للحصول على عمل.. ولكني نادراً ما أتحمس لأحدهم"

عادت سلوان وهي تحمل بيدها صينية القهوة، وقدمتها لضيوفها، وجلست على الأريكة.

نظرت نحو أطوار، وأبلغتها بأن الأستاذ ياسر سيكون الممثل القانوني للجمعية، وأنه سيقدم خدماته بشكل تطوعي هو الآخر.

والتفت الأستاذ ياسر نحوها هو الآخر وهو يتعهد بأنه سيبذل ما بوسعه في سبيل تحقيق العدالة لكل الضحايا.

شعرت أطوار بداخلها بشعور جميل، أعاد إليها بعضاً من الثقة، والإصرار الذي كانت بدأت تفتقده منذ أسابيع، وبالرغم من أنها لم تتقبل كثيراً شخصية الأستاذ ياسر، التي بدت لها متعجرفة ومتكلفة بعض الشيء؛ إلا أنها حدثت نفسها وهي تقول: **لا بأس.. فها نحن نتقدم خطوة أخرى إلى الأمام.. وانطباعي الشخصي تجاهه لن يشكل عائقاً.. مقابل الفائدة التي سيحققها هذا التعاون.**

مضى بعض الوقت في مناقشة بعض التفاصيل بينهم، وبعدها طلب الأستاذ ياسر منهم السماح له بالمغادرة، وقبل أن يغادر ناول كرته الشخصي لأطوار، وهو يبدي استعداده لاستقبالها في مكتبه، متى حان موعد حصولها على التدريب؛ بل أبدى رغبته في أن تبدأ بالتدرب حتى قبل ذلك.

انصرف الأستاذ ياسر، وساد جو من الصمت للحظات بين أطوار والسيدة سلوان.

التفت سلوان بعدها نحو أطوار وهي تقول: **"أعلم جيداً ما كنتِ تشعرين به في الأسابيع الماضية"**

شبّكت أطوار أصابعها، ووضعت كفيها بين فخذيها وضمتهما وهي تهز كتفها، وتبدو على ملامحها ابتسامة باهتة وخجولة تصرح بعدم رغبتها في التعليق..!

نهضت السيدة سلوان من على أريكتها التي كانت تجلس عليها، واقتربت وجلست على الأريكة الأخرى بجوار أطوار، وأمسكت بيدها وهي تقول: **"هل تعلمين ما الذي يدعوني للشعور بأننا سننجح..!"**

كانت أطوار تجلس وهي ترخي برأسها نحو الأسفل، ودون أن

تنظر إلى السيدة سلوان، فمدت سلوان يدها وأدارت وجهها نحوها، وعادت لتقول: **"لا زلتي صغيرة بعض الشيء.. مندفعة.. غير قادرة على كبح هذا الاندفاع الذي يثور داخلك.. إنكِ كالفرس التي تنتظر أن تفتح لها الأبواب في مضمار السباق.. لتتمكن من الانطلاق والركض.. والفوز في السباق.. هذا الاندفاع أنا بحاجة إليه.. ولكنكِ يا أطوار أنتِ أيضاً بحاجة إلى شيء أملكه أنا.. شيء لا يمكنك الحصول عليه من خلال القراءة فقط.. وهذا الاندفاع قد يكون مهلكاً إن لم تتمكني من السيطرة عليه.. إنها التجارب التي عليكِ خوضها.. الدروس التي ستتعلمينها بعد كل سقطة.. من خلال الألم.. وحده الألم قادر على أن يشكّلنا لنكون أكثر حكمة.. لأننا ذقنا قسوة الألم مرّة بعد تلك السقطة.. ونرغب في تجنبه.. وتجنب تكرار الشعور به مجدداً"**

ابتسمت السيدة سلوان ابتسامة دافئة وهي تنظر في عيني أطوار وتحدثها: **"سننطلق.. أعدك بذلك.. ولكن دون أن نتعثر"**

ردت أطوار بنبرة يأس وعتب: **"كان ذلك الاجتماع فرصتنا لتحقيق مكاسب تدعم أهدافنا.. ولكني أشعر بأننا خسرنا تلك الفرصة..!"**

سلوان: **"إننا نلوم أنفسنا دائماً على استمرارنا في اقتراف الأخطاء.. ولكننا ننسى غالباً لوم أنفسنا على أول خطأ اقترفناه.. بالرغم من أن الخطأ الأول هو باب الشر الذي يسوقنا لاقتراف الأخطاء اللاحقة.. وتقديم التنازلات في بداية الطريق.. سيكون التنازل الذي فتح المجال لتقديم المزيد من التنازلات"**

وبنبرة حاسمة قالت سلوان: **"وأنا لن أقدم على اقتراف خطيئة التنازل الأول"**

الفصل السابع

بدأ العام الدراسي الجديد، بالتزامن مع بداية فصل الشتاء، والذي كان العام الأخير لأطوار بالجامعة، ولم يتبقَ لها الكثير لتصل إلى تحقق حلمها والتخرج من الجامعة، بالرغم من أنها تدرك بأن المشوار لا يزال طويلاً أمامها، لتحقيق كل ما تطمح إليه.

استيقظت في صباح أحد الأيام، وتناولت وجبة الإفطار بسرعة، وارتدت ملابس سميكة تقيها قسوة البرد بالخارج، فقد هطل الثلج لأول مرّة هذا الشتاء طوال الليلة الماضية، وكانت أطوار تتوق للخروج ومشاهدة منظر الثلوج، وهي تحدث نفسها بأن هذا التغيير في الفصول سيمنحها شعوراً بالتجدد والتغيير، وأنها تتلهف لهذا الشعور.

خرجت من المنزل، ومشت بممر الحديقة المؤدي إلى الشارع، وهي تتأمل جمال اللون الأبيض الذي يفرش بساطه على الأرض، ويغلف قضبان السياج الذي يمتد على جانبي الممر، وبعض الثلوج التي استرخت فوق أغصان أشجار الحديقة، لتلمح والدها السيد شاكر يقف في أحد أطرافها.

اقتربت منه وألقت عليه تحية الصباح.

التفت نحوها السيد شاكر، ورد التحية وهو يبتسم ويتأمل في ملامح أطوار، وعاد ليقول: **"تبدين جميلة بقبعة الصوف التي ترتدينها على رأسك.. وبأنفك المحمر خجلاً من ملامسة الهواء البارد له"**

ضحكت أطوار وهي تقول لوالدها: **"لقد أخجلتني يا أبي"**

السيد شاكر: **"كنتُ دائماً أجلس وأتأمل والدتك رحمها الله وهي تقوم بتجهيزك.. لأصحبك إلى المدرسة في مثل هذه الأجواء الباردة.. كانت تحاول أن تحميكِ من برد الشتاء.. وتعتني بك.. كنتِ طفلتها الوحيدة التي تخشى عليها من كل شيء.. ومن ثم تقوم باحتضانك قبل أن تغادري.. وكأنها ترغب في أن تمنحك بعضاً من دفء جسدها.. وكأن كل تلك الملابس لا تبدو كافية بالنسبة لها لتشعرها بالاطمئنان عليكِ.. أو.. أو لأنها كانت تدرك بأن الحب هو الدفء الحقيقي الذي تحتاجينه منها"**

توجه السيد شاكر بنظره نحو البعيد، وهو يقول: **"نعم كنتِ طفلتها الوحيدة.. ولكن بالنسبة إلي كانت هي طفلتي الكبيرة.. وأنتِ الصغرى"**

وأطلق بعدها زفرة من أعماقه، خرجت دافئة، وما لبثت وأن حولها البرد إلى بخار كثيف يحمل بين ذراته الكثير من الشعور بألم الفقد، ليحلق بعيداً عنه ويتلاشى ببطء..!

اقتربت أطوار من والدها، وأغمضت عينيها وضمته بقوة، وهي تقول: **"دعني إذاً أحصل على بعض دفء الحب منك يا أبي"**

ثم أرخت يديها من حوله قليلاً وسألته، لم هوَ واقف في الحديقة في هذا الجو..؟!

رد السيد شاكر، بأنه كان يقف ويتأمل أزهاره التي غطت في سبات عميق، بعد أن تخلت عن أوراقها وأزهارها التي كانت تزين أغصانها، وبأنه سيشتاق لكل تلك الألوان، ولكنه يعجز عن حمايتها من البرد.

ردت أطوار: **"لا عليك يا أبي.. سيعود الربيع بعد عدة أشهر مجدداً.. وستعود حديقتك لتزهر من جديد.. اترك أزهارك الآن تغفو وتحلم.. فكل جمال في هذه الحياة يبدأ بحلم.. اتركها تواجه قسوة الشتاء.. لتشعر بلذة الربيع حين يعود ليوقظها.. وستحكي له عن كل أحلامها.. وتعبّر له عن شوقها إليه من خلال زهرة تتفتح على خاصرتها"**

انصرفت أطوار بعدها، وأكملت طريقها نحو الجامعة.

لم يكن جدول أطوار في ذلك اليوم يزدحم بالمحاضرات، فقضت بعض الوقت مع صديقاتها في حديقة الجامعة، وانهمكت معهم في صنع رجل الثلج.

وما أن انتهت من ذلك، وهمت أطوار بالتوجه لقاعة المحاضرات، حتى رن جرس هاتفها.

عبثت بحقيبة يدها قليلاً، وأخرجت هاتفها، لترى من المتصل..؟ وكانت سلوان هي من يقوم بالاتصال بها.

ردت أطوار بسرعة، وتبادلا تحية الصباح فيما بينهم، وبعدها اخبرتها السيدة سلوان بأن مكتب السيد حسين شهاب عاود الاتصال بها منذ قليل، ويطلبون عقد لقاء آخر معها صباح الغد، وسألتها سلوان إن كان بإمكانها مرافقتها.

ردت أطوار بأنها لن تفوت حضور الاجتماع بالطبع، وأنها ستعتذر عن محاضرات الغد بالجامعة.

عادت أطوار ذلك المساء إلى المنزل، وهي تسأل نفسها كيف سيكون شكل اللقاء هذه المرّة، وهل سينتهي إلى نفس النتيجة..؟ أم أنه سيحمل لها الجديد..؟!

كانت مرتبكة وغير واثقة، خاصة بعد ما لمسته من إصرار السيدة سلوان وعدم استعدادها لتقديم أي شكل من التنازلات.

وبقيت طوال اليوم وهي تقلّب الأفكار في رأسها، وبداخلها حافز لتدافع عن هذا الحلم، وعدم السماح له بأن ينهار، ويلقي بها في بؤرة اليأس مجدداً.

وأوت إلى فراشها في وقت متأخر، ولكنها لم تتمكن من النوم، وضلت الأفكار تجول في رأسها.

نهضت ووقفت عند نافذتها، وأخذت تتأمل من خلالها القمر وهو يرسل ضوءه الفضي وينشره في زوايا الحديقة.

تناولت شالها الصوفي السميك، ووضعته على كتفها ولفت به صدرها، وخرجت تتجول في الحديقة، إلى أن اقتربت من شجيرة الورد الأبيض، ونزلت على ركبتيها، وبدأت تتلمس فروعها العارية من كل شيء، وتهمس إليها وتسألها: **"هل تشعرين بالبرد..؟ أرجوكِ تماسكي.. لايزال الربيع بعيداً..**

ولكنه حتماً سيأتي.. فالفصول لا تخلف مواعيدها أبداً.. وهذا ما يجعلنا ننتظر دائماً بأمل.. بأن كل ما يرهقنا سيأتي وقت وسيزول.. وتعود شمسنا لتشرق من جديد.. وتنشر من حولنا دفئها لنعود ونزهر.. فهل ستزهرين مجدداً حين يحل الربيع..؟ عديني بأنكِ ستفعلين"

سمعت بالقرب منها صوت خرفشة لطيفة، وبدأت تجول بنظرها في المكان، لتلمح سنجاباً صغيراً يتجول بالحديقة.

ابتسمت وهي تحدث نفسها: **يال السنجاب المسكين.. لابد وأنه يبحث في المكان عن حبات البندق التي خبأها هنا طوال الصيف.. ليقتات عليها في فصل الشتاء.. ولكنه لا يتمتع بذاكرة كافية ليجدها مرّة أخرى..!**

استدارت نحوه وقربت كفها منه، فقفز السنجاب على يدها، وبدأ يتحرك بسرعة، وهي تتأمله وتبتسم، وتحدثه وتقول: **"إنك كائن صغير وضعيف.. ولكنك دائماً ما تكون سبباً لنشأة حياة أخرى.. لكائن آخر.. سينبت من تحت الأرض.. ويبدأ بالنمو.. ليتحول مع الزمن إلى شجرة كبيرة.. تنشر أغصانها عالياً.. وتكون ملجأ وسكناً لسناجب أخرى.. وربما ستكون تلك السناجب في الحقيقة أبناءك أنت..!"**

ثم أرخت يدها، وهي تقول: **"اذهب.. فلن يتركك الله تائهاً وجائعاً في هذا الليل البارد"**

الفصل الثامن

استيقظت أطوار صباح اليوم التالي، وبدأت على الفور تستعد للخروج ولقاء الأستاذة سلوان.

ارتدت ملابسها المعتادة، وخرجت تمشي حتى وصلت إلى محطة المترو.

وصلت إلى مقر الحزب قبل الموعد بقليل، ووقفت عند البوابة بانتظار وصول السيدة سلوان، إلى أن لمحتها وهي قادمة من بعيد برفقة الأستاذ ياسر المحامي.

وقفت تتأمل السيدة سلوان وهي تقترب، نظرت إلى خطواتها المتزنة وهي تسير ببطء، إلى أناقتها، والتزامها دائماً بالملابس الرسمية، وقد ارتدت هذا الصباح معطفاً طويلاً يقيها من البرد، لتعود وتنظر إلى نفسها، وتتأمل هيئتها وملابسها التي اعتادت على ارتدائها باستمرار (سروال جينز وتيشيرت أو قميص) وكأنها أحد الذين يعيشون بطريقة بوهيمية، وأدركت بأن هيئتها تلك، لم تكن مناسبة أبداً للقاء من هذا النوع.

وصلت الأستاذة سلوان والقت عليها التحية، وتوجهوا نحو

الداخل، ووجدوا هناك موظفاً بانتظارهم، فطلب منهم التوجه نحو القاعة المحددة للاجتماع.

مضت بضعة دقائق، ودخل السيد حسين شهاب برفقة عدد من معاونيه، وأخذ مقعده مقابل السيدة سلوان.

جلس السيد حسين، ووضع كلتا يديه على الطاولة أمامه وهو يضمهما إلى بعضهما، وابتسم وهو ينظر إلى سلوان.

بادرت الأستاذة سلوان بتقديم الأستاذ ياسر إليهم، وتعريفهم به.

بعدها مد أحد معاوني السيد حسين يده في جيبه، وأخرج مفتاحاً ووضعه على الطاولة أمام السيد حسين.

نظر السيد حسين إلى المفتاح، ومد يده بهدوء وقرّبه باتجاه سلوان.

رمقت سلوان المفتاح بنظرة سريعة، وعادت تنظر في وجه السيد حسين، بانتظار تفسير لذلك..؟!

انحنى السيد حسين قليلاً نحو الطاولة، ثم قال: **"هناك مبنى كان يستخدمه الحزب سابقاً.. قبل الانتقال لمقره الجديد هذا.. ولم يعد مستخدماً.. وبإمكانكم الاستفادة منه كمقر للجمعية.. والبدء بمزاولة نشاطكم"**

أبدت سلوان ردة فعل باردة، وهي تقول: **"سيكون ذلك مناسباً لنا جداً"** ثم انحنت هي الأخرى نحو الطاولة، وهي تسأل: **"ولكن ليس قبل أن أعرف المقابل..؟!"**

نظر السيد حسين إلى سلوان، وقال: **"لن يكون من المنصف أبداً مساومة أحدهم على مبدأ أخلاقي يؤمن به.. ولقد تأملت في كلامك في الاجتماع السابق"**

بعدها ارتبك السيد حسين قليلاً وهو يكمل: **"لقد شعرت بالحرج مما دار بيننا في الاجتماع ذاك.. ويجدر بي أن أكون أحد المطالبين بتحقيق العدالة.. كشخص يطمح لزعامة شعب"**

ابتسم السيد حسين، وعاد ليقول: **"لن تكون هناك مساومات على المواقف بعد الآن"** ثم تحدث بنبرة هادئة وهو يقول: **"أحتاج لأصواتكم"**

ضحكت سلوان وهي تقول: **"تقصد صرخاتنا..؟"**

رد السيد حسين: **"أريدها أن تكون عالية.. أولئك الضحايا يجب أن يحصلوا على حقهم في العدالة.. والتي تأخرت كثيراً"**

عاد السيد حسين وأسند ظهره إلى ظهر المقعد، وأمسك بيده قلماً كان موضوعاً على الطاولة أمامه، وبدأ يحركه ويعبث به

بين أصابعه وهو يقول: **"في الحقيقة.. لدي موعد للظهور على قناة تلفزيونية بعد غد.. وسأعلن من خلاله برنامجي الانتخابي.. وسيكون من المناسب جداً أن يتضمن بنداً عن محاكمة كل الجناة.. وتحقيق العدالة لكل الضحايا"**

نهض السيد حسين وهو يستعد للمغادرة، ويقول: **"يمكن لفريقي مناقشة بقية التفاصيل مع الممثل القانوني للجمعية.. وتوقيع الاتفاقية"**

ابتسم، وطلب منهم السماح له بالمغادرة، ليعود ويتوقف للحظة، والتفت نحو سلوان وهو يضع يده على جبينه ويعتذر منها بأنه نسي إخبارها، بأن عليهم المرور على مكتب المدير المالي للحزب لاستلام شيك بمبلغ سيساعدهم في تجهيز مقر الجمعية.

ظلت أطوار صامتة طوال الاجتماع دون أن تتفوه بكلمة، أو تبدي أي ردة فعل.

ولكن وبمجرّد خروجها برفقة السيدة سلوان من مقر الحزب صرخت، وأمسكت بكلتا يدي السيدة سلوان وبدأت بالدوران والقفز، تعبيراً عن سعادتها وهي تقول: **"لقد فعلتيها يا أستاذة سلوان.. لقد نجحنا.. لا يمكنني تصديق ما يحصل..!"**

اكتفت السيدة سلوان بضحكة رقيقة، وطلبت منها التوقف كي لا تقعا على الأرض.

قالت أطوار بلهفة: **"أريد أن نذهب الآن لمعاينة المبنى"**

ابتسمت سلوان وقالت بأن ذلك ما تنوي القيام به فعلاً.

وطوال الطريق، كانت أطوار تشعر بحماس، وهي تتلهف للوصول إلى مقر الجمعية ومعاينته.

وصلتا إلى العنوان بعد وقت قصير، وهناك قابلهم حارس المبنى، والذي كان على علم مسبق بأن المبنى سيستخدم من طرف جمعية حديثة النشأة.

فتح لهم البوابة الخارجية، ودخلتا وسارتا في ممر يقطع الحديقة الصغيرة أمام المبنى، ويمتد لبضعة أمتار.

كان مبناً قديماً بعض الشيء، ولكن يبدو أنه بحالة جيدة، متوسط الحجم، ومكوناً من طابقين.

أخرجت سلوان المفتاح من جيبها، وفتحت الباب، ليدخلا إلى

ردهة واسعة، بأرضية رخامية جميلة وبراقة، وتتوزع حولها عدة غرف متوسطة الحجم.

صعدا إلى الطابق العلوي، وتجولتا بين الغرف، وهما يناقشان توزيع المكاتب ومهمة كل مكتب.

وتم تحديد أحد المكاتب الكبيرة ليكون مكتب السيدة سلوان، ومكتباً آخر متوسط الحجم ليكون مكتب أطوار.

ثم ضحكت أطوار وهي تحدث الأستاذة سلوان، بأن عليها اختيار مكتب مناسب لصديقتها رحمة، ويجب أن يكون مناسباً لذوقها؛ وإلا لن تتمكن من التخلص من تذمرها.

قالت سلوان: **"إذاً دعيها تأتي وتختار المكتب الذي يناسبها"**

عاودتا النزول للطابق الأرضي، وتوقفت سلوان أمام قاعة واسعة للحظات، وهي تضع أصبع يدها على شفتها، وتقوم بقضمها، وكأنها تفكر بشيء.

ثم التفتت نحو أطوار وقالت: **"سيكون هذا المكان مناسباً.. لاستخدامه كصالة للمؤتمرات الصحفية التي ستعقدينها"**

تقدمت أطوار عدة خطوات نحو الداخل، وبدأت تتأمله، ثم التفتت نحو سلوان وهي تقترح بأن يتم وضع شعار الجمعية

هناك على الجدار خلف المنصة التي ستقف عليها.

ووافقتها سلوان في ذلك.

اقتربت أطوار من السيدة سلوان، وبدا عليها بعض الارتباك، وشعرت سلوان بأن أطوار ترغب في قول شيء..! وسألتها عما يدور في بالها..؟

ردت أطوار: **"في الحقيقة.. كنت أقف اليوم عند بوابة الحزب وأتأمل اقترابك.. لقد تأملت جاذبيتك بهذه الملابس أستاذة سلوان"**

ضحكت أطوار بخجل، وعادت لتقول: **"ثم نظرت إلى هيأتي.. وكيف كنت أبدو بهذه الملابس البسيطة..!"**

توقفت عن الكلام للحظات وهي تنظر في عيني السيدة سلوان، وقالت: **"أريد أن أبدو مثلك سيدتي"**

ابتسمت سلوان وهي ترد عليها: **"ستبدين في غاية الجمال.. وستتفوقين عليَّ بأناقتك.. أنا واثقة من ذلك"**

الفصل التاسع

مضى يومان على ذلك الاجتماع، وفي المساء جلست أطوار أمام جهاز التلفزيون بانتظار بدء عرض البرنامج، وبانتظار ظهور السيد حسين شهاب.

جلست على الأريكة، تلحفت بشالها الدافئ، وأعدت لنفسها كوباً من القهوة السوداء المرة، واكتفت بحلاوة الأمل الذي كانت تشعر بمذاقه على شفاهها.

أمسكت بجهاز التحكم، وبدأت بالبحث عن القناة، وجلست تترقب، ثم تناولت هاتفها المحمول، واتصلت بالأستاذة سلوان، لتسألها إن كانت هي الأخرى بانتظار بدء البرنامج.

وكانت سلوان بدورها تجلس في منزلها أمام التلفزيون مثل أطوار.

أقفلت الخط، ثم تذكرت شيئاً، فقفزت مسرعة نحو غرفتها، وعادت وهي تحمل بيدها كتاب (مكيافيلي) ووضعته على الطاولة أمامها، وهي تنظر إلى غلاف الكتاب، وتتأمل صورة الكاتب، وتحدثه سراً في نفسها: **سنكسر كل قواعدك.. ونبدد**

كل قيمك.. ونفضح كل خططك.. سننتصر.. وستكون أنت الخاسر.

وكأن ذلك الصراع الذي تخوضه أطوار، قد تحول إلى صراع شخصي بينها وبين مكيافيلي، وإن كان قد مضى على موته عدة قرون، إلا أنها تدرك جيداً، بأن الإنسان بإمكانه أن يستمر بالعيش، من خلال أفكاره التي عمل على ترسيخها طوال مدة حياته.

ولكنها الآن تملك إصراراً لقتل كل تلك الأفكار.

مضت عدة دقائق، وبدأ عرض البرنامج، وبعد مقدمة قصيرة؛ ظهر السيد حسين شهاب على الشاشة، وجلس على مقعده، وبدأ الحوار.

كانت أطوار تجلس وتستمع لكل ما كان يقوله حسين شهاب باهتمام -فهي تشعر بأنها باتت جزءاً من هذه المسألة- وبانتظار أن يعلن عن كل فقرات برنامجه الانتخابي.

وبعد مضي نحو ٤٠ دقيقة من وقت البرنامج، بدأ حسين شهاب في الحديث عن نيته لتشريع قانون يعيد لضحايا النظام السابق، حقهم في العدالة، وتقديم كل المتسببين بتلك المآسي إلى العدالة،

وبأن ذلك سيتم من خلال التعاون مع جمعية (صرخة) والذي ترأسه السيدة سلوان حافظ.

تابعت أطوار حديثه، وهي تشعر بكثير من التوتر، وشيء ما بداخلها يرتعش من السعادة التي كانت تشعر بها.

وما أن انتهى عرض البرنامج، حتى قفزت من فوق الأريكة وبدأت بالصراخ، وتناولت هاتفها وعاودت الاتصال بسلوان.

فزع السيد شاكر حين سماعه لصرخة أطوار، وخرج من غرفته مسرعاً ليطمئن عليها.

ردت سلوان على الاتصال، ووقف السيد شاكر في أحد جوانب الصالون ينظر إلى أطوار، وينتظر أن تنهي المكالمة ليسألها عن السبب الذي يدعوها للصراخ..؟!

وبمجرّد أن ردت الأستاذة سلوان، بادرتها أطوار بالقول بسعادة كبيرة: **"لقد قالها.. قالها وأخيراً.. هذا الأمر يبدو حقيقة الآن.. حلمنا يتحول إلى حقيقة أمامنا.. ويمكننا أخيراً الشعور به"**

ردت سلوان: **"علينا الآن أن نبدأ في العمل بجدية"**

أطوار: **"أتوق لذلك.. يا الله كم هو جميل ما أشعر به الآن..!"**

أنهت أطوار المكالمة، وسرحت وهي لا تزال تمسك الهاتف بيدها وتتأمله، ولم تكن بعد قد انتبهت لوجود والدها هناك.

السيد شاكر: **"ما بك يا أطوار.. لم كنتِ تصرخين بهذا الشكل.. لقد أفزعتني..؟!"**

التفتت أطوار نحو والدها، ووجهها يشرق بابتسامة رقيقة، ناعمة، وساحرة، وردت: **"لقد قالها يا أبي"**

صمت السيد شاكر للحظة، وعاد ليسأل: **"من..؟! أهو زميلك بالجامعة..؟"**

أطرقت أطوار في وجه السيد شاكر للحظات، وهي تحاول استيعاب سؤاله..! ثم انفجرت بالضحك، وهي ترد: **"ما بك يا أبي.. ألهذا الحد تتوق للخلاص من وجودي بالمنزل.. ولا يشغل تفكيرك سوى مسألة اقتراني بزوج..؟!"**

وبعدها بدأت أطوار تشرح لوالدها ما كان يحصل، وسبب سعادتها.

صمت السيد شاكر وهو يستمع لحديث أطوار، وتبدلت ملامحه قليلاً، وكأنه بدا منزعجاً..! وأجاب: **"ظننت أن تلك التفاهات قد انتهت..! ولم أدرك بأنكِ لا زلتي مستمرة بهذا الجنون..!"**

انزعجت أطوار من الطريقة التي تحدث بها والدها، وردت: **"أجل أدرك بأنه جنون.. ولكن لا يمكنك وصفه بالتفاهة أبداً"**

ومن ثم بدأت بجمع أغراضها من فوق الطاولة، وانصرفت نحو غرفتها، وهي تقول: **"أعتذر.. لا يمكنني خوض هذا النقاش معك يا أبي"**

الفصل العاشر

في مساء اليوم التالي، اتصلت أطوار بصديقتها رحمة، وطلبت منها لقاءها، للذهاب إلى مقر الجمعية لتختار رحمة المكتب الذي يناسبها، وأنها ترغب بعدها بأن ترافقها في مشوار آخر.

وبالفعل فقد توجهت في المساء إلى مقر الجمعية، واختارت رحمة المكتب الذي ترغب فيه، وبعدها توجهت أطوار إلى السوق.

كانت أطوار تبحث عن ملابس مختلفة هذه المرّة، وأدهش ذلك صديقتها رحمة، فهي اعتادت على طريقة أطوار في اختيار ملابسها، وهما من جيل واحد، يفضل نمط محدد من الملابس.

كانت ترغب في ملابس ذات طابع رسمي، وبدأت باختيار العديد منها، وهي تخبر صديقتها بانها ترغب في أن تبدو بأناقة الأستاذة سلوان.

وبعد أن انتهت من التسوق، توجهت إلى صالون تجميل، وطلبت تغيير قصة شعرها.

ذلك التغيير الذي ترغب أطوار في إحداثه في مظهرها، كان

سيعكس بشكل أكبر شخصيتها القوية، وينسجم مع طبيعتها الجادة، وهي تدرك تماماً الآن مدى جدية المعارك التي توشك على الانخراط فيها.

وعادت إلى المنزل، وبدأت بتجربة الملابس الجديدة، وكيف كانت ستبدو فيها.

وكانت تلك، هي أول مرة تجرب فيه أطوار انتعال حذاء بكعب عالٍ، وبدأت بإجراء تدريب بسيط على السير به.

نظرت إلى نفسها في المرآة، ورأت كل ذلك التغيير الذي أحدثته الملابس الجديدة على هيئتها.

تناولت منديلاً أحمر من الحرير، وقامت بلفه وربطه حول عنقها.

ابتسمت، بعد أن شعرت بأنها تبدو الآن، أنثى أكثر أناقة وجاذبية بهذه الملابس، وبقصة الشعر الجديدة، ومع هذا المنديل الأحمر حول عنقها.

الفصل الحادي عشر

بعد ذلك بأيام، تحول مقر الجمعية الجديد إلى ما يشبه خلية النحل، فقد استعانت سلوان بعدد من العمال، وبدأت أعمال الصيانة للمبنى، وإجراء بعض التحسينات.

اختارت الأستاذة سلوان أثاث المكاتب، والذي كان سيبدأ بالوصول بعد الانتهاء من أعمال الترميم مباشرة.

كان كل شيء يسير وفق جدول دقيق، وضعته الأستاذة سلوان، وهي تدرك بأن الوقت يتطلب منهم سرعة الإنجاز.

فحملة السيد حسين شهاب الانتخابية قد بدأت بالفعل، وعلى الجمعية وفريقها البدء بنشاطهم، وحشد التأييد اللازم لمرشحهم من طرف الضحايا السابقين وعائلاتهم.

فحسين شهاب، هو الأمل الحي لهؤلاء الضحايا؛ من أجل تحقيق العدالة التي انتظروها طويلاً.

وبدورها كانت أطوار تتواجد بمقر الجمعية مساء كل يوم، وبعد أن تنهي محاضراتها الجامعية، وتشرف على بعض أجزاء من العمل.

كانت تراقب كل ما يدور من حولها، وملامح المبنى الذي بدأ بالتبدل، وكأنها تراقب طفلها وهو يكبر أمامها وتتبدل ملامحه يوماً بعد آخر.

أرادت أن تكون بالقرب من حلمها الآخذ بالنمو، وأن تراقبه في كل مراحله العمرية، وكانت كأي أم تبتسم وهي تتابع خطوات طفلها الأولى، وهي تدرك بأن تلك الخطوات المتعثرة هي مقدمة لخطوات أكثر اتزاناً ورسوخاً.

وحين تواجهها أي مشكلة أثناء العمل، كانت تعود لتبتسم وهي تحدث نفسها، وهي تقول: **لا بأس بأن يمارس الطفل بعضاً من المشاغبات.**

في صباح أحد الأيام، وحين كانت أطوار في الجامعة، تواصلت مع عبدالرحمن شريف، وهو أحد طلاب الجامعة في كلية الاقتصاد في السنة الثالثة، ويرأس أتحاد الطلبة في الجامعة.

حددت معه موعداً لتلتقيه في كفتريا الجامعة، وبدأت أطوار

تحدثه عن جمعية صرخة وأهدافها، وهي عازمة على كسب تأييده ومناصرته للقضية، وهي تدرك بأن ذلك سيسهم في انضمام المزيد من طلاب الجامعة إلى الجمعية.

وبعد أن انتهت أطوار من حديثها، تراجع عبدالرحمن بجسده للخلف قليلاً، وأسند ظهره إلى ظهر المقعد، وهو يسأل: **"هل كان هذا اللقاء من أجل استمالتي للانضمام للجمعية..؟"**

ردت أطوار: **"في الحقيقة.. نعم.. ذلك ما كنت أتطلع إليه"**

عبدالرحمن: **"ولكني لست متحمساً كثيراً لبرنامج حسين شهاب الانتخابي.. وأجد أن منافسيه يحملون برامج أكثر عمليه.. وتخدم طموحات الشباب"**

ثم وجه نظره نحو أطوار، وبنبرة تنم عن الاستخفاف بدأ يقول: **"أحب أن أنظر نحو الأمام.. وألا أعود إلى الوراء..! وسأكون خلف أي مرشح يحدثني عن المستقبل.. ويقدم لي وعوداً بحياة أفضل"**

أطوار: **"اسمع.. أعلم أن والدك قضى نحبه في زنازين النظام السابق.. وكان أحد الشرفاء الذين صرخوا في وجه الظلم"**

هز عبدالرحمن رأسه وهو يؤكد كلامها، وعاد يقول: **"وما هي**

النتيجة التي حققها..! لقد توفي وهو متهم بالخيانة والعمالة.. ونساه الناس بعد وقت قصير.. ولكني حملت وزر كل ذلك لسنوات في طفولتي.. حين كانت تتم الإشارة نحوي.. كابن لأحد أعداء الوطن"

أطوار: **"وسيظل متهماً بكل ذلك.. ما لم يجد من يعمل على إثبات نزاهته.. ونزاهة كل أولئك الشرفاء"**

عبدالرحمن: **"لست مرغماً على مناقشة أفكاري معك الآن.. لدي قناعاتي الشخصية.. وأود تذكيرك بأني طالب في كلية الاقتصاد.. وليس الحقوق مثلك.. وكل ما يهمني هي الأرقام.. ومؤشرات السوق.. ومعدلات النمو.. ونسب البطالة"**

ثم أمسك بأحد كتبه التي كان يضعها أمامه على الطاولة، ورفعه في وجه أطوار وهو يقول: **"هذا ما كنت أقوم بتعلمه طوال السنوات الماضية في الجامعة"**

أطوار: **"جميعنا نتطلع إلى الأمام.. وتهمنا تلك القضايا التي تحدثت عنها.. ولكن لا يمكننا السير نحو الأمام.. ونحن لا زلنا مثقلين بأوزار من الماضي"**

عبدالرحمن: **"إذاً.. لنتخلص منها بكل بساطة..!"**

بدأ عبدالرحمن بجمع أغراضه من على الطاولة، وهو يهم بالمغادرة.

بادرته أطوار بالسؤال: **"وما هو الأجر الذي تطمح بالحصول عليه بعد التخرج..؟"**

توقف عبدالرحمن ونظر إليها..!

أطوار: **"ستجد من يوظف حماسك وطاقتك لصالحه.. ويستغل كل أفكارك من أجل تحقيق المزيد من الأرباح لنفسه.. ومضاعفة حجم ثرواته.. وسيتخذ من خططك الاقتصادية وسيلة للتخفيف من المصاريف وزيادة الأرباح.. ولكن على حساب العديد من الموظفين.. وذلك إما بتسريحهم من العمل.. أو بتقليص أجورهم.. وسيحتفل في نهاية كل عام بالأرقام التي حققها.. ويمنحك علاوات هزيلة بعد أشهر من الاستجداء"**

صمتت أطوار للحظة، وعاودت النظر إلى عبدالرحمن وهي تقول: **"الاستبداد السياسي والاقتصادي وجهان لعملة واحدة.. والعدالة الشاملة ترفض جميع أشكال الاستبداد.. ودوافعه.. مهما حاولت أنت وأمثالك التبرير.. أو إقناعنا بأن تكديس الثروات عند فئة من الناس.. ومتابعة مؤشر الأسواق المالية**

وهي ترتفع.. كافياً ليكون مؤشراً لأي نمو اقتصادي مزعوم.. بينما الحقيقة لا يمكن إخفائها حين تسير في أي شارع.. وأنت ترى قطيعاً ممن يطحنهم الوضع الاقتصادي من حولك في كل مكان.. لتدرك حينها أن العدالة مفقودة..! وأنك أنت أيضاً أحد ضحايا الاستغلال.. بل وأحد أدواته"

اقتربت منه أطوار أكثر، وهمست: **"عليك أن تعود بذاكرتك إلى الوراء قليلاً.. وتستمع إلى وعود جميع المرشحين السابقين.. لتدرك أن الجميع كان يعدنا بغد أفضل.. واقتصاد مزدهر.. ومشاريع.. وخطط خمسية.. ما تلبث أن تتبخر بعد أن تؤدي دورها في تخدير البائسين.. المتطلعين لمستقبل أجمل.. ولا يمكن حتى وصفها بالقشة التي يحاول الغريق التمسك بها"**

الفصل الثاني عشر

بعد عدة أسابيع من العمل في مقر الجمعية، انتهت أعمال الترميم للمبنى، وتم تحديد يوم الافتتاح.

وكانت الجمعية قد استقطبت بالفعل عدداً كبيراً من الشباب المتحمسين للفكرة، وعدداً آخر من المثقفين والصحفيين والشخصيات الحقوقية المؤمنة بالقضية، وممن تشكل العدالة بالنسبة لهم هاجساً يشغل أفكارهم باستمرار، وتستثير أقلامهم على الدوام.

وكان الحماس يملأ قلوب الجميع، بانتظار يوم الافتتاح.

وفي الليلة التي تسبق ليلة الافتتاح، ولأول مرة كانت أطوار تقف أمام مرآتها حائرة، وهي تفكر فيما عليها ارتدائه يوم غد.

قامت باستعراض وتجربة جميع ملابسها التي اشترتها حديثاً، وهي ترتدي شيئاً ومن ثم تصرف اهتمامها لآخر، دون أن تتمكن من اتخاذ قرار.

وفي مساء اليوم التالي، دخلت أطوار إلى مقر الجمعية، وهي ترتدي تنورة ضيقة ناصعة البياض، وجاكيت باللون الأبيض،

وتلف حول عنقها منديلاً باللون الأرجواني من الحرير.

دخلت وهي تتمايل بمشيتها بالكعب العالي، ولمحتها سلوان من بعيد ووقفت تتأملها، وهي تلحظ كل تلك الأناقة التي تبدو عليها أطوار، وكل تلك الثقة والجرأة في نظراتها لكل من حولها، الذين وقفو وهم يراقبون التغيير الكبير في مظهرها.

ابتسمت سلوان وهي ترى ذلك، ومن ثم لمحت أطوار بدورها الأستاذة سلوان وهي واقفة في أحد أطراف الردهة، وابتسمت هي الأخرى، ولكن بشيء من الخجل والارتباك.

وكأن كل تلك القوة التي تتمتع بها أطوار، لا يمكن لها أن تضعف إلا أمام سلوان.

اقتربت أطوار من الأستاذة سلوان حتى وقفت أمامها، ونظرت سلوان في عيني أطوار وتأملتها قليلاً، ثم أمسكت بكتفيها بقوة وهي تقول: **"كنت أنتظر هذا التغيير.. وواثقة من أنه سيحصل في الوقت المناسب"**

ردت أطوار: **"أنتِ الشخص الوحيد الذي أهتم لرأيه سيدة سلوان"**

سلوان: **"أعلم جيداً أن كل تغيير يطرأ علينا ظاهرياً.. يعكس**

صورة تغيير أعمق يحصل داخلنا.. إنه انعكاس لأفكارنا الجديدة.. وقناعاتنا المتجددة.. لمشاعرنا التي تنطفئ أحياناً.. وتشتعل أحياناً أخرى.. نحن نعاني لكيلا نبقى جامدين.. نكره أن نحتجز داخل مساحة.. أو داخل فكرة.. نرفض حتى أن نحتجز داخل ذواتنا.. لأننا أحرار"

ثم ابتسمت وهي تسأل: **"والآن يا آنسة أطوار.. هل أعددتِ التصريح الصحفي الذي ستلقينه على وسائل الإعلام..؟ أود الاطلاع عليه إن لم تمانعي في ذلك..؟"**

مضى الوقت، وازدحم المكان بضيوف الحفل، حتى وصول السيد حسين شهاب، والذي قام بقص الشريط.

ألقت أطوار كلمتها أمام الحضور، وحرصت أن تقول كل شيء مجرّداً، حقيقياً، مباشراً، أرادت من خلال كلماتها أن تكون واضحة، صادقة.

وقفت أمامهم وكأنها تقف في المحكمة أمام القاضي، تطرح قضيتها، تدافع عن حجتها، تعزز أدلتها، فلا قرائن ظرفية

في هذه القضية، إنما قرائن حسية تدين الجناة.

لا مكان للإشارات ما بين السطور في هذا الخطاب؛ بل يجب أن تكون كل الحقائق مكتوبة على السطور، تضع الجميع أمام مسؤوليته، ولا تتيح المجال للمراوغة.

صفق الجميع لها بحرارة، ووقفت أطوار أمامهم وراء منصتها تراقب تصفيقهم، وهي تدرك بأنها الآن تتحدث بأصوات الآلاف من الضحايا، ولا فرصة للتراجع، فقد بدأت المواجهة.

نزلت من المنصة وتجمع الصحفيون من حولها، وكانت خلال ذلك تلاحظ نظرات الأستاذ ياسر المحامي لها، والتي تشعرها بعدم الارتياح، ولكنها تجاهلتها واستمرت بالحديث إلى الصحافة.

وحين أوشكت على الانتهاء من الصحافة، لاحظت أن الأستاذ ياسر بدأ يسير نحوها مقترباً.

لم يكن يبعد عنها سوى بضع خطوات، إلا أن عبدالرحمن زميل أطوار بالجامعة ظهر فجأة وقطع أمامه الطريق.

حدقت أطوار في وجه عبدالرحمن للحظات، ومن ثم سألته بتعجب: **"إذاً أنت هنا اليوم..؟!"**

عبدالرحمن: **"لست وحدي"**

مالت أطوار بجسدها قليلاً لتنظر خلف عبدالرحمن، ورأت عدداً من زملائها بالجامعة يقفون خلفه.

عادت ونظرت إلى عبدالرحمن، وكأن عيونها تطرح تساؤلاتها التي تدور في رأسها، وبانتظار أن يبوح لها عبدالرحمن عن سر هذا التغيير في الموقف..؟!

ابتسم عبدالرحمن، وعاد ليقول: **"بالتأكيد أبي يستحق البراءة.. وإن تأخرت"**

أطوار: **"إذاً..؟"**

عبدالرحمن: **"تعلمت من علم الاقتصاد أن لكل شيء ثمن.. ولكني في هذه المرة لن أبحث عن ثمن.. فقط أريد أن أكون جزءاً من هذه القضية"**

تدخل الأستاذ ياسر في الحوار الذي كان ينصت إليه للحظات وهو يقول: **" ما أجمل تلك الشعارات التي أستمع إليها من شباب متحمس.. وأنا على يقين الآن أننا سنتمكن من الانتصار.. نحن بحاجة لحماسكم هذا يا شباب"**

ثم نظر نحو أطوار، وبابتسامة متملقة سألها: **"لم تفكري**

بزيارتي بالمكتب حتى الآن..؟!"

حاولت أطوار التهرب من الإجابة على سؤاله، ولكن بادرها بتحديد الموعد وهو يقول: **"سأنتظرك في مكتبي غداً مساءً"**

في مساء اليوم التالي؛ استعدت أطوار للقاء السيد ياسر في مكتبه.

لم تكن تشعر بالرغبة في الذهاب إلى هذا اللقاء، فهي لم تشعر قط بالارتياح بالحديث مع هذا الرجل، الذي كان يبدوا لها متكلفاً ومتصنعاً في طريقة حديثة، ولكنها كانت مضطرة للتعامل معه، فالواقع فرض نفسه عليها، كونه الممثل القانوني للجمعية.

خرجت أطوار وبدأت بالسير مسرعة لتصل إلى محطة المترو القريبة منها.

هبت نسمة هواء قوية تحمل معها ذرات من الغبار؛ وجعلتها تتوقف للحظة، أغمضت عينيها وأدارت وجهها جانباً وهي تحاول تلافيها وصدها عن وجهها بيدها.

هدأت النسمة سريعاً، وفتحت أطوار عينيها لتتفاجأ بسيدة مسنة تقف أمامها وتحدق فيها.

لقد كانت هيئة المسنة تدل على أنها سيدة متسولة، ترتدي ملابس بسيطة، وتغطي رأسها بشال سميك يقيها برد الشتاء.

فزعت أطوار فور رؤيتها تقف أمامها، وتنظر إليها بتلك الطريقة الغريبة..! بملامحها الباردة والجافة كالأموات.

ضلت المسنة تحدق إلى أطوار للحظات دون أن ترمش، أو حتى أن تبدو على ملامحها أي تعابير، ثم قالت: **"نسمة هواء صغيرة منعتك من السير.. ولكنك تحاولين الوقوف في وجهة عاصفة بإمكانها أن تقتلع الأشجار من جذورها..! إنكِ تعبثين مع الأفاعي.. والأفعى تضل أفعى حتى إن تمكنّا من انتزاع سمها.. فسرعان ما تعود لتنتج سماً جديداً يتدفق من أنيابها لتحقنه في جسد ضحية بريئة.. ستضل الأفعى تتصرف وفق غريزتها.. ولن تغير من تلك الطبيعة حتى إن قامت بتغيير جلدها باستمرار"**

تجمدت أطوار للحظة وهي تحاول فهم ما تعنية السيدة، دون حتى أن تتمكن من طرح تساؤلاتها عليها.

رفعت السيدة كفها ومدتها نحو أطوار وهي تردد: **"حسنة قليلة تمنع بلاوي كثيرة"**

ارتبكت أطوار وبدأت بالبحث في حقيبة يدها بسرعة، وأخرجت مبلغاً ووضعته في كف المتسولة، والتي غادرت فوراً دون أن تهمس بكلمة.

بدأت أطوار بالسير وهي تلتفت خلفها مراراً لتراقب السيدة وهي تبتعد، وتردد كلمات بصوت منخفض، دون أن تتمكن أطوار من فهم ما كانت تقوله..؟

وصلت أطوار إلى مكتب السيد ياسر، وانتظرت هناك لبعض الوقت؛ ريثما ينهي السيد ياسر اجتماعه بأحد عملاء المكتب، حتى سمح لها بالدخول.

دخلت المكتب، ولفت نظرها أن المكتب كان كبيراً ومبهرجاً، تختفي جدرانه خلف العديد من البراويز التي تطوق الكثير من الشهادات، والتي كانت تصعب رؤية ما كتب عليها من المسافة التي كانت تقف عندها أطوار.

ولكن كانت أطوار تحدث نفسها وهي تقول: **هذه البهرجة تليق بشخصية السيد ياسر التواقة للتملق والتصنع بلا شك.**

خرج السيد ياسر من وراء مكتبة ورحب بأطوار، وطلب منها الجلوس على الأريكة الموجودة في أحد جوانب المكتب، وجلس بجوارها.

دارت بينهم بعض الأحاديث العابرة في العموميات، كانت أطوار خلالها تشعر بالملل من طريقة حديث السيد ياسر، كما أنها كانت تشعر بأنها مجبرة على الإنصات، وتبادل بعض الابتسامات المتصنعة والباردة بين جملة وأخرى، كنوع من المجاملة المطلوبة في أي حوار يدور بين اثنين.

احتست قهوتها بهدوء، وهي تدرك بأن البن الذي صنع منه فنجان القهوة هذه من النوع الفاخر، إلا أنها تفتقر لمذاق القهوة الجميل، فالمكان كان بارداً يفتقر للحب، ولا يمكن لمكان كهذا أن يرحب بضيوفه بمحبة صادقة، وهي ترى كل ما حولها مصطنعاً كمالك هذا المكان.

الفصل الثالث عشر

أصبح الجدول اليومي لأطوار في غاية الازدحام، فهي تحاول توزيع وقتها ما بين الجامعة، والجمعية، ومكتب السيد ياسر، والذي باشرت العمل فيه منذ ذلك اللقاء، وبعد إلحاح شديد من السيد ياسر، وبعد أن أخبرها بضرورة أن تكتسب خبرة كافية في العمل، قبل أن تتولى هي مسئولية مراجعة ملفات قضايا الضحايا حين يتم البدء بالتحضير لتقديم الدعوى، وكان ذلك يبدو ملائماً لأطوار، وهي أرادت أن تتولى تلك المهمة.

ولم تعد تجد وقتاً للجلوس مع والدها وتبادل الأحاديث، فهي غالباً ما تكون منهمكة في الدراسة، أو خارج المنزل في مقر الجمعية أو مكتب المحاماة.

صباح أحد أيام الإجازة الأسبوعية استيقظت أطوار على صوت جلبة في حديقة المنزل.

نهضت من فراشها، وتوجهت نحو نافذة الغرفة، ورأت والدها السيد شاكر وقد جلب كمية كبيرة من شتلات الزهور الجديدة، والتي ينوي غرسها.

كان الشتاء يقترب من الانتهاء، والربيع القادم يستفز الأغصان العارية لتصحو من سباتها الطويل، وها هي الآن براعمها الجديدة تطل برأسها من كل جانب، وكأنها قادرة على الاستماع إلى صوت جريان الماء داخل تلك الأغصان.

خرجت إليه في الحديقة وألقت عليه تحية الصباح، ثم قالت: **"لم تضيع الوقت..؟"**

السيد شاكر: **"خرجت باكراً اليوم لجلب هذه الشتلات كما ترين.. سأعمل على غرسها خلال الأيام القادمة"**

أطوار: **"هل اشتقت لحديقتك يا أبي..؟"**

اكتفى السيد شاكر بابتسامة لطيفة، ورد: **"كثيراً"**

وقفت أطوار جانباً تتأمل سعادة والدها وهو يقوم بأداء ما يحب فعله، وهي تعرف جيداً حبه لهذه الحديقة، ولكل زهرة زرعها فيها بيده منذ سنوات طويلة، وهي لا تزال تزهر كل ربيع.

وتذكرت تلك الليالي، حين كانت والدتها لا تزال على قيد الحياة، وتلك الأمسيات التي كانت تقضيها العائلة مجتمعة في الحديقة بجانب عريشة الياسمين.

كانت صغيرة حينها، ولا يمكنها فهم بعض الكلمات، ودلالات

بعض النظرات الرقيقة التي كانت تراها في عيني والدها؛ إلا أنها الآن وبعد أن كبرت بدأت تدرك حجم الحب الذي كان يحمله السيد شاكر في قلبه تجاه أمها.

وأدركت كم كانت طفلة مشاغبة ومزعجة، وتفسد عليهم تلك الأمسيات الرومنسية ببراءة.

وبينما هي واقفة تتأمل والدها، وتستعيد تلك الذكريات، تذكرت شيئاً فجأة، واقتربت من والدها لتحدثه.

في مساء ذلك اليوم، كانت الأستاذة سلوان تجلس في منزلها، وتقوم بمراجعة بعض الملفات التي تتعلق بالجمعية، حين طرق أحدهم باب منزلها.

توجهت سلوان لترى من الذي جاء إليها من دون سابق موعد.

فتحت الباب، ورأت أطوار تقف أمامها، ومن خلفها يقف السيد شاكر.

ابتسمت الأستاذة سلوان ابتسامة تنم عن تفاجأها وسعادتها، دون أن تكون لديها القدرة على إخفاء استغرابها.

نظرت إليها أطوار، وبحركة مشاغبة من عينيها أشارت نحو والدها وهي تقول للأستاذة سلوان: **"جلبت لكِ معي البستاني الذي تساءلتِ يوماً إن كان يقبل برعاية حديقتك..؟"**

شعرت الأستاذة سلوان ببعض الارتباك، وبعدها طلبت منهم الدخول.

جلس الجميع بالصالون، وقالت أطوار: **"لقد حدثت والدي عن رغبتك بأن تكون لك حديقة جميلة في فناء البيت.. ولم يمانع أبي أبداً في أن يقوم هو بفعل ذلك من أجلك"**

بدت علامات الحرج على ملامح الأستاذة سلوان، وهي تقول: **"كانت مجرد أمنية.. وحديث نفس عابر.. ولم أتوقع حينها أنكِ سمعتي تلك الكلمات التي تفوهت بها بعفوية.. ودون قصد حتى..!"**

رد السيد شاكر بصوته الخشن والمرتجف: **"سأفعل ذلك بكل حب"**

ثم جال السيد شاكر بنظره في أرجاء الصالون، وهو يلحظ تلك الأناقة في كل زاوية من زواياه، وعاد ليقول: **"لقد انعكس ما بداخلك على كل حوائط المنزل.. وعلى كل زواياه.. بعكس**

فناء المنزل الذي شاهدته قبل أن أدخل.. ولابد من أن ينعكس هذا الجمال في أرجاء الحديقة.. لا يمكننا تركها جافة.. ميته.. خالية من الروح.. فلابد أن نعمل على أن يكون كل ما يحيط بنا مرآة تعكس شيئاً من الجمال الذي بداخلنا"

ابتسمت الأستاذة سلوان وشكرته، وهي تتساءل عن التكلفة.

طلب منها السيد شاكر ألا تقلق بهذا الشأن، وأن بإمكانه أن يجلب بعض الشتلات المأخوذة من أغصان أشجار حديقته، وهو يقول: **"لا زلنا في بداية شهر مارس، كان يجدر بنا أخذ الشتلات في شهر يناير أو فبراير، إلا أن الوقت لم يتأخر كثيراً لفعل ذلك"**

ولاحظت الأستاذة سلوان كيف انغمس بعدها السيد شاكر في حديثه عن الأزهار، وفنون البستنة التي كان يتقنها، ودون أن يشعر أنه كان يتحدث دون توقف عن كل ذلك.

لقد شدها بالطريقة التي كان يتحدث بها بحب واضح عن كل ذلك، وأدركت أنه حين كان يحدثها عن ضرورة أن يعكس كل ما حولنا الجمال الذي بداخلنا؛ إنما كان يحدثها عن حديقته الداخلية التي تغرق في الألوان والجمال.

أنصتت إليه باهتمام ودون أن تقاطعه بكلمة، واكتفت بالاستماع لأنغام الطبيعة التي كان يعزفها على مسامعها.

الفصل الرابع عشر

حل الربيع، وتمكن السيد شاكر من غرس الروح في كل جانب من جوانب حديقة الأستاذة سلوان، نبتة متسلقة هنا، وزهرة خجولة تهتز مع كل نسيم لطيف يهب من أحد الاتجاهات هناك، وورقة تذبل وتسقط تحت ضل الأغصان التي نبتت عليها، لتجف وتختلط بطين الأرض، وتتحول إلى سماد يغذي أختها التي نبتت بعدها على ذات الغصن.

وباتت الأستاذة سلوان تقضي أغلب وقتها جالسة في حديقة منزلها، ولكنها لم تكن تفعل ذلك وحدها، فكثيراً ما كان السيد شاكر يشاركها تلك الأوقات.

لقد كان الاثنان ينتميان لنفس الجيل تقريباً، ويستمتعان باسترجاع ذكريات طفولتهم، وكل تلك الأشياء الجميلة التي كانت تسعد الأطفال في حينها، وقصصهم مع باعة الحلوى المتجولين، ولحظات السعادة التي كانوا يشعرون بها في لحظة فتح حصالة النقود، ومعرفة مقدار المال الذي تمكن كل واحد منهم من ادخاره.

تلك البراءة التي يشتاق إليها كل فرد منا حين يكبر، ويستعيد أكاذيبه التي كان ينسجها لوالدته ليتجنب العقاب على حماقة بريئة قام بارتكابها، ويقارن بينها وبين أكاذيبنا حين نكبر، وحين نفقد براءتنا.

لقد اعتادت وجوده معها، ولكنها دائماً ما كانت تشعر بشيء يود السيد شاكر قوله لها، لم تعرف ماذا يكون، كانت تشعر بوجوده، تقرأه بين كلماته المتقطعة، وصوته الخشن المرتجف، دون أن يملك هو الجرأة على قولها، ودون أن تملك الجرأة هي الأخرى على سؤاله.

ترى.. هل كان هو الحب..؟

وبدورها، كانت أطوار تلاحظ ذلك التناغم بين والدها والأستاذة سلوان، وآثرت تجنب التواجد معهم كثيراً، كي لا تعود مرة أخرى وتكون تلك المشاغبة والمزعجة التي تفسد اللحظات الجميلة بين اثنين.

لقد حدثتها الأستاذة سلوان سابقاً بشكل مقتضب عن قصة حب قديمة، ودون أن تكون لديها الرغبة في الإفصاح أكثر عن ذلك، وأطوار احترمت رغبتها في عدم الحديث ولم تعد لتسألها.

وطوال سنوات، كانت تشعر بوحدة والدها بعد أن فقد زوجته التي كان يحبها، وبالرغم من أن السيد شاكر كان شخصاً لا يحب الإفصاح كثيراً عن مشاعره؛ إلا أن لحظات صمته الطويلة كانت أكبر دليل على ما كان يشعر به.

إنه آدم، الذي لا يمكنه أن يشعر بجمال الحياة إلا من خلال امرأة، امرأة تعيد إليه الشعور بطفولته واحتياجه لأمه، امرأة بإمكانها أن تنصت إليه.. تفهمه.. امرأة ينظر إليها حين يضع رأسه على وسادته، لتكون آخر شخص يراه نهاية كل يوم، وأول شخص يراه حين يستيقظ من نومه صباح اليوم التالي.

وهي ترى والدها الآن يستعيد بعضاً من طفولته حين يكون بجانب الأستاذة سلوان، وتلاحظ ابتسامته البريئة حين يحدثها بشيء من الخجل، وتراه وقد استعاد شيئاً من اهتمامه بأناقته السابقة.

الفصل الخامس عشر

كانت ملامح الصيف القادم تشير إلى أنه سيكون صيفاً ساخناً على غير العادة، وحمّى الانتخابات زادت من سخونة الأجواء العامة في البلاد.

حالة استقطاب محمومة ما بين الأحزاب، وكلٌ يطرح برنامجه الانتخابي على الجماهير المتطلعة إلى الأفضل.

وكل مرشح لديه برامج وخطط، وقائمة طويلة من الوعود، ففي هذه المرحلة يدرك كل المرشحون بأنه لا بأس من الكذب، ولا خوف من منح الوعود، فغالباً الجماهير لا تتمتع بذاكرة قوية، وأنهم سرعان ما سينسون كل تلك الوعود التي سمعوها من مرشحهم، ويغرقون مجدداً في دوامة حياتهم، في حالة أشبه بحالة قطع الملابس المتسخة التي تدور داخل جهاز غسيل الملابس، لتخرج بعدها نظيفة.

في ذلك المساء، كانت أطوار تجلس بجوار الأستاذة سلوان وتتابعان خطاب السيد موفق رشيد على التلفزيون في جمع كبير من مؤيدي الحزب القومي المنافس، والذي رشح نفسه للرئاسة، ودخل في منافسة مع السيد حسين شهاب.

كان خطاباً حماسياً يثير تفاعلاً كبيراً بين الحشود.

التفتت أطوار نحو الأستاذة سلوان؛ لتجدها تبتسم ابتسامة ساخرة، وسألتها أطوار عما كان يثير سخريتها..؟

لترد الأستاذة سلوان بالقول: **"هؤلاء يبرعون في تلك العروض.. ويجيدون استخدام لغة الجسد جيداً.. قبضات يد ترتفع نحو الأعلى ملوحة ومن ثم تهوي بقوة لتضرب الطاولة التي أمامهم.. ونبرة صوت مرتفعة لا تكف عن الصراخ لتستمر في الكذب ثم الكذب.. واسترجاع لأمجاد الأجداد المزيف للشعوب.. واستشهاد بأرقام ليس لها وجود.. وبأقوال لم يقلها أصحابها يوماً..!"**

نهضت سلوان من مكانها وتوجهت نحو نافذة الصالون، فتحته ووقفت مكانها تتأمل حديقتها، لحقت بها أطوار ووقفت بجانبها.

سلوان: **"لطالما تأملت فيما يدفع الناس لتصديق كل تلك الأكاذيب..! والتي لا تستوجب وجود الكثير من الذكاء لمعرفة أنها مجرد أكاذيب.. إنهم يهربون نحو الأوهام.. تبدو لي الأوهام مسكناً ملائماً لكل أولئك الذين لم يجدوا في واقعهم أي شيء يدعوهم للتفاؤل.. أو الشعور بالأمان.. إنهم يلجؤون لمن يشعرهم بالقوة.. تلك القوة الغاشمة.. المندفعة..**

المتهورة.. وليست قوة العقل.. أو الحكمة..!

إنهم يكرهون الحقيقة.. لأنها قاسية.. توقظهم من حالة التخدير التي يغطون فيها في نوم عميق.. وحينها يتطلب منهم الواقع أن يقدموا على فعل شيء ما.. لتغيير هذا الواقع.. وهم يكرهون أن يعملوا.. وينتظرون من غيرهم أن يعمل من أجلهم"

صمت سلوان للحظات، وسرحت تتأمل أزهار الحديقة، وبادرتها أطوار بالقول إن حديقتها باتت مزهرة بأصناف متنوعة من الأزهار.

هزت الأستاذة سلوان رأسها وهي تقول: **"أجل"**

ثم تابعت: **"منذ أيام.. كنت أقف في نفس المكان وأتأمل الحديقة كما أفعل الآن.. لقد لفت نظري شيء..! اكتشف أن الحديقة مليئة بالأزهار الجميلة.. ولكنها لا تحوي أي نبتة مثمرة..!"**

جالت أطوار بنظرها في أرجاء الحديقة قليلاً، ثم عادت ونظرت إلى سلوان.

سلوان: **"لقد طلبت من والدك أن يجلب لي بعض النباتات**

المثمرة لنزرعها في الحديقة.. لا ينبغي لنا أن نسمح للجمال بأن يخدعنا ويسرح بنا.. على الجمال أن يكون مثمراً بقدر ما هو آسر"

تابعت سلوان: **"الشعارات القومية مخادعة.. إنها تثير عاطفة الجماهير.. ولكنها لا تثمر سوى الكراهية للآخر.. ورفض أي شكل من أشكال التغيير.. إنها تغرقنا في الماضي وحسب.. وتبرع في خلق الأعداء.. وتحول كل مختلف عنا إلى عدو متربص.. وتبدأ تلك الهستيريا بالحلقة الأضعف.. لتجعل من أي أقلية موجودة داخل حدود ذلك الوطن المحدد بخطوط على الخريطة فريستها الأولى"**

أطلقت سلوان تنهيدة، وكأنها تحاول لفظ كل ما بداخلها من صور مشوهة، وتفتح مجالاً في رئتها لتلتقط هواءً نقياً متحرراً من الأنماط القبيحة، وأكملت: **"على الوطن أن يبنى على فكرة.. فكرة الإنسان.. عليه أن يشعرني بالحب تجاه الإنسان الذي يسكن في المنزل المجاور لمنزلي.. للإنسان الذي يسكن في الحي المجاور.. في القرية أو المدينة المجاورة.. عليه أن يجعلنا نخاف من مصير واحد.. ولكن.. أن يكون لكل منا أحلامه الخاصة.. وأفكاره المختلفة.. ولكن جميعها**

تزهر على تراب الوطن"

التفتت سلوان نحو أطوار وهي تسألها: **"هل تشعرين بذلك من حولك..؟"**

أطوار: **"على العكس تماماً.. أشعر بأن كل واحد منا يعيش داخل وطن خاص به.. يشكله وفق رغباته.. وينشد فيه العدالة التي تحفظ حقوقه الشخصية فقط..!"**

سلوان: **"ذاك ما كنت أعنيه"**

ثم صمتت سلوان للحظات، وعادت لتقول: **"لا أعلم كيف أفلت ذلك الفاسد من المجزرة..؟!"**

أطوار: **"من تقصدين.. وعن أي مجزرة تتحدثين..؟"**

سلوان: **"هذا المدعو موفق رشيد.. والذي كان أحد رجال النظام المستبد.. ويقوم بتقديم عروضه ببراعة أمام الحشود قبل قليل.**

لكل ديكتاتور لحظة يصل فيها إلى الشعور بأن مشاريعه الأقرب إلى الوهم والتي سوقها للناس على أنها إنجازات باتت أقرب للفشل.. ويدرك بأن الأسطورة التي عمل على تشييدها توشك على الانهيار.. وحينها لن ينظر إلى نفسه كفاشل..

بل أن شعوره المتضخم والمتشبع بالغرور كجذع شجرة (الباوباب).. يجعله ينتقم من أعوانه بداية.. لاعتقاده بأنهم شلة من الفشلة.. اللذين فشلوا في تحقيق كل طموحاته.. ويعمل على استبدالهم.. والديكتاتور صفوان مختار وصل إلى تلك القناعة في مرحلة ما من أيام حكمة.. وزج بالكثير من أعوانه في السجون.. وجاء بأسماء جديدة لم نسمع عن أي إنجازات لها يوماً"

حدقت الأستاذة سلوان في أطوار، وعادت لتقول: **"ولأنه يدرك بأن كل أفراد الشعب يسخر من فشله الآن.. حول حقده بعدها نحوهم.. وأظهر كل ذلك الحقد على شكل أنظمة عملت على طحن هؤلاء الذين تحملوا ذنباً لم يقترفوه.. بل أنهم كانوا ضحايا لكل خططه الفاشلة"**

في هذه اللحظة، عاد طائر سلوان وهو يرفرف بجناحه وحط على النافذة، بانتظار أن تضع له بعض الطعام.

أكملت سلوان حديثها وهي تنثر بعض البذور على النافذة أمام الطائر: **"إن مساراتنا في هذه الحياة قد تتخذ وجهة خاطئة.. وحده الندم قادر على إعادتنا إلى الطريق الصحيح.. متى شعرنا بالندم على مرحلة من حياتنا.. حينها سنعمل على**

إحداث تغيير في مسارنا.. ونبحث عن مسارات أخرى جديدة.. أمثال موفق رشيد لم يشعروا بالندم يوماً.. بل غيروا الأقنعة فقط.. وعادوا من جديد بأسماء أحزاب مزيفة.. ولكن بذات الأفكار القديمة.. هم لم يكلفوا نفسهم حتى عناء غسل أيديهم من دماء الأبرياء.. لم يعتذروا عن ماضيهم.. هم عادوا ليكملوا ذات القصة القديمة.. ولكن بسرديات مختلفة"

تأملت أطوار الطائر وهو يلتهم طعامه حبة، حبة، وقالت: **"كم أحسد هذا الطائر..! إنه لا يدرك حجم البشاعة في هذا العالم الذي يعيش فيه البشر"**

ردت سلوان: **"أنتِ مخطئة.. فحتى هذا الطائر قد لا يسلم من طلقة يرسلها إليه أحدهم من بندقية صيد.. من أجل أن يحظى بقليل من المتعة.. لكل كائن في هذه الحياة عدو.. وعدونا الذي علينا الحذر منه هو موفق رشيد وأعوانه"**

ودعت أطوار الأستاذة سوان، وخرجت في وقت متأخر من ذلك المساء وسارت باتجاه محطة المترو مشياً.

ولكنها شعرت بأن هناك من كان يتبعها، أخذت تبطئ من مشيتها قليلاً ولاحظت أن من كان يسير خلفها قد أبطأ من خطواته هو الآخر.

توقفت فجأة، وانحنت نحو الأسفل متصنعة بأنها كانت تعيد ربط رباط حذائها؛ فتجاوزها ذلك الغريب؛ فشعرت بعدها بالارتياح، وعادت لتكمل طريقها، ولكن بعد مسافة قصيرة انتبهت أنه قد توقف على مسافة غير بعيدة.

شعرت أطوار بالخوف، وكانت المسافة المتبقية إلى محطة المترو لا تزال بعيدة، فقررت إيقاف سيارة أجرة لتوصلها إلى المنزل.

الفصل السادس عشر

في مساء أحد الأيام، كانت أطوار تجلس في غرفتها منهمكة في دراستها.

وبعد عدة ساعات من الجلوس؛ شعرت بالإرهاق؛ فقررت التوقف قليلاً لأخذ استراحة، وقامت بتناول هاتفها المحمول، وبدأت تتصفح حسابها على الإنستغرام.

لاحظت بأن الأستاذة سلوان نشرت منشوراً جديداً على حسابها منذ ساعات قليلة.

بدأت بقراءة المنشور، ومن ثم انتقلت لتصفح التعليقات المكتوبة على المنشور.

لفت انتباهها عدد التعليقات على المنشور، فحساب الأستاذة سلوان كغيره من حسابات المثقفين لا يحظى بعدد كبير من المتابعين، وعادة ما تكون عدد التعليقات على منشوراتها محدودة، إلا أنه في هذه المرة كان الأمر مختلفاً، فهناك عدد كبير من التعليقات السلبية على المنشور، وكانت نبرة الهجوم عالية على مضمون المنشور، ليتجاوزه إلى الهجوم

الشخصي تجاهها..!

وبدورها، قامت أطوار بكتابة تعليق مؤيد للفكرة التي طرحتها الأستاذة سلوان، وبمجرد إرسالها للتعليق؛ أفزعها صوت تكسر زجاج نافذتها، وشيء ما تدحرج أمامها على سجاد أرضية الغرفة.

ركضت نحوه لتكتشف ماذا يكون، ووجدت أنه حجر تم لفه بورقة.

وقبل أن تتمكن من فتح الورقة وقراءتها؛ دخل والدها السيد شاكر إلى الغرفة مسرعاً بعد أن أفزعه صوت الزجاج المتكسر هو الآخر.

أسرعت أطوار بإخفاء الورقة التي كانت تمسكها بين يديها وأخفتها خلفها، كي لا ينتبه لها والدها.

سألها السيد شاكر عمَ حصل..؟

أجابت أطوار بشيء من الارتباك، وهي تقول لابد أنهم أحد الصبية الأشقياء الذين يتسكعون بالحي عادة، وقد كسروا زجاج النافذة.

ركض السيد شاكر نحو الخارج حاملاً بيده عصا المكنسة،

وعاد بعد عدة دقائق وهو يقول بأنه لم يجد أحداً بالخارج..!

تصنعت أطوار انشغالها بكنس وجمع بقايا الزجاج المتناثر على أرضية الغرفة، منتظرة خروج والدها لتتمكن من قراءة ما هو مكتوب في الورقة.

أخبرها السيد شاكر بأنه سيقوم بإصلاح الزجاج غداً صباحاً وخرج وأغلق الباب.

تناولت أطوار الورقة بسرعة، وقرأت ما كان مكتوباً عليها، والتي كانت تتضمن جملة قصيرة ومقتضبة (لا زلتِ صغيرة.. لا تحاولي العبث مع الكبار)

جلست أطوار تتأمل في محتوى الرسالة، وهي تتساءل إن كانت تلك مزحة ثقيلة وسخيفة من أحدهم، أم أنها حقيقة، وهل كانت هي المقصودة منها أم أن من ألقاها قد أخطأ في العنوان..!

في صباح اليوم التالي، استيقظت أطوار في مزاج سيء، وهي تشعر بالانزعاج مما قرأته في الرسالة، وكانت تلك العبارات تثير استغرابها وفضولها في آن معاً.

توجهت إلى جامعتها، والتقت بصديقتها رحمة في حديقة الجامعة، وحكت لها عما حصل معها ليلة البارحة.

مر زميلها عبدالرحمن من هناك، وجلس لبعض الوقت لتبادل الحديث حول الجمعية.

بعدها استأذنت رحمة، معتذرة بأن عليها الذهاب للقاعة لحضور المحاضرات.

لاحظ عبدالرحمن بأن أطوار لم تكن في مزاج جيد، سألها عما كان يشغل بالها، أو إن كان هناك ما يزعجها..؟

نفت أطوار وجود شيء، وطلبت منه بألا يشغل باله بالأمر.

أراد عبدالرحمن كسر ذلك الجو الكئيب بينه وبين أطوار، وبدأ يسرد لها بعض النكات وبعض المواقف المضحكة التي حصلت معه.

وتمكن بعد قليل من تغيير مزاج أطوار للأفضل، وبدأت تضحك دون توقف على كل ما كان يقوله لها عبدالرحمن.

ولأول مرة تكتشف أطوار هذا الجانب من شخصية عبدالرحمن، والذي بدا لها شخصاً لطيفاً ويجيد إلقاء الدعابات المضحكة.

وفي هذه المرة، لاحظت أطوار كذلك الاهتمام الذي أبداه عبدالرحمن نحوها.

وقبل أن ينتهي هذا اللقاء ويتوجه كل منهم إلى محاضراته، قال لها: **"محاضرتي الأخيرة تنتهي اليوم في الساعة ١٢.. ماذا عنكِ..؟"**

أطوار: **"في الحقيقة لست في مزاج جيد.. وغالباً سأعتذر عن حضور بقية محاضراتي اليوم"**

عبدالرحمن: **"حسناً.. ما رأيك في أن نتناول طعام الغداء سوياً بعدها..؟ هناك مطعم قريب من هنا اعتدت تناول الطعام فيه باستمرار"**

أطوار: **"في الحقيقة أنا في مزاج سيء اليوم كما أخبرتك.. لمَ لا نؤجل الأمر ليوم آخر..؟"**

عبدالرحمن: **"ولأني أدرك أنكِ في مزاج سيء.. أردت أن نقوم بشيء معاً.. ربما يساعدك ذلك على تخطي الأمر"**

وبالفعل، التقى الاثنان في المطعم.. وقام عبدالرحمن بطلب طبقين من الطعام الذي اعتاد تناوله هنا باستمرار.

وأثناء تناولها للطاعم، لاحظ عبدالرحمن الارتباك فجأة على أطوار، وتلفتها باستمرار نحو الجانب الآخر من الشارع.

وبدأ هو الآخر ينظر في نفس الاتجاه، ربما يتمكن من معرفة ما كان يزعجها، لكن لم يلفت انتباهه شيء..!

توقفت أطوار فجأة عن تناول طعامها، وطلبت من عبدالرحمن بأن يسمح لها بالمغادرة، لكنه رفض السماح لها بالمغادرة قبل أن تخبره عن السبب..؟!

أخبرته أطوار بأن هناك شخص يقف على الرصيف الآخر ويراقبها منذ أن دخلت إلى المطعم.

بدأ عبدالرحمن يتلفت ويبحث عن الشخص المقصود..؟!

وصفت له أطوار ما كان يرتديه ذلك الشخص الغامض، وتمكن عبدالرحمن من رؤيته أخيراً.

سألها عبدالرحمن إن كانت تعرفه..؟ أخبرته بأنها تراه لأول مرة، ولكنه يقف هناك ويحدق بهما منذ جلوسهما.

وفي هذه اللحظة تقدم شخص آخر نحو الرجل الغامض، وتبادل معه التحية للحظات وغادرا سوياً.

انفجر عبدالرحمن ضاحكاً وهو يسخر من أطوار وخيالها الواسع في تصور الأمر..!

الفصل السابع عشر

كانت أطوار تجلس على مكتبها في شركة المحاماة، وتعمل على مراجعة ملف قضية جديدة، وقد كلفها الأستاذ ياسر بمراجعة الملف وكتابة عريضة الدفاع عن المتهم.

وبعد أيام من العمل على الملف؛ توصلت لقناعة بأن المتهم في هذه القضية مجرم فعلاً، وأن كافة القرائن تثبت ارتكابه للجريمة.

أغلقت أطوار الملف؛ وتوجهت نحو مكتب الأستاذ ياسر، واستأذنت بالدخول عليه.

استقبلها كعادته بأسلوبه المتكلف، وهو يسألها إن كانت انتهت من مراجعة الملف، وفحص الأدلة والثغرات التي يمكن استغلالها في الدفاع.

وهي بدورها سألته، إن كان قد اطلع على ملف القضية مسبقاً قبل أن يكلفها بالعمل عليه..؟

وأجاب بأنه قد تصفحه سريعاً دون أن يدقق في كل التفاصيل والحيثيات.

هنا قالت أطوار: **"أشعر بأن هذا الشخص قد ارتكب كافة الجرائم التي نسبت إليه.. كل الأدلة ضده في الحقيقة.. كما أنني لم أجد أي ثغرات في إجراءات القبض عليه.. وقد تمت مراقبته لفترة طويلة قبل أن يتم إيقافه وتوجيه الاتهامات"**

الأستاذ ياسر: **"لا يمكننا التعامل مع القضايا في القانون بناء على انطباعنا الشخصي..!"**

أطوار: **"ما كنت أعنيه أن هناك قناعة تكونت لدي بعد الاطلاع على عريضة الدعوى.. وكافة الأدلة.. بانه مجرم حقاً"**

الأستاذ ياسر: **"كذلك قناعاتك الشخصية غير مهمة..!"**

ردت أطوار بتعجب: **"إذا لم أتوصل لقناعة كافية ببراءة المتهم.. كيف لي أن أترافع أمام القاضي للدفاع عنه..؟!"**

الأستاذ ياسر: **"مهمتك كمحامية.. هي البحث عن الثغرات لاستغلالها.. وقلب المستحيل إلى ممكن.. والعكس.. حينها يمكنك كسب القضية"**

أطوار: **"وماذا عن العدالة..؟"**

ضحك الأستاذ ياسر ضحكة مكتومة وممزوجة بالسخرية،

وهو يقول: **"جميع المحاميين يفكرون بهذه الطريقة في بداياتهم.. وأنتِ لا تزالين في البدايات"**

بعدها، فتح الأستاذ ياسر صندوق حفظ السجائر الذي أمامه، تناول إحداها وقص الجزء الأمامي من السيجار.

أشعله، ونهض من خلف مكتبه وتقدم وجلس أمام أطوار على الكرسي المقابل لها.

نفث عدة أنفاس من الدخان نحو الأعلى، ومن ثم نظر نحو أطوار وهو يقول: **"مهمة تحقيق العدالة ليست مهمة المحامي.. تلك مهمة القاضي.. والحياة تتطلب توزيع الأدوار.. ولا يمكننا أخذ مكان القاضي وإصدار الأحكام.. سواء ببراءة المتهم أو إدانته"**

انحنى نحو الأمام قليلاً، وهو يسأل: **"برأيك.. لمَ قالوا.. ياما في السجن مظاليم..؟!"**

ثم عاد واعتدل في جلسته وهو يجيب على السؤال: **"لن انتظر إجابتك.. سأجيبك أنا.. لأن القاضي لم يتمكن من تحقيق العدالة.. واعتمد على الأدلة المقدمة له فقط.. والمتهم كان بحاجة إلى محامي بارع.. قادر على دحض كل تلك الأدلة..**

هكذا هي الأمور ببساطة"

عاد الأستاذ ياسر وأخذ نفساً آخر من سيجارته ونفثها، وهو يقول: **"العدالة كلمة جميلة.. وهي كذلك صعبة التحقيق.. وأنتِ كمحامية يجب أن تهتمي بما هو ممكن فقط.. ودورك هو الحصول على البراءة لموكلك"**

أطوار: **"حتى وإن كان مذنباً..؟!"**

الأستاذ ياسر: **"وما أدراكِ بأنه مذنب فعلاً..؟ ألا يمكن أن يكون أحد أولئك المظاليم..! والأدلة كانت ضده فقط.. وربما تم تلفيقها"**

خرجت أطوار من مكتب الأستاذ ياسر وهي تفكر في كل ما سمعته، وتسأل نفسها: **أيمكن أن يكون محقاً في كل ما قاله..؟!**

تأملت في العبارة التي استشهد بها (ياما في السجن مظاليم) واستعادت الماضي، حين تم الزج بآلاف المظلومين في السجون لمجرد مخالفتهم نظام الديكتاتور صفوان مختار، والذين كانوا حينها جناة في نظر القانون والمجتمع، وكانت لائحة الاتهام تتضمن الكثير من الأدلة والقرائن..!

إذاً ما الذي يمنع تكرار كل ذلك مع آخرين..!

ولكنها بعد ساعة من التفكير حسمت أمرها، وتوجهت نحو مكتب الأستاذ ياسر، وقدمت اعتذارها عن متابعة ملف القضية، وطلبت منه بأن يكلف به غيرها من المحاميين المتواجدين بالمكتب.

خرجت بعدها وتوجهت نحو منزل الأستاذة سلوان، فقد كان من المقرر أن تسافر سلوان في رحلة لعدة أيام للتجول في عدة مدن للالتقاء بضحايا النظام السابق، ومحاولة حشد أصواتهم لصالح المرشح حسين شهاب.

وصلت أطوار إلى منزل الأستاذة سلوان، لتجدها بانتظارها في الحديقة، وفوراً استوقفتا سيارة أجرة ليوصلهما إلى محطة القطار.

وأثناء الطريق حاولت أطوار مناقشة بعض التفاصيل مع الأستاذة سلوان، إلا أنها لم تكن تستمع إليها جيداً، وتكتفي ببعض الردود القصيرة على كل ما كانت تقوله لها أطوار.

وفي منتصف الطريق، طلبت الأستاذة سلوان من سائق سيارة

الأجرة التوقف، ونزلت وقامت بدفع الحساب.

سألتها أطوار عن سبب توقفها وعدم رغبتها في مواصلة الطريق نحو محطة القطار..!

إلا أن الأستاذة سلوان لم تجبها، وطلبت منها اللحاق بها فقط..!

قطعت سلوان الطريق باتجاه الرصيف الآخر في الاتجاه المعاكس للطريق، وطلبت من أحد سيارات الأجرة التوقف وإيصالها إلى محطة القطار، الأمر الذي زاد من استغراب أطوار، ودون أن تجد أي إجابة أو تفسير..!

وبمجرد وصولهم إلى محطة القطار، رن جرس هاتف أطوار وأجابت على الفور.

كان المتصل هو أحد أفراد فريق الإعداد الخاص بأحد البرامج الجماهيرية الكبيرة على التلفزيون، والذي يتابعه عدد كبير من المشاهدين.

حاول المتصل ترتيب موعد معها للظهور في الحلقة القادمة من البرنامج.

بدت السعادة على ملامح أطوار، وأبدت استعدادها التام للحضور، وبمجرد إقفال الخط، أخبرت الأستاذة سلوان وهي

تعبر لها عن سعادتها.

ردت سلوان بسعادة هي الأخرى، وهي تقول: **"الحمدلله.. هذه فرصة رائعة لطرح أهداف الجمعية.. يلزمك إعداد جيد لهذا اللقاء.. وأنا واثقة من أنك ستفعلين ذلك"**

تجولت الأستاذة سلوان بنظرها قليلاً في المكان، وعادت لتقول: **"أطلب منكِ أن تكوني حذرة يا أطوار"**

أدركت أطوار أن هناك ما كان يشغل بال الأستاذة سلوان، وطلبت منها أن توضح لها الأمر.

سلوان: **"حسناً.. منذ أيام وأنا ألاحظ وجود أشخاص يتتبعونني.. وأشعر بأنني تحت المراقبة.. وحين ركبنا سيارة الأجرة.. لاحظت وجود مركبة كانت تلحق بنا.. وحينها قررت أن نتوقف ونستقل سيارة أجرة أخرى على الطريق المعاكس.. لأن من يلاحقنا لن يتمكن من الالتفاف والدوران والعودة بسرعة.. وبذلك نكون قد ضيعنا عليه فرصة تتبعنا"**

حينها أدركت أطوار أن جميع شكوكها كانت حقيقية، وأنها تخضع للمراقبة هي الأخرى، وقررت الاعتراف للأستاذة سلوان بما كانت تتعرض له منذ أيام، وحكت لها كل الأحداث

وقصة الرسالة التي وصلتها.

توقفت سلوان للحظة وهي تفكر فيما سمعته للتو، وبعدها عبثت بحقيبة يدها وأخرجت منها رصاصة.

نظرت أطوار نحو الرصاصة وهي تسأل ما هذا، ولمَ هي في حقيبة يدها..؟!

سلوان: **"لقد وصلتني داخل ظرف مغلق.. وجدته داخل صندوق البريد أمام باب منزلي"**

أطوار: **"ما الذي يعنيه ذلك..!"**

سلوان: **"أحقاً لا تدركين معناها..؟! إنها تشير إلى المدى الذي قد يصلون إليه لحماية أنفسهم.. ومنعنا من مواصلة ما نعمل عليه"**

بثت المحطة الإعلان عن موعد تحرك القطار، وطلبت من جميع الركاب التوجه إلى البوابة الخاصة بدخول المسافرين.

أمسكت سلوان بمقبض حقيبة السفر، ومن ثم نظرت إلى

أطوار، وهي تقول: **"عليَّ المغادرة الآن.. كوني حذرة.. هؤلاء لا تحكمهم أي أخلاق أو قيم.. وهم على استعداد للقيام بأي شيء لحماية أنفسهم"**

الفصل الثامن عشر

كان قد تبقى على موعد ظهور أطوار في البرنامج التلفزيوني ثلاثة أيام فقط، وهي حتى الآن لم تتمكن من إخبار والدها بالأمر.

لم تعتد أطوار على إخبار والدها بكل تفاصيل حياتها، وما يتعلق بالجامعة ودراستها ولقاءاتها بصديقاتها، إلا أن مسألة ظهورها في برنامج تلفزيوني مسألة مختلفة، وشعرت بضرورة إخبار والدها بالأمر، بدلاً من أن يتفاجأ بابنته على شاشة التلفزيون.

ولكن كيف لها أن تخبره..؟! وهي تعلم مسبقاً بموقفه من نشاطها في الجمعية، ومنذ مدة طويلة كانت تلتزم الصمت معه حول كل ما يتعلق بالأمر لتجنب أي خلاف وصدام قد ينتج عن ذلك.

ثم ماذا عن كل ما كان يحصل معها..؟

هل من الأجدر إخبار والدها بتلك التهديدات التي بدأت تشعر بها..؟

وفي لحظة، بدأت تشعر بأن كل تلك المخاوف التي تحدث عنها السيد شاكر كانت حقيقية، ولم تكن نوعاً من المبالغة، أو مجرد شعور نابع من حرص أب على ابنته.

هل حقاً أساءت تقدير الموقف..؟

ثم تذكرت الحوار الأخير الذي دار بينها وبين الأستاذ ياسر، وتساءلت، وماذا عن مبدأ العدالة وفق معايير الأستاذ ياسر..؟

تناولت كتاب مكيافيلي وبدأت تتأمل صورته على غلاف الكتاب، وهي تقول له: **"أدرك بأني لن أجد أي إجابات لتساؤلاتي بين صفحات كتابك.. لأنك ألفت هذا الكتاب لأجل أولئك الذين يعملون من أجل تدمير العدالة.. ويخلقون كل هذه الظروف التي تتسبب في حيرتنا.. وهم من سيجدون عندك كل ما يفيدهم في تحقيق غاياتهم.. أما نحن..؟!"** ومن ثم ضحكت ضحكة ساخرة.

وعادت لتقول: **"هل يجدر بنا استخدام نفس أساليبك ضد خصومنا من أجل تحقيق غاياتنا العادلة..؟"**

نهضت من فوق كرسيها وتوجهت نحو النافذة، كانت أضواء الحديقة مطفأة ولا يوجد سوى ضوء خافت آت من أعمدة

الإنارة بالشارع.

وقفت للحظات سارحة مع أفكارها، وعيناها تغرقان في ظلام الحديقة، بينما خيال وجهها الباهت والصامت ينعكس على زجاج النافذة أمامها.

أسرعت نحو كتاب مكيافيلي، حملته وعادت نحو النافذة.

أمسكت بالكتاب ورفعته إلى جانب رأسها، وهي تتأمل انعكاس صورة مكيافيلي إلى جانب صورتها على زجاج النافذة.

همست بصوت خافت وهي تقول: **"من المستحيل أن نكون أنا وأنت انعكاساً لشيء واحد.. أنت لا تمثل سوى الظلام الذي بالخارج خلف النافذة.. بينما أنا هو النور الذي على الجانب الآخر داخل الغرفة.. لا يكفي أن نكون كائنات تمشي منتصبة على قدمين لنوصف بأننا بشر.. لابد أن يحمل كل منا النور بداخلة.. في قلبه.. وحتى إن كان الظلام يحيط بنا من كل اتجاه.. وألا يسمح للظلام بالتسرب إلى داخله في لحظة ضعف.. أو انهزام"**

سمعت طرقات خفيفة على باب الغرفة، ودخل السيد شاكر ليسألها إن كانت ترغب في تناول وجبة العشاء..؟

أخبرته أنها فعلاً تشعر بالجوع، وأنها ستلحق به لتساعده في إعداد الطعام.

فجأة سمع الاثنان صوت تهشم الزجاج، وشيء ما سقط داخل الغرفة مجدداً.

نظرت أطوار نحوه وأدركت بأنها رسالة جديدة، وأسرع السيد شاكر نحوها ليدرك بأنه حجر ملفوف بورقة، تناولها وفتحها، وبدأ بقراءة ما كتب عليها: (يبدو أن رسالتنا السابقة لم تكن كافية لتتمكني من استيعاب ما تحاولين إقحام نفسك فيه.. في المرة القادمة ربما لن تكون مجرد رسالة..!)

قام السيد شاكر بقراءة الرسالة أكثر من مرة، وهو يحاول استيعاب ما كتب، وما المقصود..؟!

ثم نظر باتجاه أطوار وهو يسألها عما تعنيه هذه الرسالة..؟!

أسرعت نحوه وخطفت الورقة من يده وبدأت بقراءتها، ارتبكت وشعرت بأن عليها تصنع جهلها بالأمر، والبحث عن كذبة مقنعة.

لكن السيد شاكر كان قد استوعب تماماً ما وراء تلك الرسالة، وبأنها تهديد صريح لها بالقتل ربما.

ثار السيد شاكر، ودخل في نوبة غضب شديدة، وهو يحدث أطوار ويقول لها: **"لقد أخبرتك بأنكِ تعبثين مع الأشخاص الخطأ.. وها أنتِ تختبرين ذلك الآن بنفسك.. ومن الواضح بأنها ليست الرسالة الأولى من نوعها التي تصلك.. أنتِ تخفين عني أشياء أخرى..!"**

أطوار: **"لا تتسرع بإطلاق أحكامك من مجرد رسالة.. وتتصور بأن هناك أمور أخفيها عنك يا أبي.. ليس هناك ما يدعو إلى القلق.. ولم تضع في حسبانك بأنها ربما مجرد دعابة سخيفة أو حتى بأني قد لا أكون المقصودة بهذه الرسالة"**

السيد شاكر: **"أتظنين بأنكِ قادرة على خداعي كطفل صغير.. لابد لهذا الأمر أن يتوقف فوراً.. والآن"**

أطوار: **"حسناً دعنا نؤجل النقاش في الأمر لوقت آخر"**

السيد شاكر: **"لن نؤجل أي نقاش.. وهذه المسألة وصلت الآن لنقطة التهديد الصريح.. هل تعين جيداً ما تعنيه عبارة (في المرة القادمة ربما لن تكون مجرد رسالة..؟) أنتِ لا تدركين مدى جدية هؤلاء.. ولا تدركين ما يمكن لهؤلاء الإقدام عليه من أجل مصالحهم..!"**

أطوار: **"بدأت أدرك ذلك.. وأعدك بأني سأكون أكثر حرصاً"**

السيد شاكر: **"يبدو بأني قد بالغت في منحتك مساحة واسعة من الحرية.. وقد أسأتِ استغلالها.. من الآن عليَّ أن أتصرف بنفسي"**

خرج السيد شاكر وأقفل الباب وراءه.

ظلت أطوار واقفة بمكانها للحظات، وهي تتساءل كيف سيتصرف السيد شاكر..؟

التفتت نحو النافذة المكسورة، وتخيلت بأن الظلام الذي كان بالخارج بدأ بالتسرب نحو الداخل الآن.

الفصل التاسع عشر

مساء اليوم التالي، تلقت أطوار اتصالاً من الأستاذة سلوان تخبرها فيه بأنها قد عادت من رحلتها التي استمرت لعدة أيام، وأنها كانت تتوقع أن تجدها بانتظارها في محطة القطار.

أخبرتها أطوار بما حصل بينها وبين والدها في الليلة السابقة، واعتذرت منها لعدم تمكنها من التواجد لاستقبالها.

تفهمت الأستاذة سلوان ذلك، وأخبرتها بأنها تصرفت بشكل سليم، وأن عليها محاولة مناقشة الأمر مع السيد شاكر، دون إثارة غضبه مجدداً.

قرع أحدهم جرس باب الأستاذة سلوان، وطلبت من أطوار انتظارها لدقائق ريثما تنظر من بالباب.

وعادت بعد ذلك بلحظات، واعتذرت منها، وأخبرتها بأن عليها إنهاء المكالمة الآن، وأنها ستعاود الاتصال بها في وقت لاحق.

كان السيد شاكر هو من قرع جرس الباب، وجاء لزيارة الأستاذة سلوان.

طلبت منه سلوان الدخول، ولاحظت بأن ملامح السيد شاكر تدل على أنه ليس في مزاج جيد.

جلس السيد شاكر على الأريكة بالصالون، وسألته الأستاذة سلوان إن كان يرغب في شرب فنجان من القهوة..؟

رد السيد شاكر بالقول: **"لم آت هنا لشرب القهوة.. أنا هنا لأطلب منك الابتعاد عن أطوار.. الموقف تجاوز حد العبث.. وتحول لموقف جدي يتطلب تدخلي للحفاظ على سلامة ابنتي الوحيدة"**

جلست سلوان عن الأريكة الأخرى وهي تنظر إليه في حالة من الصدمة، فهي لم تتوقع أن يخاطبها بهذه النبرة الحادة والخشنة.

وردت عليه بالقول: **"حسناً.. أكمل.. وماذا بعد..؟"**

السيد شاكر: **"ليس لدي المزيد لأقوله لك.. ولكن أتمنى ألا اضطر للتصرف بشكل غير لائق من أجل الحفاظ على سلامتها"**

سلوان: **"لن تكون مضطراً لذلك.. ولكن دعني أطرح عليك سؤالاً.. أعلم بأنك تقاعدت برتبة رائد.. وأنك كنت تعمل في**

مديرية الإطفاء.. وبدأت عملك كإطفائي.. تركض باتجاه الخطر وتقتحم النيران لتتمكن من إنقاذ أحدهم.. شخص لا تعرفه.. ولم تلتقِ به يوماً.. لمجرد أنك كنت تدرك ما هو واجبك.. وتعمل على القيام به.. ألم تكن تلك مخاطرة تقدم عليها من أجل أشخاص لا تعرفهم..؟ كما أنني لا أظن بأنك كنت لتقبل أن يصف أحدهم تضحيتك تلك بالعبث..!"

السيد شاكر: **"لا تحاولي خلط الأمور.. لا مجال للمقارنة بين الأمرين"**

سلوان: **"لو كنت مكان والدتك حينها.. كنت سأبقى في حالة مستمرة من القلق كلما ذهبت إلى عملك.. خوفاً عليك من أن تصاب بسوء.. ولكنني لم أكن لأمنعك من فعل ما ترغب فيه.. والقيام بواجبك"**

السيد شاكر: **"لا تحاولي احتوائي في عالمك الذي يطفو فوق بحر من الشعارات.. تلك الشعارات لا يمكنها أن تعيد إليَّ ابنتي إن أصابها أي مكروه بسببك"**

نهض السيد شاكر وهم بالمغادرة، وتبعته سلوان إلى باب المنزل وهي تطرح عليه سؤالاً: **"وماذا عن الحديقة التي كنت تعتني بها طوال هذه المدة..؟ هل ستهملها..؟"**

التفت إليها ليقول: **"لطالما كانت أطوار هي أثمن أزهاري.. وهي التي يتوجب عليَّ الاعتناء بها"** وانصرف.

عادت سلوان إلى الداخل، تناولت هاتفها وأجرت مكالمة مع أطوار، وأخبرتها بما دار بينها وبين السيد شاكر، وطلبت من أطوار أن تحترم رغبة والدها، وألا تثير غضبه في هذه المرحلة، وأن تنتظر الفرصة المناسبة لتتمكن من مناقشة المسألة معه مجدداً.

سألتها أطوار: **"وماذا عن البرنامج الذي يتوجب عليَّ الظهور فيه بعد أيام..؟"**

طلبت منها سلوان أن تتواصل مع فريق الإعداد في البرنامج لتأجيل الموعد، أو عن إمكانية ظهور الأستاذة سلوان بدلاً عنها، وذلك ما حصل بالفعل لاحقاً.

فباتفاقهما، كانت تلك فرصة لا ينبغي لهما التفريط بها.

الفصل العشرون

في يوم عرض البرنامج، جلست أطوار بغرفتها وقررت متابعة بث البرنامج من خلال هاتفها المحمول، ولم تشأ في أن تجلس بصالون المنزل، وتثير غضب والدها مجدداً حين يراها تتابع لقاء الأستاذة سلوان.

رحب مقدم البرنامج بالأستاذة سلوان، والتي ظهرت كعادتها بكامل أناقتها.

بدأ مقدم البرنامج بطرح بعض الأسئلة الروتينية، لينتقل بعدها إلى الأسئلة الأهم، وبرعت سلوان في الإجابة عليها، واستمر عرض البرنامج لساعة كاملة.

وقبل نهاية اللقاء بدقائق، صرحت سلوان بأن لديها ما تود قوله للمشاهدين، مدت يدها في جيبها وأخرجت الرصاصة التي وصلتها داخل ظرف.

رفعتها لتكون أمامها مباشرة ويراها الجميع، أرادت للكاميرات أن تلتقط تلك الصورة التي تكون فيها الرصاصة أمام وجهها تماماً.

وعادت لتضع الرصاصة أمامها على الطاولة، ثم قالت: **"وصلتني الرسالة.. وتلقيت رصاصتكم.. تماماً كوالدي الذي تلقى رصاصة هو الآخر.. ولكنه تلقاها في صدره وليس في صندوق بريده مثلي.. لأنه أراد أن يقول الحقيقة.. تلك الحقيقة التي تخافونها.. وترتكبون المزيد من الجرائم من أجل طمسها.. ومن ثم سترتكبون جريمة أخرى من أجل إخفاء جريمتكم الأخيرة.. ولن تكتفوا.. ستستمرون في ارتكاب جريمة تلو الأخرى"**

التفتت سلوان نحو زاوية التصوير الأخرى، وقالت: **"وردي هو.. أنني لن أخاف.. سأواصل طريقي أنا وفريق عملي.. سنستمر بالصراخ حتى آخر نفس.. نحن نرفض بأن نموت صامتين.. وموتنا لابد وأن يكون موتاً استعراضياً.. بطولياً.. ملهماً لمن هم بعدنا من أجل أن يواصلوا السير في ذات الطريق.. نحن لا نخاف أن تموت أجسادنا.. نحن نخاف أن تموت أفكارنا.. وأفكارنا لن تموت.. لأنها تمثل العدالة.. وعدالة الله خالدة"**

التفتت سلوان نحو مقدم البرامج، وقالت له: **"منذ أسابيع ونحن نتلقى التهديدات بأشكال مختلفة.. وهناك من هم مكلفون**

بمراقبة تحركاتنا ومتابعتها.. إنهم لا يملون من تكرار ذات أساليبهم القديمة.. لا يكفون عن سرقة أحلام الناس.. يتشبثون بالسلطة.. والعمل ضد إرادة الشعوب.. وصناديق الاقتراع هي السبيل لإبعادهم عن السلطة.. وعن المشهد بالكامل"

وعادت سلوان والتفتت نحو الكاميرا، وهي تقول: **"رسالتي الآن لإخوتي في هذا الوطن.. انزلوا بكثافة لاختيار من يمثلكم.. لا تسمحوا للظلام بأن يزحف مجدداً ويبتلع وطنكم.. حريتكم.. إرادتكم.. كرامتكم.. لا يمكننا أن ندعي بأننا نقوم بحماية الأم حين نقتل أبنائها.. ولا يمكننا أن ندعي حماية الوطن.. ونحن نزج بأبنائه في السجون.. بتهم وحجج لا يمكنها سوى خداع السذّج.. المرشح موفق رشيد هو أحد رموز زمن الاستبداد.. عاد بقناع جديد.. بخدعة جديدة.. ونحن نقف في وجهه الآن بإرادة قوية.. ولن نتراجع"**

وبمجرد انتهاء البرنامج؛ بدأت أطوار بالتصفيق، وهي تشعر بأن الأستاذة سلوان تمكنت من تقديم عرض رائع، لتقلب فيه الطاولة على من يقفون خلف تلك التهديدات التي كانت تصلهم،

ونجحت في أن تحولها إلى قضية رأي عام، وهذا ما سيجعلهم يفكرون ألف مرة قبل أن يلحقوا الأذى بأي منهم، وأن تجعل تلك الأفاعي تعود إلى جحورها.

خرجت أطوار من غرفتها، وفي طريقها نحو المطبخ لإعداد كوب من القهوة، لاحظت والدها الذي كان جالساً بالصالون، ويبدو أنه كان يتابع لقاء الأستاذة سلوان..!

بعد عرض البرنامج، وفي غضون ساعات قليلة، كانت صورة سلوان وهي تحمل الرصاصة أمام وجهها قد انتشرت في كل وسائل التواصل، لتتحول تلك الصورة إلى أيقونة ترمز إلى الحرية.. ورفض الاستبداد.

في صباح اليوم التالي، خرجت أطوار من غرفتها لتتوجه إلى الجامعة، ووجدت والدها السيد شاكر يجلس في صالون المنزل، يحتسي فنجان شاي ويدخن سيجارة، ويتصفح أحد الصحف بين يديه.

مرت بالقرب منه وألقت عليه تحية الصباح، ثم توقفت للحظات بانتظار أن يرد عليها التحية.

قلب صفحة من الجريدة التي بين يديه، والسيجارة تتدلى من بين شفتيه، ورمادها يكاد يسقط على الأرض.

همت أطوار بالمغادرة، إلا أنه طلب منها الانتظار قليلاً، وناولها الجريدة.

أمسكت أطوار بالجريدة وهي تنظر إلى والدها، دون أن تدرك ما الذي كان والدها يريد منها رؤيته في الصحيفة..!

قال السيد شاكر: **"ستجدين صورة الأستاذة سلوان في الصفحة الثانية.. جميع الصحف اليوم تناولت الموضوع وتتحدث عن اللقاء الذي أجرته يوم أمس"**

صمت للحظات، وعاد ليقول: **"لقد قدمت عرضاً جيداً ليلة البارحة"**

أطفأ سيجارته في منفضة السجائر ونهض من مكانه وغادر متوجهاً نحو الداخل.

كانت صورة سلوان وهي تمسك بالرصاصة منشورة على صفحات كافة الصحف التي صدرت هذا الصباح، مع مقالات

تناقش قضية التهديدات تلك، وتحاول التكهن بهوية من يقفون خلفها.

الفصل الحادي والعشرون

بدأت أطوار تشعر بالعجز أمام إصرار والدها ومنعها من مواصلة نشاطها في الجمعية، وشعرت بأن هذه المرحلة كانت مهمة، إلا أنها غير قادرة على المساهمة فيها بأي شيء، وكانت بعيدة عن أي أحداث جديدة تحصل في الجمعية، وعن المشاركة بأي من أنشطتها.

كان العام الدراسي يوشك على أن ينتهي، ولم يتبقَ سوى أسابيع قليلة على حفل تخرج أطوار.

حاولت إقناع نفسها بأن هذه فرصة جيدة لتتمكن من الاهتمام بدراستها، وتمني نفسها بأنها ستتمكن من مناقشة المسألة من جديد مع والدها بعد التخرج وإقناعه.

التفتت إلى شمعة كانت تضعها أمامها على مكتبها، أشعلتها وجلست تتأملها، تتأمل بريقها الهادئ والساحر، وتلك القطرات من الشمع التي تذوب وتسيل على جانبي الشمعة، وهي تدرك بأن تلك القطرات الصغيرة إنما هي من جسد الشمعة، وأن الشمعة حتماً ستحترق بالكامل وتتلاشى في النهاية.

شعرت أطوار بأننا كبشر نشبه الشموع، تبدأ لحظة تلاشينا من لحظة ولادتنا وقدومنا للحياة، نحلم بأن نكبر بسرعة، دون أن ندرك بأن الأيام التي تذهب لن تعود، وأن الأمنيات تجعلنا نستعجل الأيام لبلوغها، بينما كل تلك الأيام تنقص من رصيدنا في الحياة، نمني أنفسنا بأن الأيام القاسية ستغادرنا يوماً، ونعيش بانتظار رحيلها، دون أن ندرك بأننا إنما نسرع نحو لحظات ربما تكون أقسى..!

وفجأة ينتهي كل ذلك.. ونجد أنفسنا وقد تحولنا إلى ما يشبه الشمع الذائب والمتراكم فوق بعضه بشكل عشوائي، ولا يبقى من ملامحنا القديمة شيء.

أوت إلى فراشها، ووضعت الشمعة على الطاولة التي بجوارها، وظلت تتأملها لبعض الوقت حتى شعرت بأنها على وشك أن تغفو.

تناولت الشمعة، وأرسلت من صدرها زفرة رقيقة وأطفأتها، وهي تقول لها: **"ليس اليوم"** عادت ووضعتها على الطاولة وهي تتمنى لها ليلة سعيدة.

في صباح اليوم التالي، استيقظت أطوار، ارتدت ملابسها وتناولت وجبة الإفطار.

وقبل أن تخرج وتغلق باب غرفتها؛ التفتت نحو الشمعة، اقتربت منها، قالت لها: **"صباح الخير.. لا زلتي هنا..؟ لم تتغير ملامحك كثيراً.. سيكون بإمكانك أن تعيشي لأيام أخرى.. سنكون قادرين على أن نحظى بلحظات أخرى جميلة معاً"** وخرجت.

وصلت أطوار إلى الجامعة، ومشت بخطوات سريعة نحو قاعة المحاضرات، وعند البوابة التقت بأستاذ المادة، الأستاذ غيث.

توقفت وهي تحاول السماح له بالدخول أولاً.

توقف هو الآخر، وقال لها: **"إن دخلت قبلك.. سأعتبر أنكِ قد تأخرتِ عن موعد المحاضرة.. وحينها سأطلب منك مغادرة القاعة..!"**

ضحكت أطوار وهي تقول: **"حسناً سأدخل أولاً إذاً"**

طلب منها الأستاذ غيث التوقف للحظة، وهو يقول بأنه يرغب في الحديث معها، ويطلب منها أن تزوره في مكتبه بعد المحاضرة.

كان الأستاذ غيث، أحد أصغر الأساتذة والمحاضرين بالجامعة، شاب وسيم وذكي، ويتمتع بحضور ملفت، ولم يبلغ الـ ٣٤ من عمره حتى الآن.

وبالفعل، أنهت أطوار محاضرتها، وتوجهت نحو مكتب الأستاذ غيث، طرقت الباب واستأذنت بالدخول.

طلب منها الأستاذ غيث الدخول والجلوس، وبدأ معها الحديث بالقول: **"لقد أبليتِ حسناً في الاختبار الأخير"**

وتابع وهو يقول: **"لم تكن هذه المادة الأولى التي تدرسينها معي.. ولطالما كنت على يقين بأنكِ تتمتعين بشخصية قوية.. وأنكِ اخترتِ المجال الأنسب لشخصيتك.. أنا على ثقة بأنكِ ستحققين النجاح في مجال المحاماة"**

ردت أطوار: **"يسعدني سماع ذلك منك"**

الأستاذ غيث: **"أعلم أن هذه السنة الأخيرة لك بالجامعة.. وأنتِ على وشك إنهاء هذه الرحلة من حياتك.. والانخراط في العمل قريباً.. وعليكِ أن تدركي بأن الحياة المهنية تختلف كثيراً عن حياة الجامعة"**

أطوار: **"أدرك ذلك تماماً"**

الأستاذ غيث: **"حسناً.. هناك ما أود الحديث عنه معك"**

ردت أطوار بأنها تنصت إليه.

الأستاذ غيث: **"حقيقة.. منذ مدة وأنا أفكر في إنشاء شركة المحاماة الخاصة بي.. وأرى أنه من المناسب استغلال فترة الإجازة القادمة للقيام بذلك"**

ثم تابع: **"كنت أرغب في انضمامك لفريق العمل"**

ابتسمت أطوار وهي تخبره عن مدى سعادتها بأن وقع اختياره عليها، إلا أنها عادت لتخبره: **"لكن للأسف ذلك غير ممكن.. أنا في الحقيقة أتدرب في شركة محاماة منذ أشهر.. كما أنني مضطرة للاستمرار في ذات الشركة"**

تسائل الأستاذ غيث لمَ قد تكون مضطرة للاستمرار في ذات الشركة..؟ لتخبره بعدها أنها عضو في جمعية (صرخة) وأن شركة المحاماة تلك هي من ستقوم بتمثيل عائلات ضحايا النظام السابق.

عبر لها عن أسفه لسماع ذلك، ثم عاد ليسأل عن اسم المحامي الذي تتدرب عنده..؟

ردت أطوار بأنه (مكتب المحامي ياسر عبدالسلام)

صمت الأستاذ غيث للحظات، وكأنه كان يحاول تذكر شيء، ثم رفع حاجبيه في حالة تعجب وهو يسأل، ولمَ وقع اختيارهم على مكتب المحامي ياسر عبدالسلام بالذات...؟!

ردت أطوار بأن ذلك جاء بمبادرة شخصية من الأستاذ ياسر المحامي، وهو من عرض خدماته على الجمعية ليقوم بتمثيل الضحايا.

كانت أطوار قد لاحظت ملامح الأستاذ غيث، وكيف تعجب بمجرد ذكرها لاسم الأستاذ ياسر عبدالسلام، وحاولت الحصول على إجابة..؟

تجاهل الأستاذ غيث سؤال أطوار، ورد بسؤال آخر: **"هل اطلعتِ على نوعية القضايا التي يتولى ياسر عبدالسلام الترافع فيها..؟"**

ردت أطوار: **"بالتأكيد"**

عاد ليسأل: **"وما كان انطباعك حيالها..؟"**

اعتذرت أطوار عن الإجابة على السؤال، بحجة أن ذلك يقع ضمن دائرة الأسرار الخاصة بالمكتب.

خرجت أطوار من مكتب الأستاذ غيث وتوجهت نحو قاعة

المحاضرات التالية، وفي الطريق تلقت اتصالاً من عبدالرحمن، والذي كان يسألها إن كانت ترغب في تناول وجبة الغداء برفقته، وأخبرها بأنه اكتشف مطعماً جديداً يقدم أطباقاً مميزة.

صمتت أطوار قبل أن تجيب، وشعرت بأنها منذ أيام لم تحظَ بأوقات كثيرة خارج المنزل بسبب الخلاف الحاصل بينها وبين والدها.

ردت أطوار على عبدالرحمن بالموافقة، وأخبرته بأنها ستنتهي محاضرتها الساعة الواحدة بعد الظهر.

بعد الظهر التقت أطوار بعبدالرحمن، واصطحبها إلى المطعم الجديد.

تناولا الطعام سوياً وحظيت ببعض الوقت الممتع، إلى أن انتبهت أن الشخص الذي كان يراقبها في المرة السابقة يقف مجدداً على الرصيف المقابل، وأدركت أنه من غير المعقول أن يكون الأمر صدفة.

أشارت بيدها للنادل الذي كان واقفاً في أحد أطراف المطعم.

تقدم نحوها وهو يسأل إن كان لديها أي طلب..؟

همست إليه وهي تسأله إن كان هناك باب آخر للمطعم..؟

أجاب النادل بأن هناك باباً خلفياً.

تناولت أطوار حقيبة يدها، وطلبت من عبدالرحمن أن يغادرا المكان.

تعجب عبدالرحمن من رغبتها في الخروج من الباب الخلفي..!

إلا أنها طلبت منه ألا يشغل باله بالأمر.

خرجا سوياً من الباب الخلفي وابتعدا قليلاً عن المطعم، وحينها أخبرها عبدالرحمن بأن منزله يقع على بعد شارعين من هنا، وطلب منها مرافقته لأنه يرغب بأن تتعرف بوالدته.

رحبت أطوار بالفكرة، وهي تقول بأن ذلك سيكون من دواعي سرورها.

سارت أطوار بجوار عبدالرحمن وهي تتلفت حولها، إلى أن تأكدت ألا أحد يتبعها.

وصلا إلى المنزل، وكان عبارة عن مبنى من عدة طوابق،

وتوقف عبدالرحمن للحظة عند البوابة الخارجية وهو يخبرها بأنه يسكن مع والدته هنا منذ طفولته، وأنه قضى كل حياته في هذا المنزل.

تقدمها صعوداً نحو الأعلى، فتح باب الشقة وطلب منها الدخول والجلوس.

دخلت أطوار وتجولت بنظرها في أرجاء المكان، ولاحظت بأنه منزل بسيط، وأدركت المستوى المادي المتواضع الذي يعيشه عبدالرحمن.

غاب عبدالرحمن للحظات قليلة وعاد، وهو يقول: **"يبدو لي بأن والدتي ليست بالمنزل..!"**

نهضت أطوار من مكانها وهي مرتبكة وتسأل: **"ما الذي تعنيه بأنها ليست بالمنزل..؟!"**

عبدالرحمن: **"ربما خرجت للتسوق.. أو ذهبت لزيارة أحد قريباتها"**

اندفعت أطوار نحو باب الشقة وهي تخبره بأنه لا يمكنها البقاء، وأن عليها المغادرة على الفور.

أسرع عبدالرحمن وحال بينها وبين الخروج، وهو يسألها

بتعجب: **"ما الأمر.. لا أظنها ستتأخر"**

طلبت منه الابتعاد والسماح لها بالمغادرة.

لكنه أمسك بيدها وهو يطلب منها البقاء لبعض الوقت.

نظرت إليه أطوار بغضب، وسحبت يدها بقوة وهي تصرخ في وجهه: **"كيف تجرؤ على مسك يدي بهذه الطريقة..؟!"** دفعته بقوة، وخرجت وهي تركض.

نزلت إلى الطابق الأرضي وهي تخطو خطوات سريعة نحو بوابة الخروج.

استوقفها أحدهم عند الباب وهو يسألها: **"ماذا كنتِ تفعلين بالأعلى.. وفي أي شقة كنتِ..؟!"**

ردت عليه بعصبية وهي تقول: **"وما شأنك أنت.. ابتعد عن طريقي"** ودفعته بعيداً.

الفصل الثاني والعشرون

كانت أطوار منشغلة هذا المساء بارتداء ملابسها، ووضع مساحيق التجميل، وكعادتها كانت ترتدي قطعة ثم تبدل رأيها وتجرب لبس قطعة أخرى، بينما كان والدها يجلس في صالون المنزل بانتظارها، ويصرخ منادياً عليها باستمرار، وهو يحاول استعجالها.

خرجت أطوار أخيراً وهي تحمل على ذراعها عباءة التخرج، وتمسك بيدها القبعة.

نظرت إلى والدها السيد شاكر، ووجدت أنه قد ارتدى ملابس رسمية وانيقة مع ربطة عنق جميلة.

تأملته بنظرها من الأسفل إلى الأعلى، وهي تداعب والدها بكلمات غزل بريئة، وتمازحه بالقول بأنه ولابد يحاول إيجاد عروس مناسبة له هذا المساء من بين الخريجات.

نظر إلى هيئته وهو يسألها إن كان يبدو أنيقاً..؟

أشارت بيدها وهي تقول له: **"تبدو في غاية الأناقة..!"**

وصلت أطوار برفقة والدها السيد شاكر إلى قاعة الاحتفال، توقفت للحظات وقامت بارتداء العباءة ووضعت القبعة فوق رأسها، ومن ثم أمسكت بيد والدها وتقدما نحو الداخل.

فور دخولها، تجولت بنظرها في المكان، والذي كان مزدحماً للغاية.

بحثت عن صديقتها رحمة، حتى تمكنت من لقائها.

تقدمت رحمة نحوهما، وألقت التحية على السيد شاكر.

كانت هيئة رحمة تبدو في غاية الفوضى، ونظرت إلى قبعة أطوار وهي تسألها: **"كيف تمكنتِ من تثبيتها فوق رأسك بهذه الطريقة..؟ لم أتمكن من تثبيت قبعتي.. وهي تميل وتقع من فوق رأسي باستمرار"**

أشارت أطوار لها بعينها نحو قبعتها.

لم تفهم رحمة قصدها، وسألتها: **"ماذا..؟!"**

عادت أطوار لتشير لها بعينها مرة أخرى وهي تضحك.

ولكن رحمة لم تفهم قصدها مجدداً..!

همست لها أطوار: **"الدندوشة"**

رحمة: **"ما بها..؟!"**

كانت دندوشة قبعة رحمة تتدلى من مقدمتها، فأمسكت بها أطوار بلطف وأعادتها إلى الخلف، وهي تقول لرحمة: **"هكذا ستبدو أجمل"**

بحثت عن مقعد خالٍ لوالدها، وطلبت منه الجلوس وهي تخبره بأن عليها اللحاق بزميلاتها.

ابتعدت عن والدها قليلاً، وقامت بالاتصال بالأستاذة سلوان، لتسألها إن كانت قد وصلت..؟

أخبرتها سلوان بأنها لاتزال بالطريق، ويلزمها بعض الوقت لتصل، وطلبت منها عدم انتظار وصولها، وبأنها ستلتقيها عند نهاية الحفل.

وقفت أطوار بجانب صديقتها رحمة، أمسكت بيدها، بدأ طابور الخريجين بالسير، والتلويح لأحبتهم الذين حضروا من أجلهم، من أجل هذه اللحظة، هذه اللحظة التي سعى من أجلها كل أب في هذه الحياة، لكي يتمكن من رعاية أبنائه ليصلوا إلى هذه

اللحظة، هذه اللحظة التي كانت كل أم تتصورها في خيالها حين تودع طفلها كل صباح وهو في طريقه إلى مدرسته.

شاهدت أطوار والدها يقف بعيداً ويصفق بحرارة، تذكرت كل تلك اللحظات التي جمعتها به وهي طفلة، وحين كبرت قليلاً، وبعد أن غادرت والدتها هذه الحياة، كل لحظات الحب التي غمرها بها؛ ليعوضها عن ألم الفقد، في حين كان هو نفسه يعاني بصمت من ذات شعور الفقد.

لوحت لوالدها، وهي تهمس داخلها: **شكراً لك.. ها قد كبرت أطوار.. وستكون فخوراً بها.. شكراً أبي.. سأظل أرددها دوماً.**

سارت حتى بلغت المقاعد، جلست أطوار بجوار صديقتها رحمة، كانت تشعر بالكثير من الإثارة والتوتر، تنظر حولها وتتأمل ملامح السعادة التي ترتسم على الوجوه، وهي تدرك بأنها نهاية مرحلة وبدء مرحلة بالنسبة لها وللجميع.

رحلة الانطلاق في الحياة، النجاحات والإخفاقات، الطموحات والخيبات، رحلة الإبحار بأشرعة ممتدة نحو السماء لنتخذ من الرياح وسيلة لتحملنا نحو الموانئ التي ننشدها، وهي ذات الرياح التي قد تعصف بنا وتحطم سواري الأشرعة.

النقطة التي سينطلق منها الجميع، ويختار طريقه في هذه الحياة، وبالتالي يحدد مصيره فيها، قد لا ندرك في هذه اللحظة أين سنكون بعد عشرة سنوات، بعد عشرين، ولكننا حتماً سنكون مختلفين، منا من سيكون واقفاً في الجانب المظلم، وآخر سيكون في الجانب المشرق، وحدثت أطوار نفسها وهي تقول: **وأنا حتماً سأكون في الجانب المشرق.. سأكون نصيرة للحق دائماً.**

سرحت مع كل تلك الأفكار ولم تستفق منها إلا حين شعرت برحمة وهي تكزها في جانبها وتقول: **"ما بك..! هيا ألم تسمعي.. إنهم يدعونك للصعود إلى المنصة لاستلام شهادتك..!"**

انتهى الحفل، وأسرعت أطوار نحو والدها وضمته بقوة، وعادت لتتأمل ملامحه؛ لتجد بريقاً يلمع في عينه، أدركت بأنها دموع الفرح التي تصارع رجلاً بقوة السيد شاكر لتتمكن من التحرر.

كان المكان مزدحماً والصخب عالياً، تلفتت حولها وهي تحاول البحث عن الأستاذة سلوان، وفجأة سمعت صوتاً ينادي اسمها، التفتت لتجد الأستاذة سلوان خلفها، وأسرعت نحوها، ضمتها

بقوة، وهي تقول لها: **"ستكونين دوماً مثلي الأعلى"**

ابتسمت الأستاذة سلوان ابتسامة رقيقة، ومن ثم نظرت نحو السيد شاكر، ونظر إليها، دون أن يخطو أي منهم خطوة باتجاه الآخر.

أمسكت أطوار بيد الأستاذة سلوان وطلبت منها أن تتقدم، حتى اقتربت من السيد شاكر.

بادرته سلوان بالتحية، ورد عليها السيد شاكر، ومن ثم قال: **"أعتذر منكِ.. لقد تحدثت إليكِ بطريقة غير لائقة ذلك المساء"**

الأستاذة سلوان: **"لا بأس.. أدرك موقفك كأب.. لا داعي للاعتذار"**

صمتت لحظات وعادت لتقول: **"نحن نحاول أن نحمي من نحبهم.. ولكننا دون أن نشعر.. نقف حائلاً بينهم وبين أن يصنعوا تجاربهم الخاصة.. ويخوضوا معاركهم.. ليتمكنوا من تحقيق النجاح.. من المنصف أن نترك لهم حرية الاختيار.. وأن نكتفي بأن نكون بالقرب منهم متى شعرنا بأنهم بحاجة إلينا.. وأن نمنحهم شيئاً من حكمتنا التي اكتسبناها من تجاربنا الخاصة.. ولن يكون بمقدورهم اكتساب نفس الحكمة**

إلا حين تكون لهم تجاربهم الخاصة.. حينها فقط.. سيكونون قادرين على منح حكمتهم لمن هم أصغر منهم سناً"

تمعن السيد شاكر في عيني سلوان في صمت، إلى أن سمع صوتاً غليظاً يحدثه ويقول: **"أوه يا شاكر.. لقد كبرت كثيراً..!"**

التفت السيد شاكر إلى من كان يحدثه، حدق إليه للحظات، ومن ثم بادره بالتحية: **"أهلاً بالسيد ياسر عبدالسلام.. حتى أنت قد تغيرت كثيراً"**

وأثناء الحديث سأله السيد ياسر: **"ما بال صوتك..؟"**

قص عليه السيد شاكر قصة مرضه، وكيف تسبب له بضرر في صوته.

رد الأستاذ ياسر بالقول: **"يؤسفني ذلك..!"**

سألت أطوار والدها بدهشة: **"هل تعرفان بعضكما يا أبي..؟"**

رد السيد شاكر بارتباك: **"في الحقيقة نعم.. لقد نشأنا في ذات الحي"**

الفصل الثالث والعشرون

وأخيراً.. أنهت أطوار دراستها الجامعية، وبات لديها متسع من الوقت لتكرسه لما تشعر بأنه واجبها، خاصة بعد أن غدى السيد شاكر أكثر تقبلاً لقرارها، وأكثر انفتاحاً تجاه نشاطها الحقوقي في الجمعية.

انتسبت أطوار إلى نقابة المحامين، وحصلت على بطاقة العضوية، وشعرت حينها بأنها تملك الآن كل ما يلزم للسير نحو تحقيق أهدافها، وهي تعمل الآن على اكتساب المزيد من الخبرة من خلال عملها في مكتب المحامي ياسر عبدالسلام.

كانت المؤشرات تدل على تقدم المرشح حسين شهاب في استطلاعات الرأي، وتمكن برنامجه الانتخابي من استقطاب الكثير من الناخبين المتحمسين، بينما كانت نفس البيانات تشير إلى تراجع شعبية المرشح موفق رشيد، ولم يكن قد تبقى على موعد الانتخابات سوى أسابيع قليلة.

وبعد أن حصلت أطوار على بضعة أيام من الراحة بعد تخرجها؛ عاد جدولها اليومي ليزدحم مجدداً.

نشطت الجمعية في محاولة لاستقطاب وإقناع المزيد من الناخبين ببرنامج السيد حسين شهاب.

ولم يكن أي أسبوع من تلك الأسابيع القليلة المتبقية على موعد الانتخابات ليخلو من لقاء تلفزيوني أو صحفي لأطوار أو الأستاذة سلوان.

استيقظت أطوار صباح ذلك اليوم وهي تشعر بالحماس، عليها أن تنهض وتتناول فطورها وترتدي ملابسها وتخرج بسرعة، أرادت أن تذهب لمركز الاقتراع لتضع صوتها في صندوق الانتخابات باكراً وقبل أن يزدحم المكان.

بعدها توجهت لمقر الجمعية، وكان الجميع في الجمعية قد اتفق على الاجتماع هنا طوال اليوم لمتابعة الأخبار وانتظار الإعلان عن النتائج.

مر الوقت بطيئاً ومملاً، والجميع يشعر بالحماس الممزوج بالقلق.

فاليوم سيرى الجميع نتائج جهدهم وعملهم لأشهر طويلة، وفوز مرشحهم السيد حسين شهاب؛ يعني بأنهم باتوا قريبين من تحقيق هدفهم، وتقديم كل المجرمين الفاسدين إلى القضاء.

كانت سلوان تلتزم الصمت طوال اليوم، تتابع الأحداث دون أن تعلق على أي منها، تقرأ المؤشرات دون أن تبوح ملامحها بأي تعبير.

بينما كانت أطوار تتابعها من بعيد، وهي تدرك بأن الأستاذة سلوان هي أكثرهم قلقاً وتوتراً وإن لم تفصح عن ذلك، كان الأمر في حقيقته يمثل معركة شخصية لها، فهي التي تعرضت للاعتقال والسجن، ولها ثأر شخصي مع ذلك النظام ورموزه، الذي تلوثت يداه بدم والدها.

للحظة شعرت أطوار بالخوف حين تخيلت السيناريو الأسوأ، وهي تسأل نفسها: **ماذا لو خسر حسين شهاب هذه الانتخابات اليوم..! أشعر بأن ذلك قد يحطم سلوان.. بل ربما سيقتلها.**

توقفت عن تلك الأفكار ولم ترغب في تخيلها، لأنها لم تحتمل تخيل النتائج.

لا يمكنها أن تنظر إلى انكسارات سلوان، اعتادت أن ترى سلوان هادئة.. قوية.. متماسكة، لا يمكنها أن تراها وهي تسقط وتنهار.

انتصف النهار، وحينها سمع كل من في الجمعية ضجة عالية بالخارج.

صرخ أحد الموجودين داخل الجمعية بأنهم محاصرون من أنصار موفق رشيد.

أسرعت أطوار نحو النافذة، وأزاحت الستائر قليلاً لتنظر إلى الخارج، أصابها الفزع حين رأتهم يحملون العصي ويلوحون بها بغضب.

بدأ الجميع يسمع هتافاتهم ضد حسين شهاب، وضد الجمعية، وضد سلوان.

ركضت أطوار نحو الأستاذة سلون، ووجدتها تجلس بهدوء، سألتها ما يتوجب عليهم فعله..؟ ولكن سلوان ضلت صامته.

ارتفعت الهتافات بالخارج، وبدأ زجاج بعض نوافذ مقر الجمعية بالتكسر بسبب الحجارة التي بدأ الحشد بالخارج بإلقائها.

نظرت أطوار إلى الأستاذة سلوان، انتظرت منها أن تقول شيئاً، وبعد صمت طويل قالت لهم: **"لا تسمحوا لهم باستفزازكم"**

ثم طلبت من أحد الموجودين الاتصال بالشرطة.

نهضت سلوان وتوجهت نحو أحد النوافذ، وقفت تتابع بصمت الحشد الكبير المحيط بالمبنى.

التفتت نحو أطوار، وهي تقول: **"عليهم أن يسألوا أنفسهم.. لمَ هم هنا..؟"**

سألتها أطوار ما الذي تعنيه بسؤالها..؟

الأستاذة سلوان: **"اليوم.. الجميع يملك قراره.. يمارس حريته.. عليهم فقط أن يحددوا خيارهم.. هم ليسوا بحاجة لأن يمارسوا العنف ضد أحد.. عليهم أن يمسكوا بورقة ويسقطوها داخل صندوق الاقتراع.. لا أن يمسكوا حجراً ويكسروا به النوافذ..!"**

نظرت أطوار إلى سلوان وهي تتساءل: **"ألم يكن يجدر بنا إيصال صوتنا إليهم..؟"**

ردت سلوان بالقول: **"كفي عن العبث وإضاعة وقتك معهم.. هؤلاء يصعب استقطابهم.. بينما تسهل خسارتهم.. ستعانين**

من أجل إقناعهم بوجود الشمس المشرقة أمامهم.. بينما يتمكن الآخرون من إقناعهم بالأكاذيب.. من أراد الحقيقة.. سيبحث عنها حتى يبلغها.. ولن يكون بحاجة لأحد ليساعده على تبديل قناعاته"

ضحكت سلوان ضحكة ساخرة وهي تقول: **"يكفي أن يصرخ أحدهم ويشير لهم إلينا والقول بأننا خونة.. لتبدأ حناجرهم بالصراخ.. أنا حتى لا أشعر بالشفقة تجاههم..!"**

استمرت الأستاذة سلوان وأطوار بمتابعة ما يجري بالخارج حتى وصلت قوات الأمن، وتمكنت من توفير الحماية لمقر الجمعية، وتفريق الحشود.

حل المساء، وارتفعت حالة التوتر داخل مقر الجمعية، الجميع ينتظر، ولم تعد هناك حوارات كثيرة تدور بين المتواجدين داخل المقر.

نهضت سلوان وتوجهت نحو الشرفة التي بالطابق الثاني، أسندت كتفها على أحد الأعمدة، ووقفت تتأمل أضواء الشارع

وحركة السيارات في البعيد.

لحقت بها أطوار ووقفت بجوارها.

بادرتها سلوان بالقول: **"مساء هادئ وجميل..!"**

وافقتها أطوار في ذلك، ثم قالت: **"ربما هو الهدوء الذي يسبق العاصفة دائماً..!"**

ضحكت سلوان وهي تسخر من أطوار، وتقول لها: **"لا تبالغي..!"** صمتت للحظة، وعادت لتقول: **"أجل.. ربما أنتِ محقة في ذلك..!"**

سرحت سلوان بنظرها إلى البعيد، وهمست بصوت خافت: **"بالفعل.. كان مساءً هادئاً يشبه هذا المساء تماماً..!"**

أطوار: **"أي مساء أستاذة سلوان..؟"**

الأستاذة سلوان: **"ذلك المساء الذي اختفى بعده (نهار).. وإلى الأبد..!"**

فهمت أطوار من الذي كانت تعنيه الأستاذة سلوان بحديثها.

أكملت سلوان: **"كان رجلاً فخوراً بنفسه.. يرفض الظلم.. الكذب.. يرفض أن ينحني لأحد.. ورساماً بارعاً..**

وكأن الفرشاة تتحول بين أنامله إلى ما يشبه عصى السحرة.. ورغم كل الألوان القاتمة التي كان يحب استخدامها في كل لوحاته.. إلا أنها دائماً ما تشعرك بأنها تتنفس.. وتتدفق بالحب والأمل"

تنهدت سلوان بعمق، وقالت: **"أجل.. كان ذلك المساء يشبه هذا المساء.. كان هادئاً.. شاعرياً.. كان نهار يتحدث إليَّ فيه برقة.. يجعلني أتخيل معه كل أحلامه.. وأحلامنا معاً.. كان يهمس إليّ وكأنه لا يريد لأحد أن يعرف بما كنّا نحلم به معاً"**

نظرت سلوان إلى أطوار وحدقت فيها واستمرت بالحديث: **"كان عليّ أن أدرك حينها بأنه الهدوء الذي سيسبق العاصفة..! أجل.. كان مساءً يشبه هذا المساء.. وكل ذلك الهدوء وتلك اللحظات التي وكأنما سرقناها من النعيم.. كانت تشي بشيء.. كانت تريد أن تخبرني بشيء.. وكان عليَّ أن أدرك ذلك..!"**

تساءلت أطوار عما حصل بعدها، لترد سلوان: **"في اليوم التالي.. حضرت قوة أمنيه إلى منزل نهار.. واقتادته إلى جهة مجهولة.. فقط لأنه كان يرفض أن ينحني لهم.. فقط لأنه رفض بأن يؤجر ريشته ليرسم للديكتاتور صورة تمجد**

إنجازاته الوهمية في كل معرض يقيمه.. لأنه رفض أن يصدق بطولاته التي لم يكن ليصدقها سوى السذج.. فقط لأنه باح لصديقه بالسر.. ودعاه للانضمام معه لحركة المعارضة التي بدأت تتشكل بالسر.. دون أن يدرك بأن صديقه الذي كان يثق فيه إنما كان قد باع ضميره منذ زمن"

أكملت سلوان: **"بحثت عنه لعدة أيام.. سألت عنه في كل مقر أمني.. وكان الرد الذي أحصل عليه (لا نعلم.. ليس معتقلاً لدينا) وبعدها بدأ كل من أشاد بفن نهار يوماً.. عاد ليكتب عنه ويقول بأنه يفتقر للإبداع.. وبأن كل أعماله الناجحة إنما هي أعمال لفنانين مغمورين.. وأنه كان يدفع لهم مقابل شراء لوحاتهم ويضع توقيعه عليها..! فجأة تحول إلى خائن وكاذب.. وبعد شهر من اختفائه.. وجدت جثته ملقاة في أحد الحقول.. ودون توجيه اتهام لأي كان.. وقيدت القضية ضد مجهول"**

اقتربت أطوار من الأستاذة سلوان وأمسكت بيديها وضمتهما بقوة، وهي تقول: **"لم أكن أتوقع بأن قائمة الحساب بينك وبينهم بهذا الحجم..؟! إنها فاتورة يتوجب عليهم سدادها"**

هزت سلوان رأسها وهي تخبرها بالقول: **"أجل.. يتوجب**

عليهم سدادها"

أطوار: **"سيمثلون في قفص الاتهام قريباً"** قالتها أطوار بثقة وإصرار.

الأستاذة سلوان: **"الكاتب.. الرسام.. الشاعر.. هؤلاء هم من يصنعون أسطورة المستبد.. ليسوقها بعد ذلك لأمثال من كانوا يتجمعون اليوم حول المبنى.. قطيع من السذج.. فالفنان لا يظن نفسه فناناً إلا حين يرسم له لوحة.. والشاعر بمجرد أن يتقن النظم.. ينظم فيه قصيدة.. ولكن نهار لم يكن ليفعلها.. كان حراً.. يرفض.."**

قطع حديث سلوان صوت صراخ وتصفيق ينبعث من داخل مقر الجمعية.

توقفت سلوان للحظة وهي تنظر إلى أطوار بذهول، ودون أن تتمكن من التفوه بكلمة..!

جذبتها أطوار من يدها بقوة وهي تضحك، وتقول: **"هيا.. ما بكِ تجمدتِ..؟! قلت لكِ سنفعلها"**

ركضت أطوار نحو الداخل، وهي تسحب الأستاذة سلوان خلفها، حتى وصلا حيث كان بقية الفريق يجتمعون.

كان الجميع يصفق بسعادة، والصخب يعم الأجواء.

تقدمت سلوان ببطء نحو شاشة التلفزيون الكبيرة التي كانت في القاعة، وقفت بصمت دون أن تبتسم، دون أن تهمس بكلمة، نظرت إلى الأرقام، إلى نتيجة التصويت النهائية فقط.

الفصل الرابع والعشرون

بعد أن باشر السيد حسين شهاب مهامه كرئيس جديد للبلاد؛ وبعد أسابيع قليلة من ذلك أصدر مرسوماً رئاسياً بتكوين لجنة، تعمل على سن قانون لمحاكمة كل المتورطين في قضايا التعذيب في عهد الرئيس صفوان مختار، وأمر بإعادة مراجعة ملفات التحقيق القديمة، والعودة إلى السجلات لمعرفة أسماء الضباط العاملين في السجون.

وكانت جمعية (صرخة) تقوم بدورها إلى جانب اللجنة، وتحاول الوصول إلى المعتقلين السابقين أو عائلات الضحايا.

شاع جو من الثقة بين الناس، بأن حسين شهاب يسعى بصدق لتحقيق العدالة للضحايا، وانكسر حاجز الخوف الذي كان يسيطر عليهم.

وتبدد الصمت الذي ساد لسنوات، ذلك العذاب الذي كان يعانيه الضحايا المجبرين على الصمت، وقد أعجزهم الخوف من العقاب والانتقام من النطق والمطالبة بحقوقهم، وكانوا مرغمين على التصفيق لجلاديهم، موهمين الجميع بأن الدموع التي

تنساب من عيونهم؛ إنما هي دموع فرح، بينما هي في الحقيقة دموع القهر.

وتحررت أيدي الكتاب من قيود السلطة، وانطلقت أقلامهم تتلمس سطور الحقيقة المستقيمة، وانغمست ريشة الفنانين في أوعية الدم المتخثر منذ سنوات؛ لتصور الحقيقة البشعة عن تلك الحقبة، وترسم ملامح المعذبين بكل تعابير الرعب والألم الذي عايشوه.

إنها اللحظة التي يؤمن بها كل من قرأ التاريخ جيداً، وهو يدرك بأنه يعيد نفسه، وأن الصامتين في كل مجتمع مقموع هم من سيصرخون بأعلى صوتهم حين تحل عقد الحبال التي كانت تخنقهم.

وتبدأ الأفاعي بالانسحاب إلى جحورها، وتظل كامنة وتستمر بمد رؤوسها من بين ظلمة الجحر، لتنتهز الفرصة بالظهور مجدداً متى وجدوا الأجواء الملائمة.

بينما تعمل أفاعي أخرى على سرعة تغيير جلودها، وارتداء صوف الحملان.

حينها، يعيد المجتمع تشكيل قيمه، ويعيد ضبط بوصلته في

الاتجاه الصحيح، بعيداً عن تأثير مغناطيسية السلطة التي حاولت قلب الأقطاب، وصورت الديكتاتور شمساً تشرق على الرعية من داخل قصره كل صباح، ويتحول إلى مركز يتم من خلاله تحديد كل الاتجاهات.

لم يكن الأمر سهلاً، وذلك سرعان ما أدركه أعضاء اللجنة، وسلوان وفريق (صرخة) فقد أتلف الجناة الكثير من الملفات المتعلقة بتلك الفترة، لتظل أسماء كثير من الضحايا مجهولة كأسماء جلاديهم وهوياتهم الحقيقية..! وبقيت مجرد قصص ترويها عائلات الضحايا دون القدرة على تعزيزها بأدلة ملموسة.

لقد رحلوا دون أسماء أو هويات، ولن يحظوا أبداً بشاهد قبر يخلد عذابهم..! مجرد جسد وجد ميتاً في مكان ما، وفي لحظة ما، مجرد إنسان انتهت رحلته المتعثرة في الحياة، وقيدت القضية ضد مجهول..!

الكثير من عائلات الضحايا كانت تسرد أسماء جلادين، أسماء حركية ومستعارة، ولا يمكن تحديد هوياتهم وأسمائهم الحقيقية، ألقاب مستمدة من قسوتهم، أو أساليبهم في التعذيب، يستحيل معها تصورهم كبشر يملكون قلوباً.

كانت رحمة، تلجأ في بعض الأحيان إلى أطوار في مكتبها فقط لتبكي بحرية، بعيداً عن نظر الضحايا.

تستمع إلى قصصهم حين يلجؤون إلى الجمعية للبحث عن العدالة، وتقديم شكوى، تنصت إلى كل تلك التفاصيل القاسية والمؤلمة، وتمتزج مع مشاعر الحنين تجاه من فقدوهم.

تحاول تسجيل ما يقولونه في نقاط مختصرة، ولكن سرعان ما تجد نفسها وقد كتبت صفحات، وصفحات، تسرد فيها فصول معاناتهم.

فلا يمكن اختصار معاناة إنسان في نقاط قصيرة، فعادة ما تكون فصول أي معاناة طويلة، وقادرة على أن تطغى على أي عنوان يحاول أحدهم اختصارها فيه.

كانت رحمة تحاول الإنصات والتماسك، إلا أنها سرعان ما تركض نحو أطوار وهي تبكي بمجرد مغادرة الضحية، وتروي لها ما سمعته منهم.

في حين أن قناعات أطوار تزداد مع كل قصة تسمعها من رحمة؛ ومع كل ملف يتم إعداده لجمع أطراف القضية لتقديمها إلى المحكمة؛ بأنها كانت مخطئة في تقدير حجم الجرائم

المرتكبة في حق أبناء وطنها، وبأن ما تجهله أكثر مما كانت تعرفه.

كانت أطوار تعمل على كل ملف، تراجعه وتجري تقييماً أولياً لمدى إمكانية تحويله إلى قضية قابلة لتقديمها إلى المحكمة.

وبعد مراجعة الملفات؛ كانت الجمعية تقوم بعرضها على اللجنة، وبعد موافقتها يتم تحويل الملف إلى مكتب المحامي ياسر عبدالسلام، استعداداً لرفع القضية.

وتم بالفعل تجهيز العشرات من ملفات القضايا التي تتوفر فيها بعض الأدلة، والتي يمكن ربطها بأسماء ضباط تم العثور على ملفاتهم الوظيفية في أرشيف الأمن.

وفي مكتب أطوار في شركة المحاماة الخاصة بياسر عبدالسلام، تم تكليف أطوار للعمل على مراجعة قضايا عديدة لعملاء المكتب، إلا أنها لاحظت بعد فترة، بأنها لم تكلف حتى الآن بمراجعة أي قضية من تلك القضايا التي تخص الضحايا.

بل على العكس من ذلك، فقد تم تحويل كل تلك القضايا وتوزيعها على بقية زملائها المحامين بالمكتب، بينما تم تكليفها هي بمراجعة قضايا أخرى مختلفة تتعلق بقضايا المخدرات

والتزوير أو الاحتيال.

وفي كل ملف قضية تكلف بمراجعته، كانت تشعر بذات الشعور الذي ساورها سابقاً، بأن المتهمين في تلك القضايا فعلاً مذنبون بارتكاب تلك الجرائم.

توجهت نحو مكتب الأستاذ ياسر عبدالسلام، دخلت عليه ووجدته يدخن سيجاره الفاخر كالعادة.

ألقت عليه التحية وجلست، وبدأت تسأل: **"أستاذ ياسر.. هناك العديد من ملفات القضايا التي قمت بإعدادها في الجمعية.. وكنت أنتظر بأن أستكمل دراستها هنا بعد أن تصل.. إلا أنني وجدت أن كل تلك الملفات تم تحويلها لزملائي.. هل لي بمعرفة السبب..؟"**

رد الأستاذ ياسر بالقول: **"حقيقة كنت أنوي أن أتحدث إليكِ بهذا الشأن منذ مدة.. ولا أدري كيف نسيت الأمر..؟!"**

أطوار: **"حسناً.. أنا أنتظر سماع ذلك منك الآن"**

الأستاذ ياسر: **"لقد اطلعت على كل تلك القضايا بشكل متعمق.. ووجدت أنها في غاية التعقيد.. وتتضمن إشكاليات مختلفة.. وهي بحاجة لدراسة مكثفة.. وإلى محامي يتمتع بخبرة كافية**

ليتمكن من معالجة بعض الثغرات"

أطوار: **"إذاً.. ما الذي يعنيه ذلك..؟ هل يعني بأنه لن يتم تكليفي بأي من تلك القضايا..؟"**

الأستاذ ياسر: **"لا.. ليس تماماً.. ولم أقصد التلميح بشيء من ذلك.. ولكن الأمر يعتمد على نوع القضية.. وما يتضمنه الملف من حيثيات"**

أطوار: **"ذلك يعني.. بأن الأمر يعتمد على مدى توفر قضية مناسبة لمحامية مبتدئه مثلي.. تتناسب مع خبرتها البسيطة"**

الأستاذ ياسر: **"أجل .. بالضبط ذلك ما كنت أعنيه"**

أطوار: **"ولكن خبرتي البسيطة تؤهلني لدراسة ملف قضية تزوير واحتيال.. مارس فيها المتهمون ألاعيب خبيثة وذكية من وجهة نظرك..! بعكس قضية تمثل الحقيقة الواضحة والتي هي بحاجة إلى تحديد هوية وأسماء الجناة فقط..؟!"**

صمتت أطوار للحظة وعادت لتقول: **"لقد اخترت الاستمرار في العمل هنا بعد أن انهيت فترة التدريب المطلوبة من أجل هذه القضايا فقط.. والآن أشعر بأني بعيدة كل البعد**

عن هذه الغاية.. وأن الأمر متروك لتقديرك الشخصي إن كنت مؤهلة أو لا..؟!"

ابتسم الأستاذ ياسر في وجه أطوار، وهو يعدها بأنه سيكلفها بدراسة أحد تلك الملفات متى شعر بأنها ستكون قادرة على دراستها.

نظرت أطوار إلى ملامحه وهو يبتسم، وهي تحدث نفسها: **لمَ أجد أن ابتسامته عادة ما تتسبب في تشويه ملامحه، في حين أن الابتسامة يفترض بها دائماً أن تزيد ملامحنا جمالاً وعذوبة..؟!**

الفصل الخامس والعشرون

توجهت أطوار إلى مقر الجمعية صباحاً، وجلست في مكتبها وهي تراجع بعض الملفات، بانتظار قدوم الأستاذة سلوان.

شعرت بأن شكوكها حول تصرفات الأستاذ ياسر عبدالسلام لابد وأن تبوح بها للأستاذة سلوان.

ولم يمض وقت طويل على وصولها إلى المكتب، حتى دخل عليها حارس المبنى، وناولها ظرفاً مغلقاً، وهو يخبرها بأن أحدهم أعطاه الظرف مساء الأمس وطلب منه إيصاله إليها.

شكرته بلطف، ودون أن تتمكن من إخفاء تعجبها، وأبلغته أن بإمكانه الانصراف.

فتحت الظرف، لتتفاجأ بما كان يحتويه بداخله، وتجد عدداً من صورها الشخصية مع زميلها عبدالرحمن.

صورها وهي تجلس بجواره في ساحة الجامعة وتضحك، صورها معه في المطعم، وصور لها وهي تدخل من بوابة المبنى الذي يسكنه عبدالرحمن، وصور أخرى وهي تخرج.

قلبتها واحدة تلو الأخرى، وهي لا تدرك ما الذي يعنيه ذلك..؟ أو ما الذي أراد أن يقوله لها من التقط تلك الصور وقام بإيصالها لها..؟ ثم من هو ومن يكون..؟!

تذكرت صاحب تلك الشخصية الغامضة الذي كان يراقبها أثناء تناولها للطعام مع عبدالرحمن في المطعم في المرة الأولى، وفي المرة الثانية.

وضعت بضع صور أمامها، وأسندت مرفقيها على المكتب وهي تمسك برأسها وتتأملها صور، صورة.

أدركت أن من أرسل إليها تلك الصور؛ أراد أن يبلغها برسالة، ولكن ماهي تلك الرسالة..؟

بدأت أطوار تعيد طرح ذات الأسئلة على نفسها مراراً وتكراراً، وهي تحاول أن تجد تفسيراً للأمر..!

ظلت على هذا الحال لبعض الوقت، إلى أن سمعت أحدهم يطرق عليها باب المكتب، أسرعت أطوار بجمع الصور، ولكن الباب فتح فجأة ودخلت الأستاذة سلوان.

كانت أطوار مرتبكة لأن الذي كان يطرق الباب لم ينتظر حتى تسمح له بالدخول، إلا أنها استعادت هدوؤها بمجرد أن رأت

الأستاذة سلوان وهي تقول: **"لقت أفزعتني أستاذة سلوان..!"**

شعرت الأستاذة سلوان بأن هنالك أمر ما كان يشغل أطوار، وسألتها ما بها.

قامت أطوار بمناولتها الظرف الذي بين يديها، وبدأت سلوان بتقليب الصور واحدة تلو الأخرى، وهي تسألها عما تعنيه هذه الصور..؟

ردت أطوار أنها مثلها تماماً لا تعلم عن أمر هذه الصور أو ما تعنيه، وروت لها كيف وصلتها الصور هذا الصباح.

توقفت سلوان عند صورها وهي تدخل وتخرج من المبنى وهي تسألها عن طبيعة هذا المبنى..؟

ردت أطوار بأنه المنزل الذي يسكنه عبدالرحمن.

حدقت سلوان في وجه أطوار وهي تسألها: **"هل يعني ذلك أنكِ ذهبتي برفقة عبدالرحمن إلى منزله..!"**

أسرعت أطوار لتبرير موقفها، وطلبت منها عدم تفسير الأمر بشكل خاطئ..! وروت لها كيف حصل الأمر، وكيف تصرف معها عبدالرحمن في ذلك اليوم.

صمتت سلوان للحظات، وكأنها تحاول تذكر أمر، وعادت لتسأل أطوار باستغراب: **"لم أعد أرى عبدالرحمن في الجمعية.. ولم ألحظ له أي نشاط منذ زمن..!"** وسألت أطوار إن كانت لاتزال على تواصل معه..؟

أخبرتها أطوار بأنها قطعت أي صلة لها به منذ ذلك الموقف، والذي مضى عليه قرابة الشهرين الآن.

الأستاذة سلوان: **"أشعر بأن مفتاح سر هذه الصور لدى عبدالرحمن.. وهو الوحيد القادر على تقديم تفسير لها..!"**

تناولت سلوان هاتفها وقامت بالاتصال بعبدالرحمن، ولم يستغرق الأمر طويلاً ليجيب على الاتصال.

قالت له سلوان بأنها بحاجة للقائه، لأنها ترغب في تكليفه بمهمة تخص الجمعية.

اعتذر منها عبدالرحمن عن إمكانية الحضور للقائها لأنه يعاني من وعكة صحية، وأنه يلازم المنزل منذ أيام، وأخبرته سلوان بأنها تفهمت الأمر.

نظرت سلوان إلى أطوار وهي تحاول التأكد: **"لقد أخبرتني**

للتو بأنه يسكن مع والدته في ذلك المبنى.. أليس كذلك..؟"

عادت أطوار لتأكد لها الأمر.

وبعد لحظة صمت، طلبت من أطوار أن ترافقها إلى منزل عبدالرحمن.

ظلت أطوار طوال الطريق تشعر بالارتباك والقلق، وسلوان تطلب منها بأن تهدأ، وأن الأمور يمكن حلها، حين تواجه عبدالرحمن بالأمر أمام والدته وتضعه في حرج.

وصلا إلى العنوان، وتقدمت أطوار الأستاذة سلوان نحو المصعد، وضغطت على زر طلب المصعد وانتظرا للحظات.

خرج أحدهم من غرفة مجاورة وهو يسأل لمَ هم هنا، وإلى أي شقة يرغبون الصعود..؟

التفتت نحوه أطوار، وسرعان ما أدركت بأنه نفس الشخص الذي قابلها في المرة السابقة عند البوابة حين كانت تغادر

المبنى، واستوعبت الآن أنه حارس المبنى.

أخبرته بأنهما ترغبان في الصعود إلى شقة عبدالرحمن الذي يسكن بالطابق الثاني.

رد حارس المبنى بكلمة واحدة : **"ممنوع"**

تعجبت أطوار من رده، وهي تسأل: **"ما الذي تعنيه.. بممنوع..؟!"**

رد الحارس: **"نظام المبنى يمنع دخول السيدات.. هذا مبنى خاص بالعزاب فقط"**

ردت أطوار بأن عبدالرحمن يسكن هنا مع والدته في الطابق الثاني..!

إلا أن الحارس عاد ليأكد لها بأن المبنى لا تسكنه أي سيدة، وأن كل من يسكن بهذا المبنى هم في غالبيتهم طلاب بالجامعة، أو موظفون مغتربون من مدن وقرى مجاورة.

لم تجد أطوار ما يمكنها قوله، وكيف تفسر كل ذلك..؟

أمسكت سلوان بيد أطوار وهي تطلب منها الخروج من المبنى، وأن عليهم المغادرة.

خرجت أطوار وتوقفت أمام المبنى للحظات وهي تنظر حولها ونحو واجهة المبنى، وتسأل نفسها بصوت مرتفع: **"هل يعقل أنني أخطأت في العنوان..؟"** ثم عادت لتأكد لنفسها الأمر، وتقول: **"لا يمكن.. إنه نفس الحارس الذي قابلته عند خروجي في المرة السابقة..!"**

ردت سلوان: **"لقد أوقع بكِ هذا المخادع.. أوهمك بأنه يعيش مع والدته بالمنزل.. واستدرجك إليه"**

تساءلت أطوار باستغراب، ما الذي تعنيه بأنه استدرجها..؟

سلوان: **"هذا يؤكد بأنه كان يحاول العبث معك.. وهو من كلف أحدهم لتصوير تلك اللقاءات بينكما.. وربما كان يخطط لما هو أسوأ من ذلك والحصول على صور أخرى لكِ وأنتِ بداخل الشقة بمفردك معه.. إلا أن انفعالك وطلبك المغادرة فوراً أفسد عليه الخطة.. لقد تصرفتِ بشكل صحيح في تلك اللحظة"**

ردت أطوار بقلق وارتباك: **"هذا يعني بأنه أراد تهديدي في مرحلة لاحقة إن رفضت الإذعان لطلباته..؟!"**

اكتفت سلوان بالتأكد على شكوكها.

أمسكت أطوار رأسها بخوف وهي تسأل: **"يا إلهي.. والآن**

كيف لي أن أتعامل مع هذا الأمر..؟! أخشى أن يتصرف بحمق وتهور.. ويعمل على أن تصل هذه الصور إلى يد والدي مع الكثير من الأكاذيب"

الفصل السادس والعشرون

سيطر الخوف والقلق على أطوار لأيام، وهي لا تعرف كيف لها أن تتصرف.

هي كانت تدرك بأن الصور ليس فيها أي شيء معيب أو فاضح، ولكنها كانت تخشى من أن ترافقها قصص وأكاذيب حول وجود علاقة من نوع ما بينها وبين ذلك الحقير.

وفي كل مرة تقابل والدها في المنزل كانت تنتظر أن يواجهها بالأمر، ويسيء بها الظن.

أو أن يقوم عبدالرحمن بنشر أكاذيبه بين صديقاتها وكل من تعرفهم.

في صباح أحد الأيام، حضرت سلوان للقاء السيد شاكر بالمنزل، والذي تفاجأ بزيارتها، لأنها بالتأكيد على علم بأن أطوار لا تتواجد بالمنزل في هذا الوقت من الصباح.

أخبرته بأنها لم تأتِ للقاء أطوار؛ بل هي هنا لأنها تريد أن تتحدث إليه في أمر يتعلق بها.

روت له ما حصل، وأن أطوار لا علاقة لها بتلك الصور، وحقيقة أن المدعو عبدالرحمن استغل ثقتها لأغراضه الشخصية، وطلبت منه أن يحسن الظن بها.

رد السيد شاكر بأنه لا يمكن أن يسيء الظن في سلوك ابنته لأنه يعرفها جيداً.

طلب من سلوان أن تزوده بعنوان سكن عبدالرحمن، وشكرها بعدها، وأخبرها بأنه سيتصرف بنفسه حيال الأمر.

في مساء نفس اليوم، ذهب السيد شاكر إلى العنوان، قرع جرس الباب وانتظر للحظات، فتح الباب ورأى شاباً يافعاً يسأله من يكون وماذا يريد..؟

سأله إن كان هو عبدالرحمن شريف، رئيس اتحاد الطلبة بالجامعة، ورد عليه بأنه هو.

قام السيد شاكر بدفعه نحو الداخل بقوة، وفي لحظة تمكن من طرحه على الأريكة والسيطرة على حركته.

وتحت خوف عبدالرحمن واستغرابه، أخبره بأنه والد أطوار، وأنه هنا من أجل تلك الصور.

أخبره عبدالرحمن بأنه لا يعلم عن ماذا كان يتحدث، وبدأ يرفع صوته ويستغيث.

لكمه السيد شاكر على وجهه، وطلب منه أن يكف عن الصراخ وطلب المساعدة.

نزفت لثة عبدالرحمن، وبدأ الدم يتدفق من بين شفاهه.

طلب منه السيد شاكر بأن يسلمه النسخ التي يملكها من الصور، ويحذره من التذاكي والاحتفاظ بنسخ أخرى.

أقسم له عبدالرحمن بأنه لا يملك أي صور، ولا يعلم عنها شيئاً.

جذبه السيد شاكر بقوة من ملابسه وطرحه أرضاً، وبدأ بلكمه بقوة عدة لكمات، وهو يقول له ألا يحاول العبث معه.

إلا أن عبدالرحمن استمر بإنكار علمه بشأن تلك الصور.

أخرج السيد شاكر هاتفه المحمول، فتح كميرا الجهاز، وسلطه على وجه عبدالرحمن الذي كانت علامات اللكم والصفح واضحة عليه، واستمر بصفعه عدة مرات.

نهض من فوقه وقال له: **"الآن لدي تصوير يثبت مدى الإهانة التي تعرضت لها.. وإن اقترفت أي حماقة وأقدمت على نشر**

الصور أو نسج أي أكاذيب حول ابنتي.. أقسم لك بأني لن أتردد في قتلك.. سأغادر الآن وأتركك لتفكر بالأمر.. وسأعود غداً لأخذ الصور.. أقسم لك بأني سأقتلك إن لم تفعل"

خرج السيد شاكر، وهو في غاية الانفعال والغضب.

عاد إلى المنزل، ورأته أطوار وهو يدخل ويبدو عليه بأنه غاضب ومنفعل.

أسرعت نحو غرفتها وأقفلت الباب بالمفتاح، وأسندت ظهرها إلى الباب، وهي تشعر بالخوف وتدرك بأن والدها قد علم بشأن تلك الصور.

استمرت بالدعاء: **"يا رب.. يا رب.. ماذا سأفعل الآن..؟ ماذا سأقول له..؟"**

ظلت واقفة خلف الباب وهي تنتظر بأن يأتي والدها ويقرعه بقوة، ولم تشك بأنه قد يكسر ذلك الباب ويدخل عنوة نحو الداخل.

مضت عدة دقائق.. ومن ثم مضت ساعة، إلا أن والدها لم يأتِ، وحينها أدركت بأنها ربما تخيلت ما لم يحصل، وتركت

لخيالها بأن يسرح بعيداً، وقالت: **"الحمدلله.. يبدو أن الأمر ليس كما ظننته..!"**

في صباح اليوم التالي، عاد السيد شاكر إلى شقة عبدالرحمن.

قرع الباب طويلاً، إلا أنه لم يجد أي رد، نزل إلى الطابق الأرضي وانتظر قليلاً، ومضى الوقت دون أي نتيجة، توجه إلى الداخل مجدداً والتقى حارس المبنى، وسأله عن عبدالرحمن، وأكد له الحارس بأنه قد ترك الشقة مساء الأمس، وانتقل للسكن في مكان آخر ودون أن يكون لديه أي معلومة عن عنوان سكنه الجديد..!

توجه السيد شاكر مباشرة نحو قسم الشرطة وقدم بلاغاً بواقعة الصور، وزودهم باسم عبدالرحمن، وبأنه طالب بالجامعة، وأكد له الضابط بالقسم بأنه سيبدأ بالبحث عن عبدالرحمن وإحضاره.

إلا أن عبدالرحمن اختفى، ولم يعد حتى يحضر إلى الجامعة.

وبعد عدة أسابيع من البحث، قام السيد شاكر بإعلام أطوار بأنه

قد عرف بالأمر، وأنه تصرف حياله، ولا ينبغي لها أن تقلق بشأن ذلك بعد الآن.

الفصل السابع والعشرون

عادت أطوار إلى ممارسة حياتها الطبيعية مجدداً، واعتبرت بأنها كانت ضحية حيلة خبيثة تعرضت لها، وأن مصير ذلك الحقير أن يقع في قبضة الشرطة.

في أحد الأيام، استدعى الأستاذ ياسر أطوار، وطلب منها الحضور إلى مكتبه.

طرقت الباب وطلبت السماح لها بالدخول، دخلت وجلست على المقعد أمام مكتب الأستاذ ياسر.

خرج الأستاذ ياسر من خلف مكتبه وهو يحمل في يده ملفاً، وناوله لأطوار وهو يطلب منها العمل على القضية.

تصفحت أطوار الملف بشكل سريع؛ وأدركت بأنه أحد الملفات التي عملت عليها منذ عدة أسابيع، وحدثت نفسها وهي تقول: **أخيراً سأعمل على أحد القضايا.**

شكرت الأستاذ ياسر، وطلبت منه السماح لها بالانصراف، إلا أنه طلب منها البقاء؛ لأنه يريد الحديث معها.

قال الأستاذ ياسر: **"للأسف.. لقد عمل الزملاء في المكتب على الكثير من القضايا الخاصة بالضحايا.. وتوصلوا إلى نتيجة.. وأن الكثير من تلك الادعاءات التي قدموها لا يمكن إثباتها..!"**

أطوار: **"ادعاءات..! هل تجد أن هذا هو التوصيف المناسب لها..؟!"**

الأستاذ ياسر: **"دعينا من الجدال حول التوصيفات.. الأمر غير مهم.. ما يهم هو أننا للأسف لن نكون قادرين على تقديم قضايا قوية"**

أطوار: **"حسناً.. لنصفها بأنها ادعاءات..! ولكن هل لي بمعرفة بعض تلك الثغرات التي تضعف القضايا..؟"**

الأستاذ ياسر: **"كل قضية تتضمن ثغرة مختلفة.. منها ما لم يتمكن المدعي فيها من تحديد تاريخ الاعتقال بدقة.. أو أنه لا يعرف السجن الذي اعتقل فيه.. أو اسم المحقق..!"**

أومأت أطوار برأسها وهي تقول: **"أوه.. حسناً.. لقد فهمت"**

نهضت من كرسيها بعد أن طلبت منه السماح لها بالمغادرة مجدداً.

وقبل أن تخرج، استوقفها ثانية وهو يقول: **"أوه.. كدت أنسى.. لدي لقاء تلفزيوني اليوم على القناة الثالثة.. سيكون اللقاء حول قضايا الضحايا التي يعمل عليها مكتبنا.. يسعدني متابعتك للبرنامج"**

ابتسمت أطوار وهي تخبره بأنها حتماً ستفعل.

عادت في المساء إلى المنزل، وجلست تنتظر موعد بث البرنامج.

وبمجرد ظهور الأستاذ ياسر أمام الكاميرا، ابتسم تلك الابتسامة المعتادة، وبمجرد أن رأتها أطوار، قالت: **يا إلهي.. كم بت أكره هذه الابتسامة.. وملامحه حين يبتسم..!**

طوال اللقاء، كان ياسر عبدالسلام يتحدث بتملق ويتصنع الكلمات بطريقة متكلفة، ولاحظت بأنه كرر ولعدة مرات عبارة أنه سيعمل على ملفات القضايا دون مقابل.

شعرت بعد وقت قصير من اللقاء، بأن الأستاذ ياسر أراد الترويج لنفسه من خلال هذا اللقاء، والظهور بمظهر المحامي

المتعاطف مع الضحايا، وأنه يسعى من أجل تحقيق العدالة لهم..!

في حين أنه كان يناقض نفسه حول مفهوم العدالة التي تحدث عنها مع أطوار سابقاً.

في صباح اليوم التالي، التقت الأستاذة سلوان بالمكتب في مقر الجمعية، وقررت بأن تبوح لها بكل شكوكها حول مدى جدية الأستاذ ياسر عبدالسلام للعمل على هذه القضايا بالفعل، وأنه يهدف من وراء تطوعه للترافع عنهم؛ إلى مزيد من البهرجة وتلميع صورته، والتسويق لنفسه ولمكتبه، دون وجود هدف إنساني أو نبيل..!

كما أكدت لها أطوار في حديثها، بأن كافة القضايا التي يعمل عليها ياسر عبدالسلام، قضايا قذرة، وتدور حول المال القذر، وأن التهم في مجملها حقيقية ومثبته على المتهمين في هذه القضايا..!

كانت سلوان تنصت إلى أطوار بصمت، وتنتظر أن تنهي

حديثها، لتصارحها بعدها بأنها باتت تشعر بذات الشعور حيال أهداف ياسر عبدالسلام.

تساءلت أطوار عمّا تفكر فيه الأستاذة سلوان، وكيف ستتصرف..؟

طلبت منها سلوان أن تمهلها بعض الوقت، وأن تحتفظ بكل تلك الشكوك المتبادلة بينهم في الوقت الحالي دون الإفصاح عنها لأحد.

الفصل الثامن والعشرون

باتت تصرفات الأستاذ ياسر عبدالسلام، تثير قلق أطوار بشكل أكبر، وتخشى أن يتم تقديم تلك القضايا إلى المحكمة دون الإعداد الجيد، مما سيقلل من فرصة حصولها على حكم عادل.

وبحكم أنها محامية، كانت تدرك بأن الخسارة للمرة الأولى؛ تعني بأن هناك فرص قليلة متبقية، ولا بد من إعادة تقديمها مجدداً في محاكم الاستئناف، ومن ثم المحكمة العليا، وبعد ذلك يكون الحكم قطعياً وغير قابل للاستئناف، إلا في حال ظهور أدلة جديدة، وهذا الأمر لا يمكن الوثوق به في نوعية هذه القضايا، فقد مضى على تلك الأحداث مدة من الزمن، وهناك الكثير من ملفات التحقيق التي فقدت أو تم إتلافها..!

كما أن هناك عدداً من الجناة الذين توفوا، ولن تكون هناك أي أحداث جديدة تمكنهم من تقديم القضية مجدداً.

أثناء تفكيرها في كل تلك التفاصيل؛ تذكرت حديثها مع الأستاذ غيث، كان واضحاً بأن هناك ما أراد إخفائه عنها في ذلك الحوار الذي دار بينهم، وأنه ربما أراد التلميح بشيء، ولكنه

تردد في الإفصاح عنه.

كانت تعلم بأن الأستاذ غيث قد انتهى من تجهيز مكتب المحاماة الخاص به، وأن المكتب قد باشر عمله منذ أسابيع.

أرادت استغلال هذه الفرصة، وزيارته في مكتبه الجديد لتهنئته، ومحاولة التوصل إلى ما حاول أن يخفيه عنها..!

وعند وصولها إلى المكتب، رحب بها الأستاذ غيث، ودعاها لشرب فنجان القهوة في مكتبة.

تناولت أول رشفة من الفنجان، وشعرت بمذاقه المميز، وللحظة تذكرت طعم فنجان القهوة الذي اعتادت على احتسائه في مكتب الأستاذ ياسر.

لقد كان للقهوة هنا مذاق رقيق ولطيف، وكأنها انعكاس لروح من يقدمها، حين يتم إعدادها بحب، وتقدم للضيف كتعبير عن الترحيب، لا أن تكون وسيلة لإثبات المقام الرفيع الذي يتمتع بها صاحب المكان.

إن من نحبهم، هم سكر هذه الحياة التي تمتزج مع كل لحظاتنا، وتمنح أوقاتنا معهم ذلك المذاق الذي لا نلبث وأن ندمنه،

نعتاده، نشتاق لرائحة البن الذي ينتشر من حولنا في الأجواء، لترتبط دائماً بذكرياتنا مع السكر، سكر حياتنا، أحبتنا.

منّا من يحب أن يطوق فنجان قهوته من خاصرتها، وكأنه يريد أن يعبر عن اشتياقه وحبه.. لها..؟ للفنجان..؟ بالطبع لا، إنما لأنه يريد أن يطوق اللحظة التي تجمعه بسكر حياته.

قاطع تلك الأفكار التي تداعت في خيال أطوار للحظات، سؤال الأستاذ غيث وهو يقول: **"إذاً.. كيف تجري الأمور معكِ..؟"**

اكتفت أطوار بالقول، أنها بخير.

عاد ليسألها إن كانت لا تزال تعمل في مكتب ياسر عبدالسلام..؟

أومأت برأسها إيماءة لطيفة، لتأكد له بأنها لاتزال تعمل في ذات المكتب.

صمت الأستاذ غيث للحظة، وهو يشعر ببرودة الإجابة، وعاد ليسألها: **"إن كانت لديك أي خطط للتغيير.. سأرحب بانضمامك إلينا.. لازال عرضي السابق سارياً"**

ردت أطوار بالقول: **"في الحقيقة.. أنا لا أشعر بالارتياح ضمن تلك الأجواء السائدة في مكتب الأستاذ ياسر.. هناك**

شيء ما يبدو لي خاطئاً..!"

الأستاذ غيث: **"كنت على يقين بأن هذا الشعور سرعان ما سيسيطر عليكِ.. لكن في حديثنا السابق كان الوقت مبكراً على التطرق إليه.. كنتِ بحاجة لأن تدركي ذلك بنفسك.. لأني أعلم بأنكِ تعين نبل هذه المهنة"**

أطوار: **"هناك ما يتوجب عليك قوله لي.. لكنك تحجم عن البوح به.. إن كنت تجد أن هذا هو الوقت المناسب لقول ذلك.. أرجوك أن.."**

قاطعها الأستاذ غيث بالقول: **"في الحقيقة.. نعم"**

أطوار: **"حسناً.. أنا أنصت..؟"**

الأستاذ غيث: **"في واقع الأمر.. الأستاذ ياسر لا يتمتع بسمعة جيدة بين أوساط المحاميين..! وربما أدركتِ ذلك بنفسك الآن.. بعد أن اطلعتِ على نوعية القضايا التي اعتاد على الترافع فيها.. وأنها دائماً ما تتمحور حول قضايا المال القذر"**

أطوار: **"وماذا بعد..؟"**

الأستاذ غيث: **"ألا يبدو لكِ ذلك كافياً..؟!"**

أطوار: **"أريد معرفة المزيد.. أنا على يقين بأن لديك المزيد مما ينبغي عليك قوله.. أرجوك"**

الأستاذ غيث: **"حسناً.. أنتِ تعلمين بأني لا أنتمي لذات الجيل الذي ينتمي إليه الأستاذ ياسر.. وأنه يكبرني بسنوات كثيرة.. ولكن من أعرفهم من المحاميين ممن هم في مثل سنه.. لم يكونوا يعرفونه قبل أن يقوم بإنشاء مكتب المحاماة ذاك.. وأن اسمه ظهر فجأة دون أن يكون له تاريخ سابق في المهنة.. عادة ما يعرف المحامون بعضهم.. وإن لم تكن معرفة عميقة.. فهم على الأقل يكونوا قد سمعوا باسمه مرة.. أو رأوه بين أروقة المحاكم حين بدأ التدرب والعمل ضمن فريق أحد مكاتب المحاماة التي تعمل منذ زمن..!"**

أطوار: **"إذاً.. ما الذي قد يعنيه ذلك..؟"**

الأستاذ غيث: **"لم يسبق لي وأن انشغلت بالبحث عن تفسير للأمر.. ولكن بما أنكِ وجهتي إلى السؤال.. سأقول لك ما أشعر به.. ربما يكون أحد المزورين لشهادة الحقوق.. وأنه قد حصل عليها بطريقة ما..؟!"**

صمت للحظة، وعاد ليقول: **"هذا مجرد استنتاج شخصي.. وليس هناك ما يؤكده"**

أطوار: **"هذا استنتاج مقلق أستاذ غيث"**

الأستاذ غيث: **"أجل.. هو كذلك.. ولكن قد تكون هناك تفسيرات عديدة أخرى.. مثل أنه كان يعيش خارج البلاد.. وعاد ليفتتح مكتبه الخاص.. إنما.."**

قاطعته أطوار وهي تستعجل الإجابة: **"إنما ماذا..؟"**

الأستاذ غيث: **"يكفي أن نعلم بنوعية القضايا التي يختار العمل عليها.. لندرك مدى نزاهته من عدمها.. وهو من تمكن من إثبات براءة العديد من الجناة في مرات كثيرة.. من خلال الالتفاف على القانون.. أو الطعن في إجراءات التوقيف وفي لائحة الاتهام"**

خرجت أطوار من مكتب الأستاذ غيث، بعد أن تمكنت من معرفة جانب من الحقيقة، ولكن ذلك الجزء من الحقيقة فتح الباب لمزيد من الشكوك والأسئلة..؟

وقبل أن تتوجه إلى المنزل، قامت بزيارة الأستاذة سلوان في منزلها، لتروي لها كل ما دار بينها وبين الأستاذ غيث من أحاديث.

أنصتت سلوان لحديث أطوار، وبدأت بالبحث عن أي تفسير ممكن لكل تلك التساؤلات..!

وأي منها قد يبدوا أكثر منطقية.. وكيف عليها التصرف الآن..؟!

الفصل التاسع والعشرون

صباح أحد الأيام، طرقت أطوار باب مكتب الأستاذة سلوان ودخلت؛ لتجدها في مزاج سيء.

سألتها أطوار عمّا كان يشغل بالها ويعكر مزاجها..؟

سألتها الأستاذة سلوان عن عدد الملفات التي تم تحويلها إلى مكتب الأستاذ ياسر..؟

حاولت أطوار تذكر الرقم الصحيح، ولكنها فشلت بذلك، إلا أنها أكدت للأستاذة سلوان بأن العدد يتجاوز الـ ٤٠٠ قضية على أقل تقدير.

بدأت الأستاذة سلوان تعبث بأصابعها بالخاتم الذي كانت تلبسه في إصبع يدها الأخرى، وهي تحاول تذكر أمر ما..!

ثم عادت لتقول: **"حسناً.. ٤٠٠.. وهناك رقم مشابه له تقريباً تم الانتهاء منه وتحويله من طرف اللجنة إلى مكتب ياسر عبدالسلام.. أي أن هناك نحو ٨٠٠ قضية تنتظر في أدراج مكتبه ولم يتم حتى الآن تقديم أي منها إلى القضاء..!"**

قالت أطوار: **"هناك ملف قضية واحدة فقط كلفني بدراستها الأستاذ ياسر.. وكتابة عريضة الدعوى.. ولكن هذا الملف أيضاً لم يتم تقديمه إلى المحكمة حتى الآن"**

بدأت سلوان بفرك جبينها وهي تقول: **"هذا الأمر بدأ يدعو للقلق.. هناك أمر ما.. شيء ما خاطئ يحصل معنا..؟"**

أدارت كرسيها الدوار، وتوجهت بنظرها من خلال نافذة المكتب نحو الخارج.

ثم عادت واستدارت وهي تقول: **"أرغب في لقاء الأستاذ غيث المحامي.. رتبي لنا موعداً لنلتقي به"**

خرجت أطوار وعادت إلى مكتبها، حاولت الاتصال بالأستاذ غيث، إلا أنه لم يكن يجيب على هاتفه.

في تلك اللحظة، دخلت رحمة إلى مكتب أطوار، وهي تقول بشيء من الحماس: **"أخيراً.. لدينا اسم"**

نظرت إليها أطوار، وهي تحاول فهم ما كانت تعنيه رحمة بذلك..؟

عادت رحمة لتقول: **"هناك اسم تكرر معنا في كثير من القضايا.. الجزار.. هل تذكرينه..؟"**

ردت أطوار وهي تتحمس لتكمل رحمة: **"أجل.. هو الاسم المستعار لذلك الجلاد.. مدير السجن المركزي.. والذي كان الناس يطلقون عليه اسم سجن المجزرة.. بسبب حجم الجرائم التي ارتكبت داخله طيلة سنوات"**

ردت رحمة بسرعة وهي تؤكد لها الأمر.

كانت أطوار بدأت تفقد صبرها، وتريد معرفة هوية ذاك المجرم المسمى بـ (الجزار) وتطلب من رحمه التحدث بسرعة دون إطالة.

رحمة: **"حسناً.. حسناً.. منذ دقائق انتهيت من الاستماع لرواية سيدة مسنة كانت تجلس في مكتبي.. وتخبرني بأن ابنها كان سجيناً في ذلك.."**

صرخت أطوار بانفعال وهي تطالب رحمة باختصار الحديث، والنطق باسمه: **"يا إلهي.. من..؟ ما اسمه..؟"**

ردت رحمة بسرعة: **" العقيد ياسر عبدالسلام"**

حدقت أطوار في وجه رحمة للحظات، ومن ثم قالت:

"ماذا..؟! ياسر عبدالسلام..؟ ألا يذكرك هذا الاسم بأحد يا غبية..؟!"

ضحكت رحمة وهي تقول: **"بلى.. محامي الجمعية ياسر عبدالسلام"** حتى هذه اللحظة لم يكن الأمر ملفتاً بالنسبة لرحمة، وانه مجرّد تشابه أسماء.

صرخت أطوار وهي تسأل: **"وأين تلك السيدة الآن..؟"**

ردت رحمة بهدوء: **"لقد غادرت منذ دقائق"**

أمسكت أطوار بيد رحمة وسحبتها نحو الخارج، وهي تقول لها أنها تريد أن تتحدث إلى السيدة.

نزلا سوياً إلى الطابق الأرضي، ولم تكن موجودة، ركضت أطوار وهي تسحب رحمة خلفها نحو الفناء وهي تسأل: **"أين هي..؟"**

ثم ركضت نحو الخارج، ووقفا عند البوابة وهما يتلفتان في كل اتجاه، إلى أن لمحت رحمة السيدة وهي تسير ببطء في الجانب الآخر من الطريق.

كانت سيدة مسنة، تمشي ببطء مستندة على عكاز.

ركضت أطوار خلفها وهي تناديها وتطلب منها التوقف للحظة.

وأخيراً سمعت السيدة العجوز صوت أطوار وتوقفت لتلتفت خلفها، وانتظرت أن تصل أطوار إليها.

ألقت أطوار عليها التحية، واعتذرت لها بلطف، ومن ثم سألتها إن كان بإمكانها أن تصف لها ذلك المدعو (العقيد ياسر عبدالسلام)؟

ردت السيدة العجوز: **"أجل.. لا يمكنني نسيان ملامحه ما حييت.. ذلك المجرم انتزع مني أغلى ما كنت أملكه في هذه الدنيا.. وهو من تسبب بموت ابني تحت التعذيب"**

بدأت السيدة تذرف الدموع، وتصف هيئته: **"كان رجلاً ضخماً.. له كتفان عريضان.. شعره يميل إلى اللون الأشقر قليلاً.. وله صوت صخم ومميز"**

أمسكت أطوار بكتفي السيدة، وهي تطالبها بالمزيد: **"أجل.. أجل.. أرجوك أن تتكملي سيدتي.. وماذا بعد..؟"**

أكملت السيدة: **"كان له شارب عريض.. وله ابتسامة غريبة.. قادره على أن تحول ملامحه إلى صورة أقرب إلى الشيطان في لحظة..!"**

وبدا بعدها أن السيدة تريد إضافة شيء ما، ولكنها عاجزة عن أن تجد الوصف المناسب.

قامت أطوار بهز كتفي السيدة بلطف، وهي تحاول دفعها للمواصلة، وهي تقول: **"أجل.. ماذا..؟ أنا أنصت إليك سيدتي"**

أكملت السيدة: **"و.. و.. لا أدري كيف أصف ذلك؟.. أجل.. لم يكن مصاباً بالمهق بالكامل.. ولكن كانت لديه بضع رمشات بيضاء على جفنه الأيسر"**

أرخت أطوار يدها التي كانت تمسك بكتفي السيدة، وهي تقول: **"نعم.. إنه هوَ.. هوَ"**

شكرت أطوار السيدة بلطف، والتفتت نحو صديقتها رحمة وهي تقول بأن بإمكانها الآن تفسير كل شيء.

الفصل الثلاثون

كانت سلوان واقفة تنظر إلى الخارج من خلال نافذة مكتبها، تتأمل قطرات المطر الخفيفة التي تهطل بهدوء، وتبلل زجاج النفاذة.

ها هو الشتاء يرسل رسله من جديد، وسلوان تقف هناك وتحاول التقاط رسائله وقراءتها، وهي تتساءل، ترا.. ما الذي ستتنبئني به هذه الرسائل..؟

وكيف ستكون ملامح هذا الشتاء..؟ هل سيكون قاسياً.. أم دافئاً ومفعماً بالحب..؟

هل سنهرب منه مجدداً ونلجأ إلى جوار مدفئتنا بحثاً عن الأمان..؟

حدثت نفسها وهي تقول: **الفصول.. زائر اعتدنا لقائه في كل عام.. لقد عايشت طوال سنين عمري ٤٥ فصل شتاء.. وتركت أثرها على شعري وملامحي.. حين كنت طفلة دائماً ما كنت أهرب منك أيها الشتاء لأحتمي في حضن أمي.. أبحث عندها عن الدفء الذي أحبه.. كنت دائماً أخاف بردك..**

رياحك.. حتى وإن حاولت أن تقول لنا غير ذلك.. وتغازلنا بأمسيات ماطرة.. أو أمسيات تحمل لنا معها هفات من الثلج ناصع البياض..!

ولكن بعد رحيل أمي.. لم أكن أجد من يحميني منك.. كنت وحيدة.. أواجه قسوتك وحدي.. وها أنا لازلت وحدي.. حتى في شتائي الـ ٤٦..!

طرق أحدهم باب سلوان، والتفتت وهي تقول: **"تفضل"**

فتحت أطوار الباب واسعاً وطلبت من الأستاذ غيث الدخول.

تقدمت سلوان للترحيب بالأستاذ غيث، وطلبت منه الجلوس.

قالت أطوار: **"لقد طرقت الباب لعدة مرات.. وتعجبت لعدم ردك.. لأني أدرك بأنكِ موجودة بالداخل..؟!"**

اعتذرت الأستاذة سلوان منهم، وأخبرتهم بأنها سرحت قليلاً بخيالها وهي تتأمل هطول المطر هذا الصباح.

رد الأستاذ غيث: **"المطر دائماً مبشر لحياة جديدة"**

وافقته سلوان وهي تعقب: **"هو كذلك.. أجل"** ثم سألته: **"كيف تحب قهوتك..؟"**

مضى بعض الوقت، ومن ثم تساءلت الأستاذة سلوان إن كان بإمكانها تجاوز سرد التفاصيل الكثيرة والانتقال مباشرة للحديث في الإجراء الذي عليهم اتخاذه الآن، لأنها توقعت أن تكون أطوار قد تولت مهمة إخباره بكل شيء.

رد الأستاذ غيث: **"أجل.. لقد أصبحت على دراية بكامل التفاصيل.. وأفضل أن نتحدث فيما هو مهم الآن.. وما يتوجب علينا القيام به في هذه المرحلة"**

ثم أكمل حديثه وهو يقول: **"تلك السيدة هي وسيلتنا الوحيدة الآن لإثبات هوية ياسر عبدالسلام.. شهادتها أمام القاضي ستكون الدليل القوي الذي يمكننا من ربطة بكل القضايا الأخرى التي ورد اسم (الجزار) فيها.. دون أن تكون لدى الضحايا القدرة على تحديد هويته الحقيقة"**

أومأت سلوان برأسها وهي تعقب: **"لقد كانوا حريصين وبارعين في إخفاء هوياتهم الحقيقة.. ربما لأنهم كانوا يدركون بأن هذا اليوم سيأتي حتماً"**

أطوار: **"لقد كان اسمه يتكرر في كثير من القضايا.. إلا أن أي من الضحايا لم يكن سبق له وأن رأى ملامحه.. فالجميع كان يقول بأن أعينهم كانت تبقى معصوبة.. يسمعون صوته..**

تهديداته.. ويتلقون الصفعات والسياط ويشعرون بها.. وفي حينها.. كان شعورهم بالألم ما يشغلهم ويهمهم.. ولم تكن ملامح جلاديهم مهمة"

الأستاذ غيث: **"بداية.. عليكِ إبطال صلاحية التوكيل الذي بحوزة ياسر عبدالسلام.. هذه هي الخطو الأولى.. وبعدها أنا على استعداد تام لتمثيل الضحايا في المحكمة"**

الأستاذة سلوان: **"أخشى أن ذلك سيؤدي إلى كشف الترتيبات التي نعمل عليها..؟"**

الأستاذ غيث: **"أجل.. نحن نريد أن نباغته فجأة.. وذلك لن يكون إلا بعد أن نكون قد قمنا بإعداد الملف بشكل جيد.. علينا العمل بصمت وبسرعة"**

التفت الأستاذ غيث إلى أطوار وهو يخبرها بأن عليها أن تشعر ياسر عبدالسلام، بأنها باتت تتفق معه على أن كل الملفات السابقة تعاني من ثغرات، وتفتقر للأدلة.

وعاد الأستاذ غيث ليقول لسلوان: **"عندها سنكون قادرين على كسب بعض الوقت.. لحين الانتهاء من بناء القضية ضده بشكل جيد.. ولكن يتوجب عليَّ في البداية لقاء تلك السيدة..**

قبل السير قدماً في الأمر.. هناك الكثير من التفاصيل التي يتوجب عليَّ معرفتها"

في الأيام القليلة التالية، رتبت رحمة موعداً للقاء السيدة المسنة في مقر الجمعية.

وحضرت السيدة وهي تسير ببطء، وكأنها تحمل أوزاراً حُمّلتها فوق عاتقها لينحني ظهرها تحت ثقلها، فلا يعود لها سوى عكاز تستند عليه بعد أن فقدت السند.

صعدت الدرج نحو الطابق الثاني، ومع كل خطوة ترتقي بها نحو الأعلى؛ تمني نفسها بأن ذلك سيقربها أكثر من العدالة التي غابت عنها لسنين طويلة.

فُتح باب مكتب سلوان، لتظهر في الصورة رحمة، ومن خلفها السيدة العجوز، ورحمة تطلب منها أن تتفضل إلى الداخل.

حينها، وكأن نافذة الماضي فتحت أمام سلوان، وهبت منها نسمات حارقة، تحرق الفؤاد وتذيبه، وعندها لن يكون بمقدور الأنفاس أن تطفئه، ولا الدموع بإمكانها إخماد نيرانه.

نظرت سلوان إلى السيدة وهي تتقدم ببطء، وقفت على قدميها،

تأملتها، أسرعت نحوها، احتضنتها، قبلت يدها وجبينها.

رفعت السيدة بصرها في وجه سلوان، تأملت ملامحها قليلاً، مسحت بكفها على وجهها، بكت، همست بصوت يختنق: **"سلوان"** وعادت لتسأل مجدداً: **"سلوان..؟"**

ردت سلوان: **"أجل.. أنا يا حاجة نسيمة.. أجل يا أم نهار.. أنا هيَ"**

كان المشهد سريعاً، لم يسعف أطوار لتستوعب كل تفاصيله..! أو تتمكن من طرح السؤال حتى بينها وبين نفسها لتسأل: **من تكون هذه السيدة..؟!** إلى أن سمعت سلوان وهي تناديها: **"يا أم نهار"**

حينها أدركت من تكون، أدركت أن الماضي الذي ندّعي كثيراً أننا نسيناه، أو تناسيناه، لا ينسانا أبداً، وفي لحظة ما، يعود إلينا بإصرار عجيب ويباغتنا، ليذكرنا بنفسه، بآلامه، بحسراته، ولكنه للأسف يعود وحيداً، فارغاً ممن كانوا معنا فيه، وعاشوا تفاصيله معنا..! يعود بعد أن اختفى من صورة الحاضر بعض من كانوا في صورة الأمس..!

ها هي أم نهار، تعود ومعها مفاتيح بعض الأسرار لتكشفها

لأطوار والأستاذ غيث، وتحمل معها ألبوم ذكريات خالي من الصور لسلوان.

شيء من رائحة الأمس المعتق والسجين في قوارير من الكريستال المخبأ في ذاكرتنا.

أمسكت سلوان بيدها وأجلستها على الأريكة، نزلت على ركبتيها أمامها، أبت أن تترك يدها وأن تبتعد، وهي تخبرها بأنها بحثت عنها لوقت طويل، ولكنها عجزت عن الوصول إليها.

أدركت سلوان أنها على وشك أن تسمع منها اليوم عن الجزء المفقود من فصول تلك الرواية، التي كانت تعلم حتى الآن كيف بدأت وكيف انتهت، ولكنها كانت تجهل أحداثها التي جرت في أحد الأقبية المظلمة، بعيداً عن أعين الناس، هناك عميقاً في عالم الشياطين، حيث لا مكان فيه للحب، وحيث تعزف السياط أنغامها الصاخبة على أجساد المعذبين.

همست سلوان بلطف إليها وهي تقول: **"تحدثي يا أم نهار.. ونحن سننصت.. احكي فصول الرواية.. فلا زالت تنتظر فصولها الناقصة منذ سنين لتكتمل"**

تأملت الحاجة نسيمة في وجه الحاضرين قليلاً، وبدأت تسرد فصول الرواية: **"في ذلك المساء.. حضرت القوة الأمنية إلى المنزل وقيدت نهار.. كانوا يصرخون.. يعبثون بكل شيء في المنزل.. يثيرون الفوضى في كل مكان.. كنت أصرخ فيهم وأنا أرى نهار مقيداً أمامي.. أطلب منهم أن يتركوه.. شعرت للحظة أنهم مصابون جميعهم بالصمم..! فهم لم يلتفتوا نحوي ولو لمرة واحدة.. ركلوه أمامي عدة مرات بأيديهم وبأرجلهم.. استمروا بركله وهم يسألونه عن الأوراق.. عن أسماء.. عن الخونة الذين يتآمرون معه..؟"**

نظرت الحاجة نسيمة إلى سلوان، وأكملت: **"كان كما هو دائماً.. كما عرفتيه يا سلوان.. قوياً.. عنيداً.. لم يجب عن أي من أسئلتهم..! كان يحدق في عيونهم بصمت"**

انتقلت سلوان من مقعدها الذي كانت تجلس عليه، إلى جوار الحاجة نسيمة على الأريكة، أمسكت بيدها وهي تطلب منها أن تكمل.

الحاجة نسيمة: **"بعد أن يأسوا من قدرتهم على دفعه للكلام.. حملوه إلى الخارج وأركبوه في سيارتهم وانطلقوا.. بعدها بحثت عنه لأيام.. لم يكن أحد ليجيبني أين هو..؟ وأثناءها**

كنتِ تخبرينني أنتِ أيضاً أنكِ لم تتمكني من الوصول إلى شيء حول مكان احتجازه"

سلوان: **"أجل.. أتذكر كل تلك التفاصيل"**

أكملت الحاجة نسيمة: **"بعد أيام.. أخبرني أحد الجيران والذي كان يعمل في جهة أمنية لا أعرفها.. بأنه تمكن من التوصل لمكان احتجازه.. وأنه تمكن من الحصول على إذنٍ لي بشكل استثنائي لأتمكن من زيارته لمرة واحدة.. ذهبت فوراً برفقته.. انتظرت هناك لساعات.. في مكان بارد وموحش..! كان ممراً طويلاً.. مظلماً.. صامتاً.. يبدد صمته وقع أقدام تعبر فيه أمامي بين وقت وآخر.. دون أن يلتفت أحد منهم نحوي.. أو يسألني لمَ أنا أجلس هنا منذ ساعات..؟ دون أن يرأفوا بقلب أم تنتظر هناك من أجل أن تحظى بنظرة واحدة فقط لوجه ابنها"**

نظرت الحاجة نسيمة في وجه سلوان، وهي تسألها: **"هل تدركين ذلك الشعور..؟"**

أجابت سلوان: **"لقد أدركته بكل حواسي حين كنت معتقلة في مكان لا يختلف عنه كثيراً..!"**

أكملت الحاجة نسيمة: **"حتى مر من أمامي ذلك المجرم.. ياسر عبدالسلام.. كان يسير بغرور وغطرسة.. ومن خلفه يركض أشخاص آخرون.. يتبعونه.. كما تتبع الكلاب سيدها.. أحدهم يحمل حقيبة يده.. أما الآخرون كانوا يركضون فقط خضوعاً وتذللاً.. وقف أمامي ونظر نحوي وهو يسأل أحد الضباط الذين كانوا خلفه: "من هذه المرأة.. ولمَ هي تجلس هنا..؟" وبعد أن علم بحاجتي التي دفعتني للجلوس هناك لساعات.. انصرف.. اختفى.. وكأنه غرق وتلاشي في ظلمة ذلك الممر الموحش.**

بعد ساعات من الانتظار.. أدخلوني إلى غرفة.. وجلبوا نهار مقيداً.. كانت ملامحه تبوح بكل ما تعرض له.. كانت الكدمات تملأ وجهه.. والجروح تغطي جسده.

ضممته إلى صدري.. صرخ من الألم حينها.. لأني لامست جراحة النازفة"

عادت الحاجة نسيمة لتنظر إلى سلوان وهي تخبرها: **"سألني عنكِ.. وأخبرته بأنكِ تبحثين عنه منذ أيام.. وأنكِ على وشك الجنون.. طلب مني حينها ألا أخبركِ بأنه في هذا السجن.. وأنه تعرض للتعذيب.. قال لي لا أريدها أن تأتي هنا..**

وتضطر للتوسل إليهم.. ومن ثم أقسم عليَّ ألا أعود أنا أيضاً لزيارته لنفس السبب.. لم يطل ذلك اللقاء لأكثر من عشرة دقائق.. عادوا ليقتادوه مجدداً إلى زنزانته"

توقفت الحاجة نسيمة قليلاً لتجفيف دموعها، وحينها سألها الأستاذ غيث: **"كيف تمكنتِ من معرفة هوية الجزار والتعرف على اسمه الحقيقي..؟"**

أجابت: **"بعد أن خرجت من تلك الغرفة.. صادفت ذاك الرجل الذي كان يحمل الحقيبة ويركض خلفه.. رآني وأنا أجلس في الممر وأبكي.. كان الوحيد الذي أبدى تعاطفه معي.. لأنه لم يكن سوى ساعي.. يحمل الحقائب ويقدم الشاي للأسياد.. ويمسح طاولاتهم.. وتمتهن كرامته منهم كل يوم.. سألته كيف لي أن أتحدث إلى المسئول هنا..؟ أخبرني بأن من شاهدته منذ قليل هو مدير السجن.. العقيد ياسر عبدالسلام.. وأنه معروف باسم الجزار هنا.. وقال انتظريه بالخارج عند بوابة المبنى.. فهو يهم بالمغادرة.. توسلي إليه ربما يخفف مدة اعتقال ابنك.. أو ربما يخفف عنه التعذيب"**

أكملت الحاجة نسيمة: **"وذلك ما قمت به.. انتظرته بالخارج.. خرج بعد قليل ومشى نحو سيارته.. مزهواً يتبادل**

الضحكات مع شخص يرافقه.. ركضت نحوه وانحنيت لأقبل قدميه.. وأتوسل إليه ليخلي سبيل ابني.. نهرني بقوة ودفعني عنه بعيداً وهو يسأل المحيطين به: "ما بها هذه المجنونة..؟!" حاولت.. بكيت.. توسلت إليه.. شعرت أنه بلا قلب.. بلا شعور.. كان قاسياً.. متغطرساً.. أبعدني الحرس عنه وغادر بسيارته"

نظرت أطوار إلى الأستاذة سلوان، لتجدها صامته وسارحة، والدموع تتساقط من عينيها، كانت أشبه بقطعة ثلج تذوب وآخذه بالتلاشي.

اقتربت منها ومدت إليها منديلاً ورقياً لتجفف دموعها، إلا أن سلوان كانت كأنما قد فقدت إحساسها بالمكان وبكل الموجودين من حولها.

أنهت الحاجة نسيمة سرد قصتها إلى أن تم إبلاغها بأنهم وجدوا جثة نهار.

ظلت سلوان صامتة لبعض الوقت، ثم التفتت إلى الحاجة نسيمة، وتسألها: **"لقد بحثت عنك طويلاً ولم أجدك..!"**

ردت الحاجة، أنهم بعد أن وجدوا جثة نهار بأيام، جاءت فرقة أمنية إلى منزلها، وطلبوا منها مغادرة المدينة والعودة إلى

قريتها، وألا تعود مجدداً.

هزت الأستاذة سلوان رأسها، لتقول بأن فصول الرواية اكتملت الآن، وبأن المجرم أصبح معروفاً لها.

الفصل الحادي والثلاثون

طرقت أطوار الباب واستأذنت من الأستاذ ياسر للسماح لها بالدخول، وهو يجلس في مكتبه.

طلب منها الدخول والجلوس، وهو يسألها عن ملفات بعض القضايا التي أوكل إليها دراستها.

وبعد أن أنهى النقاش معها حولها، طلبت منه أطوار بأن يسمح لها بمراجعة ملفات الضحايا التي سبق وأن عمل عليها زملائها بالمكتب.

كان الأستاذ ياسر يجلس بشكل لا مبالٍ مسنداً ظهره إلى ظهر كرسي المكتب، وحينها عاد ليعتدل، وأسند ذراعيه إلى المكتب وهو يسأل أطوار: **"لمَ.. هل لديك شك في قدرة زملائك المحاميين العاملين معنا..!"**

أجابت أطوار على سؤاله بالنفي، وهي تخبره بأنها ترغب في إجراء مراجعة، ربما سيمكنها ذلك من معالجة بعض الثغرات في الحالات الجديدة.

الأستاذ ياسر: **"لا أرى أي حاجة لذلك.. عليكِ معرفة نقطة**

مهمة في المهنة.. تأكدي أن القضايا الحقيقية ستكون قادرة على بناء نفسها بنفسها.. دون الحاجة للمزيد من البحث والمراجعة.. وجميع إفادات أطراف القضية ستكون معززة بأدلة يمكن إثباتها"

أطوار: **"في الحقيقة يا أستاذ ياسر.. أنا أستفيد كثيراً من خبرتك وتوجيهاتك هذه"**

ولكنها عادت لتقول: **"وأنا على ثقة أكبر الآن.. أن مراجعتي لتلك الملفات سيجعلني أكتشف بنفسي ما أشرت إليه للتو"**

الأستاذ ياسر: **"أنا كنت على وشك تكليفك بأحد القضايا التي وردت إلى المكتب بالأمس.. قضية رشوة.. وأخشى أن تشغلك مراجعة تلك الملفات التي تم الانتهاء منها بالفعل عن التركيز على هذا الملف..!"**

أطوار: **"كن على ثقة بأني سأقوم بمراجعة تلك الملفات خارج أوقات عملي في المكتب هنا.. سأستغل أوقات فراغي بالمنزل للاطلاع عليها"**

تمكنت أطوار من التعامل مع مراوغات الأستاذ ياسر، وحصلت منه على الموافقة بأن تستلم بعض تلك الملفات من

أجل مراجعتها.

خرجت من مكتبه وهي تحدث نفسها: **يالك من مراوغ.. وخبيث ماكر.. سنتبع ذات حيلك يا مكيافيلي للإيقاع بجنودك.. نخفي قناعاتنا وغاياتنا الحقيقة.. ونظهر للخصم بوجه الحملان.**

حدثت نفسها وهي تسترجع أحد عبارات مكيافيلي التي كتبها في رسالته إلى (فرانشيسكو غويتشيا رديني) ويقول: **"لبعض الوقت.. لم أقل أبداً ما أؤمن به.. ولم أؤمن أبداً بما قلته.. وإذا ما قلت أحياناً ما أفكر فيه.. فإنني دائماً ما أخفيه بين عدد من الأكاذيب.. ليصعب الوصول إليها..!"**

في هذه الأثناء، كان الأستاذ غيث قد بدأ فعلاً بمراجعة كافة الملفات، بعد أن قام باستلام نسخ أخرى منها، وكان هدف أطوار حينها هو خلق قناعة لدى ياسر عبدالسلام بعدم وجود أي شكوك لدى أطوار أو سلوان حول ما يمارسه من تضليل عليهما.

لتعود أطوار بعد مضي عدة أيام من تسلمها للملفات، لتخبر الأستاذ ياسر، بأنها على قناعة تامة الآن بأن كل تلك القضايا تواجهه ثغرات عديدة، وأن الأمر بدأ يبدو لها مستحيلاً.

لم يتأخر الأستاذ غيث كثيراً في مراجعة الملفات، وتمكن من وضع تصور لكيفية إدارة هذه القضية.

وبمجرّد أن أكملت اللجنة دراسة الملف، قدم الأستاذ غيث ملف القضية إلى المحكمة، وانتظر صدور قرار باعتقال ياسر عبدالسلام.

الفصل الثاني والثلاثون

في يوم المحاكمة، كان المجرم ياسر عبدالسلام، يجلس مقيداً أمام القاضي.

ضعيفاً.. عاجزاً.. مجرداً من كل قوته وأسلحته، يشعر بشعور كل أولئك الذين خضعوا يوماً لمثل هذه التجربة من ضحاياه ممن تم تلفيق التهم إليهم، أولئك الذين تذوقوا مرارة الظلم، والقهر، وعدم القدرة على الصراخ.

بينما كان هو مزهواً بسلطته حينها، يمضي في حياته قدماً، يطأ بأقدامه على أكوام من الأجساد، من الأحلام، ليرتقي في مهنته، لم يكن قادراً هنا على إصدار الأوامر، كان عليه أن يصمت وينصت، ويطلب الإذن من القاضي قبل أن يتفوه بكلمة.

حين نجرّد الأسد من مخالبه وأنيابه؛ لن يكون هناك اختلاف كبير بينه وبين الفأر، وها هو من كان يظن نفسه يوماً أسداً قادراً على نهش أجساد فرائسه بضربة من يده، يتأمل ملامح تلك الفرائس وهي تصعد أمامه إلى منصة الشهود لتدلي بشهادتها، دون أن يكون قادراً على الانقضاض عليهم.

كان الأستاذ غيث يدير هذه القضية بطريقته، ليجعل محامي ياسر عبدالسلام يطمئن بأن ليس لدى الادعاء أي شهود بإمكانهم إثبات هويته، وربطه بشخصية الجزار، ليفاجئه بالشاهد الأخير والذي سيكون له الدور الحاسم في ربطه بكل تلك الجرائم المرتكبة أثناء رئاسته للسجن المركزي، وأن اسم سجن المجزرة إنما استمد اسمه من الجزار الذي كان يديره.

كانت سلوان تجلس على أحد المقاعد الخلفية في قاعة المحكمة، تتأمل ياسر عبدالسلام، تتأمل ارتباكه مع كل حقيقة تتلى على المحكمة من طرف أحد الذين نجو من الموت في سجونه، تنصت إلى دفاعه عن نفسه، تنصت إلى توسلاته.

ترا هل أدرك أخيراً ما تعنيه الحرية للآخرين..! وأن حريته لم تكن يوماً أثمن من حرية الآخرين، هل بدأ يدرك ما تعنيه القيود..؟ هل يشعر بثقلها..؟

انقضى شهر على بدء المحاكمة، عقدت خلالها المحكمة عدة جلسات استماع للشهود، وكان محامي ياسر عبدالسلام يدافع عن موكله بالقول، بأن جميع الإفادات التي قدمها الشهود المزعومون في هذه القضية لا تثبت بأي شكل هوية موكله،

ولا يوجد ما يربطه بشخصية الجزار المزعومة..**!**

التفت القاضي إلى الأستاذ غيث وهو يقلب في صفحات ملف القضية أمامه، ويقول له: **"أرى أنه لايزال لديكم شاهدة واحدة في هذه القضية، وهي السيدة نسيمة ناجي، والدة الضحية نهار منصور..؟"**

أجاب الأستاذ غيث: **"أجل سيدي القاضي.. وستمثل أمام المحكمة في الجلسة القادمة"**

رد عليه القاضي: **"لقد استمعنا لإفادة العديد من الشهود في هذه القضية.. ولم تكن إفاداتهم تقدم أي شيء مختلف سوى في تفاصيل التعذيب التي جربوها.. أخشى ألا تضيف تلك الشهادة الأخيرة أي جديد للقضية..؟!"**

الأستاذ غيث: **"بالعكس سيدي القاضي.. ستكون هي صاحبة الشهادة الحاسمة في هذه القضية"**

حدد بعدها القاضي موعد الجلسة التالية، والتي كان يفترض بها أن تكون حاسمة، وتؤهل لجلسة النطق بالحكم ضد المتهم.

خرجت أطوار بعدها برفقة الأستاذة سلوان من المحكمة، توجها إلى مقهى قريب من المكان.

نزعت سلوان معطفها وجلست في المقعد المقابل لأطوار.

تأملتها أطوار للحظات وهي تسأل: **"ما شعورك وأنتِ تنظرين إلى من سلب منك سعادتك طوال هذه السنوات.. وحرمك من الحب الوحيد في حياتك..؟"**

ردت الأستاذة سلوان: **"لأول مرة أشعر بأن من حق كل إنسان منّا أن يقتص من خصمه بنفسه..! ليس بإمكان أي حكم أن يشعرنا بالرضا بعد مشوار طويل من الألم..!"**

التفتت الأستاذة سلون نحو الخارج، وهي تقول: **"أدرك بأن هذا ينافي أفكارنا.. ولكن نظل بشراً.. تحكمنا نزعاتنا للانتقام من خصومنا بشكل قد يتجاوز خطيئتهم في حقنا أحياناً.. ولكني أردت قول ما كنت أشعر به وحسب..!"**

أطوار: **"أتفهم ذلك تماماً"**

مدت أطوار يدها وأمسكت بيد الأستاذة سلوان وهي تقول لها: **"ها قد اقتربنا من النيل من أحد الجناة"**

الأستاذة سلوان: **"لا يزال هناك جانٍ لم يظهر في الصورة حتى الآن..!"**

نظرت نحو أطوار وهي تسألها: **"ترا.. هل لازال صوته جميلاً حتى الآن..؟!"**

الفصل الثالث والثلاثون

كان اليوم هو موعد الجلسة التي انتظرها الجميع بلهفة، فاليوم ستصعد الحاجة نسيمة إلى منصة الشهود لتدلي بشهادتها، وكان الجميع على قناعة تامة بأن هذه الإفادة ما سيحسم الجدل حول هوية ياسر عبدالسلام.

كان الجميع ينتظر في قاعة المحكمة، وعيونهم تراقب الباب متى يفتح وتدخل الحاجة نسيمة.

لقد تأخرت عن الموعد الذي حددوه لها للحضور، وبدأ القلق يسيطر على سلوان.

تتلفت حولها، تنظر إلى ساعتها، تسأل أطوار الجالسة بجانبها: **"ترا هل فهمت ما قلناه لها.. ولم نخطئ في الموعد.. أم تراها نسيت..!"**

استأذنت سلوان من أطوار، وخرجت إلى خارج القاعة، تناولت هاتفها المحمول واتصلت برقم الحاجة نسيمة، كررت الاتصال بها لعدة مرات، ولم تتلقَ أي رد..!

لحقت بها أطوار إلى الخارج وهي تسألها: **"هل من جديد..؟"**

ردت سلوان بالنفي، وهي تفرك جبينها وتتجول في الممر خارج قاعة المحكمة.

خرج الأستاذ غيث وهو في غاية الارتباك، ليستوضح الأمر أكثر..؟

حاولت أطوار تهدئة قلق سلوان، إلا أنها هي نفسها كانت تشعر بالقلق والتوتر.

دخل القضاة إلى القاعة، فتحوا ملف القضية، تأكدوا من حضور المتهم، ومن ثم سألوا الأستاذ غيث عن الشاهدة الأخيرة..؟

لم يكن الأستاذ غيث يملك جواباً، فالتمس من القاضي تأجيل النظر في القضية.

خرجت الأستاذة سلوان من القاعة بعدها وهي في حالة ارتباك وغضب، تدور في المكان ولا تدري ما عليها فعله..!

قررت الذهاب إلى منزل الحاجة نسيمة، وطلبت من أطوار مرافقتها.

طوال الطريق كانت الأستاذة سلوان تحاول الاتصال بهاتف الحاجة نسيمة، ولكنها لا تتلقَ أي رد..!

وصلوا إلى حيث كانت تسكن الحاجة نسيمة، طرقوا الباب مراراً، زاد قلق وتوتر سلوان، بدأت تقرع الباب بقوة وباستمرار دون توقف، لكن لا جدوى من الأمر.

خرجت الأستاذة سلون من المبنى، وجلست على الرصيف، قالت بأنها ستنتظر رجوع الحاجة نسيمة ولن تغادر المكان.

مرت الساعات، وكادت سلوان تصاب بالجنون، وحين حل المساء، بدأت الشكوك تساور سلوان، همست بصوت خافت:
"لا يبدو لي الأمر طبيعياً.. هناك شيء خاطئ..!"

أجرت اتصالاً مع الأستاذ غيث، والذي طلب منها الاتصال بالشرطة، وإبلاغهم عن شاهد مفقود، وأنه قادم في الطريق إليهم.

وصلت قوة أمنية إلى العنوان، وبعد الطرق على الباب مجدداً، وسؤال الجيران، والذين أبلغوهم بعدم معرفتهم بشيء؛ قررت الشرطة كسر الباب والدخول، ليجدوا الحاجة نسيمة قد فارقت الحياة وهي مستلقية فوق فراشها، وكان جلياً بأن سبب

الوفاة الموت اختناقاً بفعل فاعل..! فالحبل الذي خنقت به كان لا يزال يلتف حول عنقها.

تهاوت سلوان، نزلت وجلست على ركبتيها على الأرض، أدركت أن القضية ضد ياسر عبدالسلام قد انهارت..!

وبعد لحظات من الصمت، التفتت نحو أطوار وهي تقول: **"فعلوها يا أطوار..! هم أدركوا أخيراً معنى الحرية.. ومدى قيمة حريتهم.. وأنها أثمن حتى من حياة الآخرين..!"**

تطلب الأمر عدة أسابيع من فرق البحث الجنائي، كان القاتل حريصاً ومتمرساً، لم يترك أي أدلة قد توصل إليه..!

وبعد تأجيل القضية لعدة جلسات بحجة مقتل الشاهدة، سأل القاضي الأستاذ غيث: **"هل تبقى لديك أي شهود إثبات آخرين..؟"**

أجاب الأستاذ غيث بالنفي، عقب القاضي: **"حسب إفادة النيابة الواردة إلينا.. فإن الجريمة المرتكبة بحق الشاهدة السيدة نسيمة ناجي كانت بغرض السرقة.. وأن الجاني لم يترك أي أدلة بالمكان يمكنها الكشف عن هويته..؟"**

رد الأستاذ غيث: **"أجل سيدي القاضي..!"**

بعدها نطق القاضي بالحكم، وحكم بالإفراج عن المتهم ياسر عبدالسلام لعدم كفاية الأدلة، مع إمكانية العودة لمقاضاته في حال ظهرت أي أدلة أخرى ضده.

فور سماع ياسر عبدالسلام بالحكم؛ التفت نحو سلوان وأطوار وابتسم.

وأثناء خروجه من قاعة المحكمة، اقترب من أطوار وهو يقول لها: **"ألم أخبرك سابقاً.. بأن العدالة كلمة جميلة.. إلا أنها صعبة التحقيق..!"**

التفتت إليه أطوار وهي تسأله: **"هل لي بمعرفة عمرك أستاذ ياسر..؟"**

ضحك بتعجب، وهو يسألها: **"ولمَ تسألين عن ذلك..؟! عمري ٦٧ عام"**

هزت أطوار رأسها وهي تجيب: **"حسناً.. أنا على ثقة بأنه لم يتبقَ أمامك الكثير.. لتقف أمام عدالة الله"**

الفصل الرابع والثلاثون

كان الأمر قاسياً ومحبطاً للأستاذة سلوان، وأدركت أطوار ما كانت تشعر به.

لقد كانت لسنوات تبحث عن نهاية مناسبة لقصتها، وحين اقتربت من نهايتها، ووقفت وجهاً لوجه أمام من سلب منها الحب، عاد كل شيء لينهار.

ذلك اليأس الذي سيطر على مشاعر أطوار لمدة من الزمان، وجد سبيله وشق طريقه بشكل عنيف نحو سلوان.

تابعت أطوار ذبول سلوان كزهرة نسي البستاني أن يسقيها، فبدأ الشحوب يتسلل إلى بتلاتها، والجفاف ينهش نظارتها.

ما العمل..؟ ما الذي عليَّ القيام به من أجلها..؟ هذه هي الأسئلة التي كانت تشغل بال أطوار لأيام طويلة، ودون أن تتمكن من إخراج الأستاذة سلوان من عزلتها.

التفتت أطوار نحو تلك الشمعة التي أشعلتها منذ أيام، حدثتها وهي تهمس إليها: **"ها هي الأستاذة سلوان آخذة في الذبول.. وأنا عاجزة تماماً عن إحداث أي تغيير من أجلها..! لا يمكنني**

تحمل رؤيتها بهذا الضعف.. لقد كانت دائماً قوية.. ولكن لكل منّا نقطة ضعف يحاول إخفائها خلف قناع القوة.. لم تكن الأستاذة سلوان من أولئك الذين يقعون في الحب بسهولة.. وحين وقعت فيه مرة.. سلبها القدر حبها الوحيد.. وبطريقة مؤلمة"

مررت أصابعها على جسد الشمعة وهي تسألها: **"هل أشعلك الآن..؟ أنا بحاجة إلى بصيص من النور.. من الأمل.. آسفة ربما هذا قدرك أنتِ أيضاً.. أن تشتعلي وتذوبي.. وتتلاشي اليوم..!"**

أشعلت أطوار عود ثقاب، وقربته من فتيل الشمعة.

سمعت والدها السيد شاكر يطرق على الباب ويدخل بسرعة.

تفاجأت بدخوله بهذه الطرقة وهي تسأل: **"ما بك يا أبي..؟!"**

رد السيد شاكر، بأنه تلقى اتصالاً من مركز الشرطة للتو، يخبرونه فيه بأنهم تمكنوا من إلقاء القبض على عبدالرحمن.

كانت أطوار على وشك أن تنسى أمر عبدالرحمن، وتلك التجربة التي مرّت بها، بعد أن شغلتها كل تلك الأحداث، ومجريات القضية.

أخبرها السيد شاكر بأن عليهم الذهاب لمركز الشرطة، وطلب منها ارتداء ملابسها بسرعة.

في مركز الشرطة، رفضت أطوار مقابلة عبدالرحمن، وطلبت من الضابط أن يستكمل الإجراءات القانونية، ووقعت على أقوالها وانصرفت.

بعد ذلك بأيام، قامت أطوار بزيارة إلى منزل الأستاذة سلوان، وحين وصلت وجدتها ترتدي شالاً سميكاً يقيها البرد وتتجول في حديقتها الغافية في برد الشتاء.

دخلت وألقت عليها التحية من بعيد، وحين لمحتها سلوان؛ فتحت ذراعيها، وانتظرت اقترابها وهي تقول لها: **"ضميني.. أحتاج لهذا الدفء"**

اقتربت منها أطوار وضمتها بقوة، وأخبرتها كم هي مشتاقة إليها، ثم سألتها لم هي تتجول بالخارج في هذا البرد..!

أجابت الأستاذة سلوان، بأنها كانت تراقب أزهارها التي تغط في نوم عميق بانتظار الربيع أن يعود مجدداً.

قالت أطوار: **"أجل.. هي كذلك الآن.. والربيع حتماً سيعود.. ليعيد لها جمالها.. ولكن.. ماذا عن ربيعك أنتِ..؟!"**

أشارت الأستاذة سلوان بيدها وهي تقول: **"دعي عنك هذا الآن ولندخل إلى الداخل"**

وفور جلوس أطوار على الأريكة؛ بدأت تعبث بحقيبة يدها، وأخرجت منه كتاب مكيافيلي، وناولته لسلوان وهي تقول: **"مضى زمن طويل منذ أن استعرته منكِ"**

تناولته سلوان، وبدأت تتأمل في وجه مكيافيلي على الغلاف، وعادت لتنظر إلى أطوار وهي تسألها: **"ترا.. هل انتصر علينا في هذه الحرب..؟!"**

لم تكن أطوار تملك أي إجابة على هذا السؤال، فهي سبق وأن طرحت على نفسها ذات السؤال مراراً، ولم تتمكن من الإجابة عليه..!

الأستاذة سلوان: **"هل كان علينا أن نحاربهم بنفس أساليبهم لننتصر في حربنا معهم..؟!"**

أطوار: **"لسنا عاجزين عن ذلك.. ولا ينقصنا الذكاء.. ولكن نحن لن يكون بمقدورنا أن نتجرّد من إنسانيتنا أبداً.. وهذا ما**

يميزهم عنّا.. هم يمجدون غاياتهم وإن كانت وضيعة وحقيرة.. والغاية الحقيرة لا يمكن أن تُنجز إلا بوسائل تشبهها"

ابتسمت بعدها أطوار وهي تسأل بمشاغبة: **"ألن تقدمي لي فنجان القهوة المعتادة..؟!"**

حاولت سلوان النهوض لإعداد القهوة، إلا أن أطوار طلبت منها البقاء في مكانها، وأنها ستتولى الأمر هذه المرة.

غابت لعدة دقائق وعادت وهي تحمل فناجين القهوة.

جلست على الأريكة بجوار الأستاذة سلوان، وهي تقول: **"نحن نملك غايات نبيلة.. نسعى للعدالة.. وليست بالضرورة أن تكون من أجلنا.. فالعدالة لابد من أن تتحقق للجميع.. ووسائلنا لابد أن تنسجم مع نبل غاياتنا"**

ارتشفت سلوان رشفة من فنجانها، ابتسمت وهي تقول: **"أتذكر أنكِ تحدثتِ إليَّ مرّة عن أن طريقة إمساكنا بفنجان القهوة يعبّر عن شيء من شخصياتنا.. وأن لكل منّا طريقته في مسك الفنجان..؟"**

أطوار: **"أجل.. انظري إلى نفسك كيف تمسكينها..؟ إنكِ**

تطوقينها من خاصرتها وكأنك تودين ضمها إليكِ.. وهناك من يفضل رفعها مع صحن التقديم الذي تحتها.. وكأنه يخاف عليها من أن تقع وتنسكب.. وهناك من يمسك بها من أذنها.. وكأنه يعاقب صغيرته المشاغبة"

ضحكت الأستاذة سلوان بمجرّد سماع ذلك، وعادت لتسأل: **"وماذا أيضاً..؟"**

أطوار: **"وهناك من يفضل تركها لتبرد.. وكأنه يمنحها الفرصة لتكون مهيئة لتقبيله من تلقاء نفسها"**

قاطعتها الأستاذة سلوان: **"حسناً.. وماذا عمن يحب احتسائها ساخنة فور إعدادها"**

ردت أطوار بمشاغبة: **"ذلك الذي لا يطيق الانتظار.. ويسرع نحوها ليقبلها"**

ثم أكملت: **"وهناك من يحبها حلوة.. وآخر يحبها مرّة.. و.. و.."** وأكملت: **"للناس فيما يعشقون مذاهب"**

تساءلت الأستاذة: **"وماذا عن والدك.. كيف يحبها..؟"**

ردت أطوار بتساؤل: **"أبي..؟"**

وتابعت: **"هل تصدقين لو أخبرتك بأني لا أعلم..؟ أبي كان يحبها حين كانت أمي تعدها فقط.. ومنذ رحيلها لم أره يشرب القهوة..؟! ولم يسبق له أن طلب مني أن أعدها له"**

صمتت أطوار للحظة، ومن ثم قالت بمشاغبة: **"حسناً ما رأيك..؟ أن أدعوك لتناول طعام العشاء معنا بالمنزل غداً.. سأعد الطعام بنفسي.. وبعدها نعد فنجان قهوة لنا جميعاً.. لي ولك.. ولأبي.. لنكتشف حينها كيف يفضلها..؟"**

الفصل الخامس والثلاثون

في اليوم التالي، وبينما كانت أطوار منهمكة في المطبخ للإعداد لطعام العشاء، عاد السيد شاكر من الخارج، ودخل عليها المطبخ وهو يقول بأن لديه ما يود إخبارها به.

تركت كل شيء من يدها والتفتت إلى والدها، وهي تخبره بأنها تصغي إليه.

قال السيد شاكر: **"لقد حققوا مع عبدالرحمن.. وقد اعترف"**

نظرت أطوار نحو السماء وهي تقول: **"الحمدلله"**

قال السيد شاكر: **"ليس هذا كل شي"**

تساءلت أطوار وماذا بعد..؟!

أخبرها السيد شاكر بأنه اعترف بأنه قام بكل ذلك بتحريض من أحدهم.

لم تكن أطوار تتوقع أمراً كهذا أبداً، فطوال هذه المدة كانت تظن أنه شاب وتصرف بتهور وطيش، ظناً منه بانها فتاة سهلة المنال، وأراد العبث معها قليلاً..!

قال السيد شاكر: **"في الحقيقة.. أقدم على ذلك بتحريض من ياسر عبدالسلام.. لقد أرادوا الإيقاع بك.. وتهديدك لاحقاً لتتوقفي وتكفي عن المضي في طريق البحث عن العدالة.. ولا أعلم ربما كانت لهم خطة مشابهة للنيل من سلوان كذلك..؟"**

توقفت أطوار للحظات وهي تتأمل فيما سمعته للتو، وبعدها أخبرت والدها بأنها ترغب في لقاء عبدالرحمن.

ارتدت ملابسها بسرعة، وتوجهت نحو قسم الشرطة، وطلبت من الضابط السماح لها بالحديث مع عبدالرحمن.

وبعد محاولة استغرقت لبعض الوقت، وافق أن يتم ذلك بشرط أن تلتقي به من خلف القضبان فقط.

ردت أطوار: **"لا بأس.. أتفهم حرصك على عدم محاولتي إيذاءه بأي شكل"**

وقفت أطوار أمام زنزانة خالية بانتظار أن يأتوا به.

أدخلوه إلى الزنزانة، وتفاجأ عند رؤيته لأطوار.

تقدم بضع خطوات ووقف أمامها من خلف القضبان.

نظرت إليه أطوار بتمعن، ومن ثم سألته: **"لماذا..؟!"**

تهرب عبدالرحمن بنظره عنها، وكأنه يخشى أن تلتقي عينه بعينها، واكتفى بالصمت.

أعادت أطوار طرح السؤال: **"لماذا..؟! أريد أن أعرف ما كان الثمن..؟"**

كان عبدالرحمن محتجزاً داخل زنزانته، ولم يكن قادراً عن الهروب منها، كان محاصراً بالقضبان وبأسالتها، وبإصرارها على معرفة سبب تلك الخيانة..!

رد عليها: **"لقد دفع بسخاء.. وكنت بحاجة إلى المال.. أنا لست ابناً لعائلة ثرية.. لقد زرتِ منزلي لمرة واحدة.. وأعتقد أن تلك الزيارة كانت كافية بالنسبة لكِ لتدركي مستوى الحياة التي أعيشها"**

أطوار: **"أجل.. وأدرك أنك طالب في كلية الاقتصاد.. وأنك تقدر لغة المال كثيراً.. تبحث عمّن يقدم لك عروضه بسخاء.. ولا يهم المقابل.. فالأرقام تعني لك الكثير..**

كما سبق وأن قلت لي"

صمتت أطوار للحظة، وعادت لتسأل: **"ولكن كيف حصل ذلك..؟"**

رد عبدالرحمن: **"بعد ذلك النقاش الذي دار بيني وبينك في كفتريا الجامعة.. عدت إلى المنزل وأعدت التفكير في كل ما قلتيه لي.. وشعرت بأن أبي كان يستحق تنظيف سمعته.. وأن تتحقق له العدالة ولو كانت بعد وفاته.. وحين حضرت في يوم افتتاح مقر الجمعية.. كنت صادقاً.. ولكن.. وأثناء حديثنا سوياً تدخل ياسر عبدالسلام في الحوار الذي كان يدور بيننا.. وبمجرّد أن ابتعدت أنتِ.. بدأ بالحديث معي.. وطلب مني زيارته في مكتبه"**

طلبت منه أطوار أن يكمل.

عبدالرحمن: **"وحينها عرض عليَّ المال.. ولم يكن بمقدوري رفض الأمر، طلب مني استغلال ثقتك بي.. وأن استدرجك لأتمكن من التقاط صور خاصة لك.. لقد زودني بكاميرا تصوير سرية.. وكانت مثبتة في المنزل.. ولكن في ذلك اليوم.. تفاجأت بتلك الثورة التي اعترتك.. حين قلت لكِ بأن والدتي ليست بالمنزل.. وأننا وحدنا..!"**

نظرت إليه أطوار وهي تقول: **"أجل.. الآن يبدو كل شيء واضحاً..!"**

تابعت وهي تقول: **"اسمع.. وأنا لديَّ عرض سأقدمه لك"**

نظر إليها، وهو ينتظر سماع ما تود قوله.

قالت أطوار: **"أنا على استعداد تام لإسقاط الدعوى الخاصة ضدك.. في حال وافقت على متابعة القضية والشهادة بأن كل ذلك كان بتدبير من ياسر عبدالسلام.. ما رأيك..؟"**

رد عبدالرحمن: **"في كلا الحالتين سأسجن"**

أطوار: **"أعلم ذلك.. إنما في حال تنازلت أنا عن حقي الخاص.. ستحصل على حكم مخفف.. في الحق العام فقط.. لن يتجاوز بضعة أشهر.. وإلا فإن الحكم سيكون طويلاً وقد يتجاوز الثلاث سنوات.. ما رأيك الآن..؟"**

عادت أطوار إلى المنزل، بعد أن كانت طوال طريق عودتها منشغلة في التفكير حول إمكانية بناء قضية جديدة ضد ياسر عبدالسلام، وربما تتمكن من إقناع القاضي حينها بدوافعه، وأن ذلك المخطط الخبيث كان بدافع الخوف من انكشاف أمره.

انشغلت أطوار لبقية اليوم في إعداد الطعام، بانتظار وصول الأستاذة سلوان، وكانت تتوق لإخبارها بكل هذه التفاصيل الجديدة.

وبمجرّد وصول الأستاذة سلوان؛ اخبرتها أطوار بكل ما حصل.

تبدلت ملامح الأستاذة سلوان بسرعة، ابتسمت، شعرت بأن الأمل يتجدد في داخلها، وأن أطوار أمسكت بطرف الخيط لتتمكن من إثبات الدوافع.

وعند الجلوس إلى سفرة الطعام، لاحظت أطوار بأن الأستاذة سلوان استعادت شيئاً من بريقها الذي فقدته منذ أسابيع، وتناولت طعامها بصحبة أطوار والسيد شاكر بشهية مفتوحة.

وبعد تناول العشاء، نكزت أطوار خاصرة الأستاذة سلوان وهي تجلس بجانبها، وقالت: **"حسناً.. والآن سنكتشف كيف يفضل البستاني قهوته..؟"**

نظرت إلى والدها الذي كان يجلس بجانبهم، وبخبث قالت له: **"لقد اتفقنا أنا والأستاذة سلوان على أن نكتشف ذوقك في القهوة هذا المساء يا أبي.. ها.. كيف تحبها..؟"**

ضحك السيد شاكر وهو يجيب: **"أوه.. لم أحتسِ القهوة منذ سنوات طويلة"** وبعد صمت للحظات رد: **"حسناً.. أحبها مرّة"**

قفزت أطوار بسرعة من فوق الأريكة وهي تقول بأنها ستقوم بإعداد ثلاثة فناجين من القهوة على الفور.

عادت أطوار وهي تحمل فناجين القهوة، وقدمتها لوالدها وللأستاذة سلوان، ومن ثم غمزت بطرف عينها لسوان وهي تهمس لها بهدوء: **"والآن.. سنكتشف كيف يحب أن يمسك بفنجان قهوته..؟"**

أمسك السيد شاكر بأذن الفنجان ورفعه ليشرب.

صرخت أطوار وهي تقول: **"ها هو.. إنه ممن يحب معاقبة صغيرته المشاغبة..!"**

لم يفهم السيد شاكر ما الذي كانت تقصده أطوار، إلا أنه أكمل احتساء قهوته بصمت.

نظرت أطوار إلى الأستاذة سلوان، ومن ثم إلى والدها وهي تقول بمشاغبة: **"حسناً.. والآن لديَّ مفاجأة أخرى لكما.. عليكما الانتظار للحظات فقط"**

أسرعت أطوار نحو غرفتها وعادت بعد دقائق قليلة، وهي تحمل في يدها جهاز تسجيل صغير، وشريط كاسيت.

لوحت بشريط الكاسيت بمشاغبة وهي توجه سؤالها للأستاذة سلوان: **"والآن.. هل تعلمين ما الذي في هذا الشريط..؟"**

ردت سلوان: **"بالتأكيد لا..!"**

نظرت أطوار نحو والدها وهي تطرح عليه نفس السؤال، وبدوره رد بالنفي أيضاً.

وضعت أطوار شريط الكاسيت داخل جهاز التشغيل وانتظرت للحظات.

بدأ الشريط بنغمة عود، تبعتها تقاسيم رائعة.

ابتسم السيد شاكر بعد أن تذكر وأدرك ما كان يحتويه الشريط، والتفتت أطوار إلى سلوان وهي تقول: **"وجدت هذا الكاسيت بين أغراضي القديمة قبل أيام.. إنه تسجيل قديم لوالدي حين كان قادراً على الغناء بصوته.. قبل أن يسلبه منه ذلك الورم"**

ردت سلوان وهي تشعر بحماس: **"أتوق لسماع ذلك فوراً"**

بدأ السيد شاكر بغناء (كوبليه) من أغنية الأطلال:

أعطني حريتي أطلق يديَّ

إنني أعطيت ما استبقيت شيئَ

أهٍ.. من قيدك أدمى معصمي

لمً تبقيه وما أبقى عليَّ..؟

نظرت أطوار نحو الأستاذة سلوان، وهي بانتظار سماع رأيها في غناء والدها، إلا أنها اندهشت من ذلك التعبير الذي بدى على ملامحها.

انتظرت لحظات أخرى وهي تتأملها، علّها تقول شيئاً، أو تفهم سبب تلك الملامح.

ترا.. هل تذكرها هذه الأغنية بالحبيب الذي غاب..؟

التفتت الأستاذة سلوان إلى السيد شاكر، وهي تقول: **"أنت.. أنت هوَ.. أنت جلادي..!"**

نظر إليها السيد شاكر بارتباك، وهو غير قادر على فهم ما تعنيه الأستاذة سلوان حتى الآن..؟!

صرخت أطوار وهي تشعر بالصدمة مما كانت تسمعه، وهي لا تكاد تصدق..! نظرت إلى سلوان وهي تكرر ما سمعته منها

للتو: **"جلادك.. أنتِ تقصدين أبي بكلامك هذا.. لا يمكن.. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً..!"**

اقتربت من الأستاذة سلوان وهي تتوسل إليها أن تنصت جيداً، وهي تقول لها بأنها مخطئة بالتأكيد.

حدقت سلوان في وجه شاكر، كانت نظراتها إليه حادة كرصاصة قادرة على اختراق جسده، قالت وهي تتحسس خدها: **"هل تتذكر ملمس هذا الخد يا سيد شاكر..؟ أما أنا فأتذكر ملمس يدك الخشنة التي تليق ببستاني.. يقضي وقته يحفر في الأرض.. يقطع.. يشذب.. لقد أصبح لخدي ذاكرة قوية.. بعد أن قرر الاحتفاظ بعدد كل تلك الصفعات التي تلقاها منك.. كم مرة اقتربت من الموت حين كنت تخنقني بكلتا يديك.. بالرغم من أنك كنت قادراً على القيام بذلك بيد واحدة.. فأنا لم أكن سوى فتاة شابة بيدين مقيدتين وعينان معصوبتان.. أما أنت فقد كنت رجلاً ذا بنية قوية.. هل تتذكر تلك الساعات..؟ هل تذكر عددها..؟ أما أنا فأتذكر كل نفس انتزعته من محيطي المظلم بصعوبة.. لأتمكن من البقاء"**

التفتت أطوار إلى والدها وهي تصرخ: **"لمَ أنتَ صامت يا أبي.. قل لها أنها مخطئة.. لا يمكن أن أتصور أنك تملك قلباً**

بهذه القسوة..! لا يمكن لك أن تلعب دور الجلاد.. أنتَ أبي الذي لطالما غمرني بالحب..! أرجوك قل شيئاً..؟"

ولكن السيد شاكر ظل صامتاً.. بنظرات تشبه نظرة الأموات التي تحدق أمامها دون أن تكون قادرة على رؤية انعكاس الصور على حدقة العين..!

وللحظة أراد ان يتكلم، أن يقول شيئاً، إلا أن صوته لم يسعفه، كان في هذه المرة أشد تقطعاً واختناقاً، كانت الكلمات تتعثر في حنجرته وتقع، محدثة صوت تلك الحشرجة المختنقة، فكان صوته حينها فارغاً من أي معنى..!

الفصل السادس والثلاثون

في مساء اليوم التالي، وبعد أن قضت سلوان عدة ساعات وهي جالسة على أريكة في صالون منزلها تقرأ كتاباً، نظرت إلى ساعة يدها؛ لتجدها تشير إلى الواحدة صباحاً.

طوت الكتاب، وخلعت نظارتها، وتوجهت إلى الفراش.

لم يمض وقت طويل حتى سمعت أحدهم يقرع جرس الباب.

تعجبت، وشعرت بالقلق، وهي تحاول تخمين من قد يزورها في هذا الوقت المتأخر، ودون أن تنسى كل تلك التهديدات التي وصلتها سابقاً، وإمكانية أن يكون الطارق شخصاً مسلحاً ينوي إيذائها.

توجهت بهدوء نحو باب المنزل، ونظرت من خلال العين السحرية، لترى أطوار واقفة أمام الباب وبجانبها حقيبة سفر.

فتحت الباب بسرعة، وتأملت سلوان في ملامح أطوار للحظة، وكان يبدو على ملامحها الإرهاق وعلامات البكاء..!

سألتها أطوار: **"هل يمكنني المكوث هنا..؟"**

فتحت سلوان الباب واسعاً وطلبت منها الدخول.

تقدمت أطوار نحو الداخل وجلست على الأريكة بصمت.

قالت سلوان: **"أدرك ما تشعرين به الآن.. ولا يمكنني التفوه بأي كلمة.. أو التعليق بأي شيء"**

بدأت دمعة تلو أخرى تتسرب من عين أطوار وهي صامته وتحدق في الفراغ، وكأن كل المشاعر التي داخلها تتبخر من أعماق محيط من الأسى وتتكثف لتهطل على شكل دموع.

ولكن أي سيول قد تنشأ عنها لا يمكن لها أن تغسل الأرض، أو أن تجعلها تهتز وتربو لينبت فيها أي شيء، فالحقيقة التي تكشّفت كانت قاسية بما يكفي لتترك أعماق أطوار أشبه بقاع بحيرة مالحة.

تحولت أطوار بنظرها نحو الأستاذة سلوان، والتي بدورها كانت تنتظر سماع أي كلمة منها.

قالت أطوار: **"ربما كان عليه أن يتكلم.. أن ينكر.. أن يدافع عن نفسه.. ربما كان عليه أن يصرخ وألا يستسلم بصمت؟!"**

سلوان: **"وما عساه أن يقول..؟!"**

أطوار: **"لم أكن لأتصور مثل هذه الحقيقة ولو على سبيل الخيال.. لم أكن لأتوقع أنهم حولنا في كل مكان.. بل قريبين منّا إلى هذا الحد..!"**

تنهدت أطوار وهي تكمل: **" لازلت أتذكر كل تلك الأسئلة التي كانت تشغلك طوال سنوات.. حين كنتِ تتساءلين كيف لمن يمكنه ارتكاب كل تلك الجرائم والفظائع أن يمتلك قلباً يحب ويشتاق..؟"**

ابتسمت أطوار ابتسامة ساخرة وهي تقول: **"ها نحن نتمكن أخيراً من الإجابة عليها.. ولكن بطريقة مؤلمة.. نعم.. بإمكانهم أن يحبوا.. ويشتاقوا.. وأن يكونوا آباء وأزواجاً مثاليين.. ولكنهم يملكون قدرة غريبة على التنقل بين شخصيات مختلفة.. وأن يتحولوا في لحظات إلى جلادين.. وكل ذلك دون أن تتغير ملامحهم..! ولكنهم في الحقيقة يقتلون الرغبة داخل ضحاياهم للحياة.. أو القدرة على الحب بعد ذلك..!"**

سلوان: **"عليكِ أن تدركي حقيقة أنكِ تتحدثين عنهم في حين أن والدك بات جزءاً من كل ذلك الآن"**

اقتربت منها حيث كانت تجلس على الأريكة، وأمسكت بيد

أطوار وهي تطلب منها أن تتوقف عن الحديث بهذه الطريقة عن والدها.

أجابت أطوار: **" كم هو مؤلم أن أضطر لأن أتحدث عن أبي بهذه الطريقة..!"**

التفتت نحو الأستاذة سلوان وهي تسأل: **"ترى هل سأكون جاحدة لكل ما قدمه لي حين أتحدث عنه بهذه الطريقة..؟ هذا السؤال يحيرني منذ الليلة الماضية.. أرجوكِ أستاذة سلوان أجيبيني..؟"**

سلوان: **"ألا ترين أنهم يضعوننا اليوم أمام تساؤلات جديدة.. وربما علينا أن نستهلك عمراً آخر للبحث عن إجابة للتساؤلات الجديدة..!"**

طلبت منها سلوان الكف عن الحديث الآن، وطلبت منها الخلود إلى النوم، وسيكون بمقدورهم إكمال الحديث حول كل ذلك غداً، وأخبرتها أن بإمكانها النوم في الغرفة المجاورة لغرفتها.

إلا أن أطوار طلبت منها أن تسمح لها بالنوم على الأريكة في الصالون.

تركتها سلوان، ولم ترغب في الإلحاح عليها بأي شيء الآن،

تركتها وحدها في صالون المنزل وتوجهت لفراشها.

صباح اليوم التالي استيقظت سلوان، خرجت إلى الصالون لتجد أطوار جالسة مكانها وهي لا تزال ترتدي ملابسها..!

سألتها سلوان: **"لا تخبريني بأنكِ لم تتمكني من النوم حتى الآن..؟"**

أجابت أطوار بأنها غفت لوقت قصير.

ردت سلوان إنها ستذهب لإعداد فنجانين من القهوة لهما، ولكن أطوار أخبرتها بأنها احتست فنجاناً للتو، ولا تشعر برغبة في احتساء المزيد، وأن لديها ما تود إخبارها به.

أطوار: **"لقد اتخذت قراري"**

سلوان: **"أي قرار..؟"**

أطوار: **"علينا أن نكمل ما بدأناه.. أنتِ تستحقين هذه العدالة.. وكل من قاسى داخل تلك الزنازين لسنوات"**

لم تتمكن سلوان من استيعاب ما كانت تعنيه أطوار، وطلبت

منها التوضيح أكثر..؟

أطوار: **"يجب أن يحاكم كبقية المجرمين"**

سلوان: **"لابد أنكِ جننتي..!"**

كان رد أطوار حاداً، وملامحها جادة، وكانت سلوان تدرك بأن أطوار تعني ما كانت تقوله.

سلوان: **"لا زلتي تحت أثر الصدمة.. وهذا توقيت غير مناسب أبداً لاتخاذ أي قرار بهذا الشأن"**

أطوار: **"معاركنا لا يمكن لها أن تكون حقيقية إلا عندما تؤلمنا.. وحين نخسر بقدر ما نطمح لتحقيقه.. قد نخرج من المعارك بخسائر كثيرة.. قد نخرج منها وقد فقدنا جزءاً منّا.. قد نخرج مشوهين.. نسير بقدم واحدة.. ولكن لا يمكننا أن ننسى أننا حاربنا من أجل قضية"**

صمتت سلوان للحظات وهي تتردد في الإفصاح عما كانت تفكر فيه، ولكنها عادت لتقول أخيراً: **"منذ أن فشلنا في محاكمة المجرم ياسر عبدالسلام.. وأنا أشعر بأننا وصلنا إلى نهاية الطريق.. وأن الغاية مهما كانت نبيلة.. والحقائق مهما كانت منطقية.. لا يعني أبداً أن العدالة يمكنها أن تتحقق"**

حدقت سلوان قليلاً إلى النافذة وهي تنظر إلى الخارج، ثم التفتت نحو أطوار وهي تخبرها: **"بالنسبة إلي.. لم يعد الأمر ذات أهمية.. وسأكتفي بأني بت أعرف أخيراً من كان جلادي.. واللعبة انتهت هنا.. وأنتِ بإمكانك التحرر من عقدة الذنب التي تشعرين بها نحوي"**

أطوار: **"أرجوكِ توقفي عن التحدث بهذه الطريقة أستاذة سلوان"**

نهضت أطوار من مكانها، وهي تخبر الأستاذة سلوان بأن عليها القيام بزيارة إلى شخص ما.

خرجت وتوجهت لزيارة الأستاذ غيث في مكتبه، وأخبرته بكل تلك التفاصيل الجديدة، وصرحت له برغبتها بأن تمثل هي الضحايا في القضية التي تنوي رفعها ضد والدها وضد ياسر عبدالسلام.

كان عليها الآن ترتيب كل أوراقها والبدء في خوض معركتها، بعد أن قضت الليلة وهي تضع خططتها للمواجهة، واتخذت قرارها بأن ما باتت تعرفه الآن لن يمنعها من مواصلة الطريق.

لقد كانت تحدث نفسها، بأنها فقدت للتو رمزاً لطالما كانت تعتز به، ولن يكون بمقدورها خسارة مبادئها وما كانت تؤمن به، كي لا تخسر ذاتها أيضاً.

الفصل السابع والثلاثون

تقدمت أطوار بدعوى ضد والدها في المحكمة، بعد أن تمكنت من صياغة القضية بشكل متقن، كما وطالبت بإعادة محاكمة ياسر عبدالسلام بعد أن ظهرت قرائن جديدة يمكنها إدانته.

ليصبح السيد شاكر متهماً في قضية، وشاهداً في القضية الأخرى المقامة ضد ياسر عبدالسلام، حيث كانت أطوار تخطط لتقديمه كشاهد إثبات حول شخصيته الحقيقية، ورتبته، ومهامه التي كان يتولاها في إدارة السجن سيء السمعة.

كما أنها قدمت عبدالرحمن كشاهد آخر في القضية، لإثبات ضلوعه في المؤامرة التي عمل على نسج خيوطها ضد أطوار، الأمر الذي سيثبت سعيه لإفشال أي قضية ضده، دفاعاً عن مصالحه الشخصية، وخوفاً من اكتشاف حقيقته التي حاول إخفاءها لسنوات.

كانت سلوان تتابع كل ما تقوم به أطوار بدهشة، لم تتمكن من استيعاب إصرارها وسعيها لتحقيق العدالة، حتى وإن كان ذلك سيؤدي إلى إدانة السيد شاكر.

وفي أوقات كثيرة، شعرت سلوان بالذنب، لأنها من تسبب في وضع أطوار في هذا الموقف بقليل من الخيارات، وربما كان بإمكانها الصمت وللأبد، دون الإفصاح عن اكتشافها لشخصية السيد شاكر الحقيقة.

أو ربما كان بإمكانها الادعاء أنها قد أخطأت في تحديد هويته، حتى وإن أدى ذلك إلى أن تفقد ثقة واحترام أطوار تجاهها..!

حاولت سلوان دفع أطوار إلى التراجع، وعدم الاستمرار في القضية، إلا أن أطوار كانت تزداد إصراراً في كل مرة تناقش فيها سلوان الأمر معها.

كانت تصف الأمر بالقول بأن هذه المحاكمة ستكون استثنائية، وستكون قادرة على محو أخطاء الماضي، ومنح كل الضحايا حياة جديدة، والاعتذار لهم، وسيكون العالم بعدها أكثر صدقاً.

أدركت سلوان، أن أطوار ما هي إلا نسخة أخرى منها، ولكنها نسخة لم تجرب الانكسار أبداً، ولا يمكنها القبول بالهزائم، نسخة ولدت في زمن مختلف، وهذا الزمن تم تشكيله على يد كل الأحرار الذين سقطوا في مرحلة ما من مراحل الحرب، ليكمل آخرون بعدهم فصولها.

أدركت سلوان، أن للحرية مذاق يدمنه كل من تذوق طعمها ولو لمرة واحدة، وحينها سيكون مستعداً للموت من أجلها، كما يدمن آخرون قيودهم، ويفضلون الموت مقيدين بها، وأن تدفن معهم.

أدركت سلوان، أنها ونهار وآخرون كانوا مرحلة، خرجت هي منها حية، ولكن بكثير من الهزائم والجراح، بينما لم يكتب لآخرين النجاة منها، وأن أطوار ذاتها ستكون مرحلة لمراحل أخرى.

إنها معركة الخير والشر الأزلية، هزائم وانتصارات، تقدم وتراجع، ينتصر فيها الشر في جولة، وينتصر الخير في أخرى، ولن يكون بإمكان أحد أن يمنع هذه العجلة من الدوران أبداً.

أدركت سلوان، أن عليها أن تترك أطوار تقوم بما آمنت به، وألا تحاول إعاقتها، أدركت أن هذا الزمن هو ملك لهذا الجيل، ولهم حرية تشكيله كما يحلمون، لأنهم هم من سيعيش كل فصوله القادمة، وليس من حقها أن تسلب من أطوار حقها في تشكيل الحياة التي ترغب في عيشها، حياة عادلة للجميع.

قررت أنها ستكتفي بالبقاء بقربها وتتابع كل خطواتها،

وأن تكون موجودة متى شعرت أطوار بالحاجة إليها.

في مساء أحد الأيام، عادت أطوار مسرعة إلى منزل الأستاذة سلون، دخلت وهي تركض نحو سلوان، والتي كانت جالسة على الأريكة في صالون المنزل.

ألقت أطوار بكل أشيائها التي كانت تحملها مع كل خطوة كانت تقترب فيها من حيث تجلس سلوان، حقيبة يدها، هاتفها المحمول، ملف متخم بالأوراق، كانت تحدث نفسها وهي تقول: **يا لهذه المسافة البعيدة التي تفصلني عنكِ يا سلوان.. ليتني أتمكن من الوصول إليك بقفزة واحدة..!**

خلفت ورائها مجموعة من الأشياء المبعثرة على الأرض، وكأنها في هذه اللحظة لا تشعر بقيمة أي شيء منها.

كانت تبحث عن شيء واحد، مكان واحد دافئ تشعر فيه بالأمان، لتتمكن أخيراً دموعها من التدفق دون خجل.

نزلت بركبتيها على الأرض، وضعت رأسها في حجر سلوان وبدأت بالانتحاب.

لم تكن سلوان تدرك ما الذي كان يجري، وما الذي حصل ويدفع أطوار إلى البكاء بهذه الطريقة، سألتها، حاولت تهدئتها، طلبت منها التوقف للحظة، للحظة فقط؛ لتشرح لها ما الأمر.

ولكن أطوار استمرت بالبكاء دون أن ترفع رأسها ولو لمرة واحدة، لم تكن تستمع لأسئلتها.

لقد أرادت الوصول إلى المنزل بسرعة لتتمكن من البكاء فقط.

وها هي الآن تنغمس بكل ما فيها بين أحضان سلوان، كأي طفلة وجدت أمها بعد ساعات من الضياع.

مضى بعض الوقت، خفت صوت بكاء أطوار، وبدأت سلوان تستمع إلى صوت نهنهات متقطعة تصدرها أطوار، وتشعر بانتفاضات لطيفة تهز جسدها، وأدركت حينها سلوان أن أطوار قد اكتفت الآن، وأفرغت في حجرها كل ما كان يشعرها بالألم ويدفعها للبكاء.

صمتت سلوان للحظة، ثم أمسكت برأس أطوار ورفعتها ونظرت في ملامحها، وتأملت عيونها التي لا تزال مبللة بالدموع، مثل زجاج النوافذ التي تسيل على سطحها

قطرات الماء بعد المطر، وتظل ضبابية ترسم مشهداً تتداخل فيه تفاصيل كل الأشياء التي خلفها.

همست بصوت هادئ وهي تسألها: **"والآن.. أخبريني ما الأمر..؟"**

نهضت أطوار من مكانها وجلست على الأريكة، بحثت حولها عن علبة المناديل الورقية، وناولتها سلوان إحداها.

بدأت أطوار تمسح وجهها وتجفف دموعها وهي تقول: **"اليوم.. أوقفوا أبي أخيراً.. ورأيته واقفاً أمامي مقيد اليدين.. منكسراً.. صامتاً.. يتلفت حوله.. يتأمل في كل الوجوه الموجودة بالمكان.. وكأنه خائف مما سيفعل به.. ولكنه كان يتجنب النظر إلي"**

غلبتها الدموع مجدداً حين قالت: **"كنت أشعر برغبة قوية لأركض نحوه وأحتضنه.. أن أنتزع كل القيود من يده.. أن أخرجه من هناك.. ولكن..؟!"**

قاطعتها سلوان بالقول: **"ولكن.. كبرياءك.. أليس هذا ما تودين قوله..؟"**

لم تشأ أطوار الإجابة، ولكنها عادت لتسأل: **"أخبريني أنني**

أقوم بالشيء الصحيح..؟"

سلوان: **"لست أنا من ينبغي عليه الإجابة عن هذا السؤال.. عليكِ أن تجيبي عليه بنفسك"**

أطوار: **"أشعر أني غير قادرة على الإجابة عليه"**

سلوان: **"إذاً عليك التوقف عن كل شيء لحين العثور على إجابة"**

أطوار: **"ربما الإجابة على هذا السؤال سيتطلب زمناً.. وذلك الأمر لم يعد بالإمكان الآن.. سأترك هذه المهمة للسنين"**

صمتت أطوار للحظة، ثم نظرت إلى سلوان وقالت: **"سيكون هناك وقت مناسب لكل شيء"**

الفصل الثامن والثلاثون

اليوم، كان موعد أول جلسة محاكمة لياسر عبدالسلام، وعاد ليجلس مقيداً كمتهم أمام القضاء، القضاء العادل الذي اختفى لبرهة من الزمن، وعبثت بقوانينه وعدالته أيدي قذرة، بقذارة يد ياسر عبدالسلام المقيدة.

وفي لحظات انتظار بدء المحاكمة تلك، لم تتمكن أطوار من نسيان كلمات ياسر عبدالسلام لها حين كان يهم بمغادرة قاعة المحكمة بعد تبرئته، حين قال لها: **"ألم أخبرك سابقاً.. بأن العدالة كلمة جميلة.. إلا أنها صعبة التحقيق..!"**

أرادت أطوار أن تثبت له العكس، أن تثبت له بأن العدالة ممكنة التحقيق.

يمكنها أن تكون ناقصة وغير مكتملة، قد لا يحصل الجميع فيها على قدر مكافئ لمعاناته، ولكنها تضل غاية يجب أن نسعى إليها.

كان الجميع يدرك بأن يد ياسر عبدالسلام ملطخة بدم الحاجة نسيمة رحمها الله، وأن القضية قيدت ضد مجهول، ولن تحصل

الحاجة نسيمة على العدالة أبداً ربما، إلا أنها ستكون سعيدة حين يدان المجرم الذي تسبب بموت ابنها.

كانت أطوار تتأمل في مدى عبثية كلمة (جريمة ضد مجهول) بالرغم من أن المجرمين يحومون حولنا مزهوين بانتصارهم وتمكنهم من الإفلات بجريمتهم دون عقاب، ولكنها كانت تدرك بأن عدالة الله أقوى دائماً من عدالة البشر.

دخل القاضي إلى القاعة، وطلب من أطوار البدء بتقديم مرافعتها.

نهضت أطوار من مقعدها، توجهت ووقفت أمام القاضي، التفتت إلى حيث كان يجلس ياسر عبدالسلام، والتقت عيناهما للحظة، وكأن هناك مبارزة تدور بينهم بالعيون، ويواجه كل منهم الآخر بتحد ورغبة في الانتصار وهزيمة الآخر وتحطيم قيمه.

عادت والتفت نحو القاضي، وهي تقول: **"سيدي القاضي.. اسمح لي أن أبدأ مرافعتي بهذه المقدمة.. وأن أقول لك أننا كبشر نملك فرصة واحدة لكل منّا لأن يعيش هذه الحياة.. هذه الحياة التي يمنحها لنا الله.. يخلقنا فيها أحراراً.. نملك قرارتنا.. أفكارنا.. آرائنا الخاصة.. نختار فيها طريقنا..**

قد نخطئ.. ولكن هناك دائماً فرصة لأن نصحح ما أفسدناه.. لأن الله غفور رحيم"

وأكملت أطوار وهي تقول: **"فرصة واحدة.. ولكن هل نعي حقاً قيمة هذه الفرصة..؟ هل يعيها كل من ملك السلطة ليحدد اختيارات الآخرين..؟ ليشرّع.. ويقنن.. وينظم وفق وجهة نظره الخاصة.. أو ربما وفق مصالحه.. هل السطلة التي يملكها تمنحه الحق في أن يشوه فرص الآخرين في الحياة..؟ ليحدد هوَ.. هوَ فقط.. معايير الخطأ والصواب.. ومن المجرم ومن الصالح..؟ ليسلبهم حقوقهم.. ليقيد حريتهم.. لأن يسجنهم.. لأن يعذبهم..؟ وبالتالي يسلب منهم متعة هذه الفرصة الوحيدة التي يملكونها ليحيوا لمرّة واحدة.. وتضيع سنوات عمرهم في سجن مظلم"**

التفتت أطوار خلفها وهي تشير إلى جميع الحضور في القاعة، وهي تقول: **"أأكد لك بأن الجميع هنا لا يملك الاستعداد لفقدان هذه الفرصة.. بمن فيهم السيد ياسر عبدالسلام.. لأنها الوحيدة بالنسبة له.. وبهذا فهي ثمينة.. ثمينة بكل لحظاتها التي نعيشها مع من نحبهم.. ثمينة لأن فيها محطات نجاح يمكن لأي منّا أن يبلغها.. جميلة.. لأن العالم مكان واسع..**

أوسع من مجرّد زنزانة مظلمة في قبو أحد المعتقلات"

أكملت أطوار: **"إذاً علينا أن نعود ونسأل.. لمَ كان قدر بعض الأشخاص أن تسلب منهم تلك الفرصة..؟ وأن تنتهي بسرعة.. أن يسلبها منهم أحدهم.. علينا أن نسأل.. ما كانت جريمتهم.. ليكون هذا عقاب مستحق لهم..؟"**

بدأت أطوار بالسير والتحرك في القاعة أمام القاضي، وبدأت تقترب من حيث كان يجلس ياسر عبدالسلام، وهي تقول: **"ذنبهم أنهم صرخوا.. لأنهم أرادوا أن يخبروا الآخرين أنهم يتألمون.. فهل التعبير عن الألم جريمة..! هل من حق من تسبب لنا بالألم أن يسلبنا حتى مجرّد الحق في التعبير عنه..؟ هل يريد منّا أن نقبل اليد التي تمسك بالسوط وتجلد ظهورنا صبح مساء..؟**

نعم سيدي القاضي.. هذه كانت جريمتهم.. الصراخ من الألم.. رفض تلقِ المزيد من السياط.. التعبير عن حاجتهم لمزيد من الأوكسجين ليتمكنوا من الاستمرار في الحياة.. ليعيشوا فرصتهم الوحيدة.. ولكن.. كان هناك دائماً جلادون من أمثال ياسر عبدالسلام.. يريدون منهم أن يصمتوا.. أن يبتلعوا آلامهم دون حتى أن يغصوا بها.. دون أن يختنقوا.. وإلا..

فإنهم يملكون الكثير من الطرق ليجعلوه يصمت وإلى الأبد.

لقد كان السيد ياسر عبدالسلام.. يدير أحد تلك السجون.. وفي ذلك السجن.. أهدرت آلاف الفرص في الحياة.. لأشخاص نعرف هوياتهم.. وكثيرين تبددوا في ظلمة تلك الزنازين وتبخروا.. كأن لم تلدهم أمهاتهم يوماً.. ورميت جثثهم حتى دون أن تكرم بقبر عليه شاهد يعرّف بهويتهم.. ويخبر الآخرين بقصتهم.. وهي أنهم كانت لديهم فرصة وحيدة في الحياة.. وسلبها منهم آخرون..!

لقد جعلوا من صرخة الألم جريمة.. ومن همسة النقد جريمة.. ومن التفكير بشكل مختلف جريمة.

لقد سرقوا من الناس أحلامهم.. وحولوا واقعهم إلى كابوس.. لقد مدوا خيطاً واحداً مستقيماً ورفيعاً.. وأرادوا من الجميع السير عليه بتوازن دون أن يسقطوا.. وكأننا في سيرك كبير.. يجلس فيه السادة على مقاعد وثيرة ويصفقون بمتعة وهم يشاهدون تلك العروض.

لقد أرادوا أن يضعوا الجميع في دائرة الضوء دون أن تكون لهم ظلال.. لأن الظل يعني وجود جسم معتم قد يخفي داخله فكرة.. وهم أرادوهم شفافين.. لأنهم يخافون من الأفكار.

علينا أن نسأل.. لمَ كانت تقدم كل تلك القرابين البشرية..؟ من أجل ماذا..؟ ولمن..؟!

نعم سيدي القاضي.. كانت قرابين لإرضاء إله السلطة.. الذي لا يكتفي من الدم..!"

أخذت أطوار بالابتعاد عن مكان جلوس ياسر عبدالسلام، والتجول في قاعة المحكمة أمام القاضي، وتكمل مرافعتها بالقول: **"لقد جرت محاكمة سابقة للمتهم.. وتم الاستماع فيها للعديد من الشهود.. ولكن كان هناك شاهد واحد بإمكانه أن تغير شهادته مجريات القضية.. وتثبت هوية المتهم.. ولكن.. تلك الشاهدة تعرضت للقتل قبل موعد شهادتها بيوم واحد..! يال تلك المصادفة..! هذا إن كان بالإمكان الإقرار بأنها مصادفة حقاً.. وكان القتلة متمرسين في طريقة إخفاء هويتهم.. لأنها لعبة اعتادوا ممارستها على مدى سنوات طويلة.. اقتل.. واستمر بالقتل.. ثم اقتل ثالثاً ورابعاً لكي تتمكن من الاستمرار في إخفاء جريمتك الأولى.**

واليوم نحن هنا نعيد فتح القضية.. لأن هناك شهوداً آخرين.. بإمكانهم حسم هذه القضية.. وإثبات هوية المتهم بشكل قاطع.. والتمس من حضراتكم السماح لي بتقديم الشاهد الأول

في هذه القضية؟"

طلب القاضي إدخال الشاهد الأول عبدالرحمن شريف.

صعد عبدالرحمن إلى منصة الشهود، وبدأ القاضي بتوجيه الأسئلة بعد أن قام بسرد بعض تفاصيل القضية: **" تشير التفاصيل الواردة في عريضة الدعوى المنظورة.. إلى أن المتهم ياسر عبدالسلام.. قد طلب منك استدراج أطوار شاكر إلى شقتك.. ومحاولة تصويرها في أوضاع مخلة بالأدب.. كما تشير العريضة إلى أنه هوَ من زودك بكاميرات التصوير اللازمة للقيام بالأمر.. وأنه دفع لك مقابل كل ذلك.. وكل هذا كان بهدف ابتزازها.. ومنعها من مواصلة عملها مع جمعية صرخة.. ما قولك فيما ورد..؟"**

عبدالرحمن: **"نعم سيدي القاضي.. لقد دفع لي مبلغاً مقدماً.. ووعدني بأنه سيدفع بقية المبلغ عند استلام الصور"**

القاضي: **"وهل لك أن تخبرنا بدوافعه إن كنت تعرفها..؟"**

بدأ عبدالرحمن بسرد القصة، واستمر القاضي في استجواب عبدالرحمن وطرح الأسئلة، وكان هو يقدم إجاباته بشكل واضح وصريح.

حاول محامي ياسر عبدالسلام مقاطعة الشاهد لمرات عديدة، والطعن في مدى مصداقية كل تلك الأقوال، ولكن القاضي كان يطلب منه في كل مرّة الجلوس، وترك الشاهد يكمل دون مقاطعة، وأنه سيمنحه الفرصة لمناقشة الشاهد لاحقاً.

استمرت جلسة الاستماع لشهادة عبدالرحمن نحو الساعة، وبعدها طلبت أطوار من القاضي السماح بعرض الشاهد الثاني في القضية.

دخل السيد شاكر القاعة برفقة رجل أمن، والذي اقتاده نحو منصة الشهود وأجلسه على المقعد.

جلس السيد شاكر وهو يتلفت من حوله في القاعة، وينظر في كل الوجوه الموجودة، وكأنه يبحث بينهم كلهم عن وجه واحد أراد رؤيته.

بينما كانت أطوار ترخي رأسها نحو الأسفل، وتتجنب النظر في عيني والدها.

لم يكن ياسر عبدالسلام يصدق ما رآه..! ولم يتوقع أن يشهد

السيد شاكر ضده في المحكمة، لأن شهادته ستكون دليل إدانة صريح ضده هوَ شخصياً، وتكشف عن هويته هوَ قبل أن تؤكد هوية ياسر عبدالسلام.

وكأن ياسر عبدالسلام أدرك بأن اللعبة انتهت هنا، وتبدلت ملامحه وبدا مرتبكاً، واقترب من محاميه وهمس في أذنه ببضع كلمات.

بينما كان السيد شاكر لا يزال ينظر باتجاه أطوار ويتأملها، وهي لا تزال تتهرب من النظر نحوه، وهنا طلب السيد شاكر من القاضي السماح له بقول كلمة، ومنحه القاضي تلك الفرصة.

قال السيد شاكر وهو ينظر إلى أطوار: **"ارفعي رأسك يا ابنتي.. لست أنتِ من عليه أن يخجل مما يقوم به.. بل أنا من عليه أن يشعر بهذا العار.. أنتِ هنا من أجل العدالة.. ودائماً ما كنت بجوارك طوال سنوات حياتك.. أقف بجانبك.. خذلتك لمرّة واحدة حين أردت أن أمنعك من الاستمرار في هذا الطريق.. ولكني اليوم سأعود لأكون بجانبك.. ولن أخذلك"**

رفعت أطوار رأسها ونظرت إلى والدها وفي عيونها بريق يشبه بريق نجمة صبح وحيدة.

وقف محامي ياسر عبدالسلام ليعترض ويطعن في شهادة السيد شاكر، بحجة أنه والد محامي الضحايا، واستحالة أن تكون شهادته محايدة في هذه الحالة.

رد القاضي بالقول أنه أدرك هذا الأمر للتو.

ولكن السيد شاكر طلب من القاضي السماح له بالحديث مجدداً، وهو يقول: **"سيدي القاضي.. أجل أنا والد محامية الضحايا في هذه القضية.. ولكني هنا اليوم بصفتي شاهد إثبات.. بينما أنا متهم في قضية أخرى.. وشهادتي هنا ستكون دليل إدانة لي شخصياً في تلك القضية.. لتشابك خيوط كل القضايا"**

تفهم القاضي ما قاله السيد شاكر، ورفض اعتراض محامي ياسر عبدالسلام، ومن ثم سأل: **"حسناً يا سيد شاكر.. أخبرنا إن كنت تعرف المتهم في هذه القضية..؟ وما نوعية العلاقة التي كانت تربطك به..؟"**

السيد شاكر: **"أجل سيدي القاضي.. أنا أعرف السيد ياسر عبدالسلام معرفة جيدة.. وعملت تحت إمرته لبعض الوقت.. ومن ثم طلبت نقل مكان عملي لمكان آخر"**

القاضي: **"أطلب منك أن تكون أكثر دقة في تحديد التفاصيل**

سيد شاكر.. ما الذي كنت تعنيه ببعض الوقت..؟"

السيد شاكر: **"حسناً.. لقد عملت تحت إمرته لنحو العام"**

القاضي: **"هل للمحكمة معرفة ما الوظيفة التي كان يؤديها السيد ياسر.. وما كانت وظيفتك أنت بالتحديد..؟"**

أجاب السيد شاكر: **"لقد كنت ضابطاً في المخابرات برتبة ملازم حين تم نقلي للعمل في السجن المركزي.. والمعروف بين عامة الناس باسم سجن المجزرة.. وكان حينها السيد ياسر مدير السجن"**

سأل القاضي: **"ذكرت منذ قليل بأنك طالبت بنقل مقر عملك بعد أن قضيت فيه مدة عام.. هل لنا بمعرفة الأسباب التي دفعتك لذلك..؟"**

بدأ السيد شاكر بالحديث بإسهاب وتفصيل وهو يقول: **"لقد تم تدريبي مسبقاً على إجراء التحقيق مع المتهمين.. وطريقة انتزاع الاعترافات منهم بالقوة إن تطلب الأمر ذلك.. ولكن ما كنت أراه هناك في السجن المركزي.. كان يتجاوز أي شيء يمكن وصفه.. لقد كانت أساليب التعذيب وحشية وقاسية للغاية.. ولم يكن بإمكان الكثير من السجناء تحمل كل ذلك**

التعذيب الذي يقع عليهم.. لم تكن أصوات صرخاتهم تتوقف في أقبية السجن طوال الوقت.. لقد كان الشعار الذي يرفعه السيد ياسر ويلقنه لأعوانه أنه لا ينبغي لأحد أن يخرج من هنا إلا ميتاً أو على وشك الموت.. وكان ذلك ما يتم بالفعل.. والحقيقة أن الكثير من السجناء فقدوا حياتهم تحت التعذيب.. وكان يتم التخلص من جثثهم بعدها برميها في أي مكان.. أما من يتمكن جسده من الصمود لفترة أطول لسوء حظه.. سيضل يتعرض لكل تلك الوحشية على مدى أشهر.. ومن بعدها يتم وضعه داخل زنزانة مظلمة وصغيرة ونسيانه إلى الأبد"

عاد القاضي ليسأل ما الذي يعنيه السيد شاكر بكلمة **"نسيانه إلى الأبد..؟"**

رد السيد شاكر: **"بعد مرور عدة أسابيع من عملي هناك.. لفت نظري وجود سجين هزيل بشكل مفرط.. ولم يكن قادراً حتى على مجرّد الوقوف أو السير.. وكان يئن طوال الوقت بسبب آلامه التي يعاني منها بسبب الأمراض التي تفتك بجسده.. وحينها دفعني الفضول لمعرفة من يكون..؟ وعلمت فيما بعد أنه أحد المدافعين عن الحريات.. وكان قد مضى على**

احتجازه هنا في السجن عشرة سنوات"

سأل القاضي: **"هل كنت تعلم بمدة الحكم الصادرة بحقه..؟"**

السيد شاكر: **"في الحقيقة سيدي القاضي أنه لم يخضع لأي محاكمة.. ولم يصدر بحقه أي حكم.. لقد كان محتجزاً في السجن دون محاكمة.. أو وجود تهمة واضحة.. ولكنه كان قد تجاوز فترة العذاب المقررة بحق كل وافد جديد إلى السجن.. فكل وافد جديد كان يخضع لفترة تعذيب لا تقل عن ستة أشهر.. ومن بعدها يتم وضعه في زنزانة ضيقة ومظلمة.. ولا يحصل على أي رعاية تذكر داخل سجنه.. باستثناء وجبات منتظمة من الطعام.. وتلك الوجبات لم تكن من منطلق أنه حق له كإنسان.. ولكن بغرض إبقائه على قيد الحياة لتطول معاناته"**

سأل القاضي: **"هل سمعت أي تعليمات محددة صدرت من المتهم شخصياً تطالب بتعذيب السجناء بالشكل الذي وصفتها بأنها كانت وحشية للغاية.. أو أنه كان يقوم بممارسة التعذيب بحق السجناء شخصياً أيضاً..؟"**

قال السيد شاكر: **"أجل سيدي القاضي.. لقد كان محدداً جداً في التعليمات التي يقدمها للجميع.. وفي مرات كثيرة كان**

يقوم بالمشاركة في جلسات التعذيب بنفسه"

القاضي: **"هل يمكنك إخبارنا ببعض أساليب التعذيب التي شاهدتها هناك..؟"**

أجاب السيد شاكر: **"لا تزال تلك المشاهد التي رأيتها لا تغادرني حتى الآن.. لقد كانت تصيبني بالكوابيس في ليالٍ كثيرة.. مشاهد الجلد بالسياط.. والصعق بالكهرباء.. وتكسير العظام.. وصوت الصراخ الذي لا ينقطع أبداً"**

توجه السيد شاكر بنظره نحو ياسر عبدالسلام، وهو يقول: **"هناك حالة يمكنني الاستشهاد بها هنا.. لقد كان شاباً في مقتبل حياته.. كان قوياً بما يكفي ليقف مرّة أمام ياسر عبدالسلام ويبصق في وجهه.. لقد كانت تلك إهانة كبيرة يتعرض لها السيد ياسر ولأول مرة ربما.. ليتحول بعدها إلى وحش هائج.. وكأنه قد انسلخ تماماً من إنسانيته.. وتحول إلى شيء آخر.. بلا قلب.. بلا شعور"**

تنهد السيد شاكر، وعاد ليكمل: **"خلع السيد ياسر جاكيته الذي كان يرتديه.. وطلب تقييد السجين ونزع قميصه.. وبدأ بجلده.. لقد كنت استمع إلى صوت ذلك السوط كلما لامس جسد السجين.. وصوت ذلك السجين وهو يصرخ من الألم..**

وعلى مدى أسبوع كامل لم يتوقف السيد ياسر عن ابتكار وسيلة جديدة للتعذيب في كل ليلة"

طالب القاضي السيد شاكر بأن يكمل حديثه ويقص عليه كل ما شاهده.

أكمل السيد شاكر: **"لم يتردد السيد ياسر في فعل أي شيء يتسبب به بالألم للسجين.. لقد كان يصب على جسده الماء الساخن.. ساخن بما يكفي ليتسبب بالألم ولا يترك أثراً يشوه جسده.. ويستمر السيد ياسر بالضحك والاستهزاء بصرخات السجين.. وهو يذكره بجرأته على البصق في وجهه.. ويطلب منه أن يتماسك ويستمر في تحديه له.. لقد كان ذلك الشاب رساماً.. ولذلك أراد السيد ياسر الانتقام من أصابعه التي يستخدمها في رسم لوحاته.. وبدأ بخلع أظافره وبتهشيم أصابعه بمطرقة"**

كانت سلوان تجلس على أحد المقاعد في قاعة المحكمة وتنصت إلى ما كان يقوله السيد شاكر، إلا أن سمعته يقول بأن ذلك السجين كان رساماً، هنا ودون أن تدرك ما كانت تفعله؛ وقفت واندفعت باتجاه السيد شاكر، وهي تصرخ بصوت مرتفع وتسأل السيد شاكر: **"من كان.. ما كان اسمه.. تكلم..؟"**

طلب القاضي من الأستاذة سلوان بالتزام الصمت والهدوء، إلا أنها لم تتوقف عن تكرار السؤال.

ليرد عليها السيد شاكر بعد محاولة التذكر للحظات بقول: **"إن لم تخني الذاكرة.. كان اسمه نهار منصور"**

لقد كانت أطوار تأمل ألا ينطق والدها بهذا الاسم أبداً، كانت تخشى على قلب سلوان مما سمعته للتو، وما تعرض له حبيبها نهار في آخر أيامه على يد هذا المجرم والسفاح ياسر عبدالسلام.

ركضت أطوار مسرعة نحوها، حاولت إرجاعها إلى المقعد الذي كانت تجلس عليه، هزتها عدة مرات من كتفها لتخرجها من حالة الذهول التي سيطرت عليها تلك.

وبعد لحظات، همست سلوان بصوت خافت، وهي تقول لأطوار: **"أرجوكِ.. ساعديني على الخروج من هنا.. لم يعد بإمكاني الاستماع إلى المزيد"**

أسندتها أطوار إلى كتفها، وخرجت نحو الممر خارج القاعة.

أجلستها على أحد المقاعد، وسألتها إن كانت بخير، وبمَ تشعر..؟

حدقت سلوان في عيني أطوار وهي تتوسل إليها: **"نالي منه يا أطوار"**

لترد عليها أطوار بإصرار: **"سأفعل.. أعدك بذلك.. والآن عليَّ أن أعود إلى الداخل"**

اكتفت الأستاذة سلوان بإيماءة لطيفة برأسها، وهي سارحة.

عادت أطوار إلى قاعة المحكمة، وقدمت اعتذارها للقاضي عمّا حصل.

استأنف القاضي سير المحاكمة، وسأل السيد شاكر: **"وما كان مصير ذلك الشاب..؟"**

أجاب السيد شاكر: **"كان قد مضى على وجوده بالسجن نحو ثلاثة أسابيع.. وتعرض خلالها للتعذيب المستمر.. ولكن بعد أن باشر السيد ياسر تعذيبه بشكل شخصي.. توفي الشاب بعد عدة أيام"**

ساد الصمت قاعة المحكمة للحظة، نهضت بعدها أطوار وهي تطلب من القاضي أن يسمح لها بطرح بعض الأسئلة على الشاهد.

توجهت أطوار نحو السيد شاكر، وقفت أمامه، تأملته للحظة

وهي تردد داخلها بقول: **لم أتخيل يوماً هذا الموقف يا أبي.. أن أقف أمامك.. وأن أستجوبك.. ولم أتصور أبداً أن تكون أنت جزءاً من تلك الحقبة المظلمة..!**

طرحت أطوار سؤلاً: **"سيد شاكر.. هل بإمكانك أن تخبرنا عن سبب إطلاق اسم سجن المجزرة على ذلك السجن.. بينما أن اسمه الرسمي كان السجن المركزي..؟"**

أجاب السيد شاكر: **"أجل.. لقد كان السيد ياسر عبدالسلام معروفاً باسم الجزار بين حراس السجن وبين السجناء"**

أطوار: **"إذاً أنت تقول.. بأن المتهم ياسر عبدالسلام هو الضابط المعروف باسم الجزار..؟ ولكن دعني أسأل.. ألا يمكن أن يكون هناك ضابط آخر يحمل ذات اللقب والسمعة السيئة..؟"**

رد السيد شاكر بالنفي على السؤال، وعاد ليؤكد مجدداً بأنه الوحيد الذي كان معروفاً بالجزار، وأن ياسر عبدالسلام كان يعتز بهذا اللقب ويتفاخر به أمام الضباط الآخرين.

سارت أطوار باتجاه القاضي بضع خطوات وهي تقول: **"وهذا يقودنا لتحديد هوية المتهم الحقيقي في كثير من حالات**

التعذيب والقتل التي تعرض لها السجناء في سجن المجزرة.. سيدي القاضي.. لدينا عدد كبير من الإفادات لضحايا التعذيب.. والتي لم نتمكن فيها من تحديد الهوية الحقيقية للجزار.. ولكن الآن بات بإمكاننا تحديد الجاني في كل تلك القضايا.. بل وتحميله كل المسئولية عن كل الجرائم التي ارتكبت هناك طوال فترة إدارته للسجن.. والآن بعد أن قدم السيد شاكر شهادته استناداً إلى ما شاهده بنفسه من التعذيب الذي مارسه المتهم على الفنان نهار.. أود القول.. بأن شاهدة الإثبات السيدة نسيمة ناجي.. والتي وجدت مقتولة في مسكنها قبل يوم واحد من موعد جلسة الاستماع.. هي في الحقيقة والدة الفنان.. والتي سمحت لها الفرصة بلقاء الجلاد ياسر عبدالسلام داخل أحد أروقة مبنى السجن.. وإذا عدنا إلى شهادة الشاهد الأول عبدالرحمن شريف.. والذي قال بأنه حاول استدراجي.. إنما قام بذلك بتحريض وطلب من ذات المتهم.. لنجد أن كل تلك الجرائم ارتكبت بدافع الخوف من اكتشاف هويته الحقيقية.. وأنا أكتفي بهذا القدر.. وأترك المجال لمحامي المتهم إن كان يرغب في سؤال الشاهد"

استمرت محاكمة ياسر عبدالسلام لعدة أشهر بعدها، وفي كل جلسة كانت حجج محاميه تسقط، وكل ألاعيبه تفشل، وتم إثبات هويته واتهامه بجميع القضايا التي ورد فيها اسم الجزار، وإدانته بكل حالات التعذيب والقتل التي تمت خلال فترة رئاسته للسجن، إلى أن صدر حكم نهائي بحقه، وحكم عليه بسبعة أحكام بالمؤبد.

الفصل التاسع والثلاثون

بعد أن نالت أطوار من المجرم ياسر عبدالسلام؛ بدأت محاكمة السيد شاكر، ولم تكن سلوان هي الضحية الوحيدة التي تتم محاكمة السيد شاكر من أجلها، فهناك الكثير من الضحايا الذين تقدموا بدعوى ضد الضابط المسئول عن السجن الذي كان يعمل فيه السيد شاكر.

كانت أطوار تشعر بارتباك وتوتر كبير، جلست لبعض الوقت في الرواق الواقع خارج قاعة المحكمة، وجلست بجانبها الأستاذة سلوان والأستاذ غيث.

سألتها سلوان: **"ألا زلتي تعتقدين بأنكِ قادرة على فعل ذلك..؟"**

أومأت أطوار برأسها دون أي إجابة أخرى.

نظر الأستاذ غيث في ساعة هاتفه النقال، وعاد لينظر إلى أطوار.

فهمت أطوار بأن عليهم الدخول إلى القاعة الآن.

نهض الأستاذ غيث وتقدم نحو باب قاعة المحكمة، دفعه قليلاً

وظل ممسكاً به وهو ينظر إلى أطوار.

أمسكت سلوان بيد أطوار وهي تقول: **"هيا بنا إذاً"**

نهضت أطوار وتقدمت بخطوات بطيئة مترددة نحو الباب، وحين اقتربت، حدق الأستاذ غيث في عينيها وهوَ ينتظر منها أن تقول شيئاً، ولكنها بادلته النظرة وتجاوزته نحو الداخل في صمت.

جلس الجميع في مكانه، وتم إدخال السيد شاكر محاطاً بحراس المحكمة.

مضت بضع دقائق ثقيلة وقاتله، ويسيطر فيها على المشهد صوت تلك الهمسات التي يتبادلها الضحايا وعائلاتهم في المقاعد الخلفية، والكثير منهم يشاهد وجه جلاده السيد شاكر لأول مرّة.

هي المرّة الأولى التي يظهر فيها الجلاد في النهار، وهي المرّة الأولى التي يجلس فيه الضحايا أمام الجلاد دون عصابة على أعينهم تمنعهم من الرؤية.

هي المرّة الأولى التي تشعر فيها الضحية بالقوة، بالحرية، بينما يجلس الجلاد مكبلاً، ضعيفاً، وقد سلبت منه كل الأدوات التي

كانت تمنحه القوة يوماً، تمنحه السلطة المطلقة على الضحية.

هي ذات المسوغات التي تسمى بالقوانين، والتي سمحت يوماً للجلاد أن يمارس التعذيب على الضحية، دون خوف من العقاب، وهي التي اليوم تسمح للضحية بأن ينال من جلاده، ويستعيد كرامته كإنسان.

دخل القاضي إلى القاعة، وساد الصمت بين الحضور للحظات، وسأل بعدها: **"هل المتهم شاكر نجم حاضر..؟"**

رد محامي الدفاع بأن المتهم حاضر، وأنه المحامي المكلف بالدفاع عنه، ثم سأل القاضي عن المحامي الممثل للضحايا، وردت: **" أطوار شاكر نجم.. حاضرة لتمثيل الضحايا"**

صمت القاضي للحظة، ومن ثم طلب من أطوار الاقتراب منه.

انحنى نحوها قليلاً وهمس لها بصوت خافت باستغراب وهو يسأل: **"أرى هنا تشابهاً بين اسمك واسم المتهم..!"**

ردت أطوار: **"أجل سيدي القاضي.. إنه أبي"**

تعجب القاضي من ذلك، وعاد واعتدل بجلسته، وبدأ بقراءة عريضة الدعوى، والتي كانت تتضمن كل الاتهامات الموجهة إلى السيد شاكر.

ومن ثم طلب من محامي الضحايا تقديم مرافعته.

نهضت أطوار من مكانها وتقدمت نحو القاضي، وبدأت بتقديم مرافعتها بالقول: **"سيدي القاضي.. المرض حين يبدأ في أجسادنا.. يخبرنا عن وجوده من خلال الأعراض التي نشعر بها.. ألم.. ارتفاع في الحرارة.. سعال.. صداع.. نلجأ لبعض المسكنات لتشعرنا بقليل من الراحة.. ولكننا نخطئ حين نتجاهل المسبب الحقيقي لهذه الأعراض.. ويتوجب علينا دائماً البحث عن السبب"**

عادت أطوار تتجول جيئة وذهاباً أمام القاضي، وهي تكمل: **"هنا.. في هذه القاعة.. يجلس أمامنا متهم بانتظار الإدانة على جرائمه التي ارتكبها في حق ضحايا كانت جريمتهم الوحيدة هي كلمة ربما.. لقد كان المتهم فرداً في منظومة قمعية كاملة.. سيطرت على مشهد هذا الوطن لعقود.. وشوهت ملامحه.. وسلبت أبنائه الحق في حياة حرة.. وسلبتهم حقهم في حرية الاختيار.. وحرية التفكير"**

وقفت أطوار أمام القاضي، وهي تقول: **"إذاً.. لا يمكننا أن نكتفي بمحاكمة فرد.. وندعي بأننا قد حققنا العدالة أخيراً.. لا يمكن لنا أن نحاكم الأعراض ونتجاهل السبب..**

سيدي القاضي.. لا يمكننا أن نحاكم السيد شاكر فقط.. لأنه كان فرداً في منظومة.. والتي هي فكرة.. وأيدلوجيا.. وربما مدرسة تقوم بذاتها.. لتبرر القمع والاستبداد.. سيدي القاضي.. على هذه المحكمة اليوم.. أن تحاكم الفكرة.. أن تحاكم الرموز.. أن تحاكم المنظّرين لكل أفكارها.. أن تضع المنظّر الأكبر لكل تلك الأفكار في قفص الاتهام.. على هذه المحاكمة أن تكون محاكمة لمكيافيلي.. لأفكاره التي باتت دستوراً يتبعه كل مستبد.. ومحاكمة لكل المكيافيليين الذين جاؤوا من بعده.. على هذه المحكمة أن تمثل دستوراً لكل الأجيال القادمة.. نهجاً يتبع في محاكمة كل مستبد.. عليها أن تكون صرخة عالية.. صرخة في وجه كل من يبرر للاستبداد.. صرخة في وجه كل أدواته"

التفتت أطوار نحو سلوان التي كانت تجلس بالخلف، لتجدها وقد ارتسمت ابتسامة رقيقة على ملامحها، وهي تدرك سبب تلك الابتسامة، وها هي أطوار اليوم تقدم مكيافيلي للمحاكمة كما كانت تأمل سلوان.

عادت واستدارت أطوار نحو القاضي، صمتت لحظة، ثم قالت:

"على هذه المحاكمة أن تعيد الأمل لكل ضحية تجلس هنا

بانتظار العدالة.. عليها أن تعيد الأمل لكل الضحايا في كل مكان في هذا العالم الذي غرق طويلاً في ظلمات الظلم.. علينا أن نعيد ثقة الإنسان في العدالة.. وأنها حتمية الحصول.. وإن تأخرت.. علينا أن نكون كما أراد الله لنا أن نكون.. أن نشكّل تلك الخلافة التي أرادها لنا.. والتي لا يمكن لها أن تكون إلا من خلال العدالة"

أكملت أطوار: **"سيدي القاضي.. علينا أن نحاكم مكيافيلي في شخص كل متهم في قضية تعذيب يمثل أمام المحكمة.. في شخص كل أداة مكنت المستبد من تحقيق المكيافيلية في أوقح صورها.**

أن ننزع القدسية عن كل أفكاره.. وأن نبطل سحره المستمر على مدى أجيال.

علينا أن نبدأ بكل ذلك الآن.. هنا.. في هذه المحكمة.. وأن نبدأها بشخص المتهم شاكر نجم.."

أكملت جملتها وهي تشير بيدها نحو والدها السيد شاكر، وللحظة التقت عيناها بعينه.

صمتت أطوار للحظات، لم تتمكن من إكمال مرافعتها، أو حتى

بأن تبعد نظراتها عن والدها.

هربت، انسحبت، ركضت مسرعة نحو الأستاذة سلوان، ضمتها بقوة، بدأت بالبكاء.

طلبت منها سلوان أن تتراجع، أن تتوقف عن المواصلة في هذا الطريق، أخبرتها أن بإمكان الأستاذ غيث أن يكمل هو بدلاً عنها.

ولكن أطوار رفضت كل محاولاتها.

نهض الأستاذ غيث من مكانه، اقترب منها، حاول هو الآخر منعها من الاستمرار.

وهنا سمعت أطوار صوت السيد شاكر وهو يطلب إذن القاضي له بالحديث، ولكن القاضي أخبره بأنه سيمنحه الوقت الكافي للحديث، وأن على المحامية العودة لاستكمال مرافعتها.

طلب الأستاذ غيث من القاضي الموافقة على تأجيل النظر في القضية، ليعود السيد شاكر ويطلب من القاضي مجدداً السماح له بالحديث.

وبعد أن سمح القاضي للمتهم بالحديث، نهض السيد شاكر من مقعده، وقف، وأقفل إزرار جاكيته، وبدأ بالقول:

"سيدي القاضي.. لا أرى ما يستدعي مواصلة هذه المحاكمة.. واستمرارها لوقت أطول.. نعم.. أنا الرائد شاكر نجم.. وهذه رتبتي عند التقاعد.. لقد كنت أعمل في السجن طوال سنوات خدمتي.. بينما يظن الآخرون أني أعمل في مديرية الإطفاء.. لقد كان ذلك الأسلوب المتبع حينها من طرف جميع الضباط العاملين في المخابرات.. لقد أخفيت هويتي الحقيقية لسنوات.. سنوات طويلة.. للحد الذي لم يعد بإمكاني تذكر عدد الضحايا الذين مارست التعذيب ضدهم.. ربما لا زلت أتذكر بعض الوجوه.. ولكن جميعها تشبه بعضها.. تتشابه ملامحهم في مخيلتي.. لأني لم أكن أرى على ملامحهم سوى تعبير واحد.. وهو الألم.. لم أتمكن من رؤية ابتسامتهم ولو لمرّة واحدة.. لم أتمكن من رؤية ملامحهم كيف ستبدو حين يكونون مع من يحبونهم.. أبنائهم.. أمهاتهم.. زوجاتهم.

نعم سيدي القاضي.. لقد كنت أمارس التعذيب ضدهم.. وأنا أدرك أنهم بشر مثلي.. وأن هناك أحبة خارج السجن ينتظرون عودتهم إليهم.. ولكن كنت أبرر لنفسي تعذيبهم.. بينما كان بإمكاني أن أدرك أن كل ما أقوم به إنما هي جرائم بحق أبرياء.. لقد كنت أخاف من إظهار التعاطف مع أحدهم.. حتى لا أتهم من رؤسائي بأني خائن لواجبي.. وربما كنت

على قناعة بأنني أقوم بالأمر الصحيح.. وأنني أقوم بواجبي تجاه وطني ضد من يسعون لإسقاطه.

لقد كانت تلك هي الفكرة التي نحارب من أجلها.. تلك هي الفكرة التي حاول النظام السابق إقناعنا بها"

التفت السيد شاكر نحو الأستاذة سلوان، تأملها للحظة، ومن ثم أكمل: **"باستثناء وجه واحد.. قدّر لي بعد سنوات أن أراها وهي تبتسم.. لقد بدت لي أجمل بكثير مع تلك الابتسامة.. من ملامحها وهي تتألم.. تصرخ.. وأدرك بأن كل تلك الوجوه التي تخزن ذاكرتي ملامحها كانت ستبدو أجمل حين تبتسم"**

توقف السيد شاكر عن الحديث للحظة، ووضعه يده على صدره وكأنه بدأ يشعر بألم ما يزعجه، وعاد ليكمل: **"نعم سيدي القاضي.. أعترف بكل التهم الموجهة إلي.. والاعتراف في لغة القانون يعتبر سيد الأدلة.. ولكني يا سيدي القاضي.. أنفي عن نفسي أي اتهام بقتل أي سجين.. أأكد لك سيدي القاضي.. بالرغم من كل تلك القسوة التي كنت أمارسها.. إلا أنني لم أفقد كل إنسانيتي.**

لقد كنت أذكّر نفسي دائماً.. بأن كل مسجون هنا لديه أسرة يحبها وتحبه.. كنت أرى في أطفالهم ملامح ابنتي أطوار..

وأرى ملامح زوجتي رحمها الله في وجه زوجاتهم.. لقد طلبت نقلي من السجن المركزي لأني لم أحتمل حجم الجرائم التي ترتكب فيه.. ولكن السجن الذي انتقلت إليه كان مخصصاً للسجناء الذين لم يواجهوا اتهامات خطيرة بمقاييس النظام حينها.. وكانت لهم فترة السجن تلك.. أشبه بتحذير لما يمكن أن يصيبهم إن تجرأوا على المزيد من النقد أو معارضة النظام"

توقف السيد شاكر للحظة، وطلب كوباً من الماء، وعاد بعدها لينظر نحو الأستاذة سلوان، وأكمل: **"لقد كانت قوية.. لم أتمكن من كسر غرورها.. وفي لحظات كثيرة أدركت أنها كانت تقاوم كل قسوتي بإيمانها بقضيتها.. بمبادئها.. لم تكن مجرّد فتاة تجرأت على التحدث بصراحة ضد القمع.. هي أرادت أن تكون حرة.. أن تحصل على العدالة وتقتص من قتلة والدها.. هذا ما كنت أظنه فقط حينها.. ولكني اكتشفت الآن أنها كانت تطالب بالثأر لقلبها أيضاً.. قلبها الذي حطمه الظلم.. وسلب سعادته منها.. لتكون هي حالة فريدة.. حالة فقدت والدها.. وخطيبها.. وحريتها داخل زنزانة على يد سجان لم يرق قلبه لها.."**

فجأة توقف السيد شاكر عن الحديث، مال بجسده قليلاً واستند

بيده على الطاولة التي أمامه.

ركضت أطوار نحوه بسرعة وهي تحاول مساعدته على الوقوف، إلى أن سقط على الأرض.

تم نقل السيد شاكر إلى المستشفى، وتبينت إصابته بنوبة قلبية شديدة، وفقد معها قدرته على تحريك يده اليسرى.

وبعد أسابيع، وفي يوم جلسة النطق بالحكم، وقف الجميع في قاعة المحكمة، لحظة نطلق القاضي بالحكم في حق السيد شاكر، والذي لم يعد بإمكانه حضور أي من الجلسات التالية بسبب ظروفه الصحية.

لقد كان ما ينوي أن ينطق به القاضي في هذه اللحظة شيئاً يستحق الوقوف أمامه باحترام، لأن العدالة مبدأ مقدس.

لحظات من الصمت، وجميع الأنظار تحدق إلى شخص واحد، شخص ستتحقق العدالة على يده.

هذه هي اللحظة التي انتظرتها سلوان لسنوات، وهي أن ينطق أحدهم بالحكم بإدانة جلادها، وكأن ذلك الحكم وسام شرف سيتم تعليقه على صدر جندي عاد للتو من ساحة معركة.

بدأ القاضي قبل نطقه بالحكم بالقول: **"كنت أتمنى أن تملك هذه المحكمة صلاحية التشريع وسن القوانين، حينها كنت سأعمل على سن قانون يسمح لنا كقضاة حق محاكمة الشخصيات التي عاشت منذ قرون، ولكن لاتزال أفكارهم سارية حتى يومنا هذا، وتتسبب بالمآسي لأجيال كثيرة.**

كان من الصعب عليَّ تجاوز مطالبة ممثلة الضحايا في هذه القضية بمحاكمة مكيافيلي.

فتشريع الجريمة وجعلها مقبولة، لا يقل في نظري جرماً عن ارتكابها، وكذلك من حاول من خلال أفكاره جعل الاستبداد أمراً مقبولاً ويمكن تفهمه.

في حين أن الاستبداد لم يكن يوماً وسيلة بإمكانها تحقيق الاستقرار والسعادة سوى لفئة محدودة.

لا يمكن لوطن أن يستقر؛ إن كان هناك من يعاني فيه، ويشعر فيه بالقهر.

بينما الوسيلة الوحيدة التي قد تضمن الرفاه والاستقرار لأي وطن؛ هي من خلال العدالة.

من وجهة نظري كقاضي، أجد مكيافيلي مذنباً في كل الجرائم

التي ارتبكت بحق الأبرياء، وكل الذين انتهكت إنسانيتهم، وكل الذين سلبت أحلامهم، لمجرّد أن أحدهم اعتقد أن من حقه قهر الآخرين ليحتفظ هو بسلطته.

ولا يمكنني كإنسان، تفهم فكرة أن تكون الغاية مبررة لأي وسيلة، لأني أجد أن ذلك في حقيقته مبدأ لا يليق إلا بالشياطين.

وفي هذه المحاكمة أعلن، بأن نيكولا مكيافيلي مذنب"

وفي لحظة نظر سلوان إلى القاضي، أصدر القاضي حكمه بالسجن المؤبد بحق السيد شاكر.

أغمضت سلوان عينيها وهي واقفة، لتعبر في مخيلتها مشاهد كل تلك اللحظات، مشاهد لوالدها وهو يجلس ويكتب على طاولته في صالون منزله، مشهد لنهار وهو يمسك بريشته ويرسم لها صورة، مشهد لها وهي تنظر إلى نفسها داخل زنزانتها، وتسمع صرير تلك الأصفاد التي تكبلها، ولتعود وتشعر معها بنفس شعور الاختناق بالظلام الذي كان ينتشر داخل زنزانتها.

ولتتمكن من إبعاد ذلك الشعور بالاختناق، أخذت نفساً عميقاً،

لتأكد لنفسها بأنها الآن حرة، قادرة على التنفس بدون اختناق.

كان ذلك حكماً منصفاً لسلوان، إلا أنها لم تتمكن من الاحتفال به، لأنها تدرك حقيقة ما كانت تشعر به أطوار، وحقيقة أن المذنب في هذه القضية هو والدها.

الفصل الأربعون

عام كامل مضى على سجن السيد شاكر، وقضى جزءاً كبيراً من تلك المدة في مستشفى السجن بسبب وضعه الصحي الذي كان يزداد سوءاً مع مرور الأيام.

وفي صباح أحد الأيام، فتحت بوابة زنزانة السيد الشاكر، وطلب منه أحد الحراس بأن يقوم بجمع كل متعلقاته الشخصية واللحاق به.

حمل السيد شاكر حقيبة يد صغيرة معه وخرج من الزنزانة وهو يتبع الحارس.

أدخله الحارس إلى مكتب مدير السجن، وفور دخوله وجد أطوار جالسة على أحد المقاعد.

أخبره مدير السجن بأنه بات قادراً على المغادرة.

لم يتمكن السيد شاكر من فهم ما كان يعنيه ذلك، وظل صامتاً وهو يجول بنظره في وجه أطوار مرّة، وفي وجه مدير السجن مرّة.

ليعود مدير السجن ويخبره بأن ابنته تمكنت من استصدار حكم بالإفراج عنه نظراً لظروفه الصحية، وأن احتجازه في السجن قد يشكل خطراً على حياته.

نهضت أطوار وحملت عنه الحقيبة، وأمسكت بيدها الأخرى يد والدها وهي تقول له: **"هيا يا أبي.. لنغادر هذا المكان"**

خرجت معه إلى الخارج، وهو يسير بجانبها ببطء شديد.

فتحت له باب السيارة وأجلسته، وجلست هي بمقعد السائق.

تأمل السيد شاكر السيارة، وسألها: **"هل هذه سيارتك..؟"**

ضحكت أطوار وهي تومئ برأسها وتخبره بأنها فعلاً سيارتها، وأنها تمكنت من شرائها منذ أسابيع قليلة مضت فقط.

نظر إليها السيد شاكر، وهو يسألها: **"لمَ فعلتِ ذلك..؟"**

اكتفت أطوار بالرد بكلمة مختصرة، وهي تقول: **"لأنك أبي.. ولم تعد بالنسبة إليَّ ذلك المتهم الذي تتوجب إدانته.. بالنسبة لي فقد تحققت العدالة"**

سألها السيد شاكر: **"هل سنتوجه إلى المنزل مباشرة..؟"**

أخبرته أطوار بأنها تنوي ذلك بالتأكيد.

ولكنه طلب منها أن تذهب به إلى مكان آخر قبل العودة إلى المنزل.

توقفت أطوار عند بوابة المقبرة، نزل السيد شاكر ومشى بخطوات مثقلة نحو الداخل.

وقف عند قبر زوجته، رفع يده التي بمقدوره تحريكها وقرأ الفاتحة، ومسح بعدها بها على وجهه.

وقف للحظات يتأمل قبرها، والتفت إلى جانب القبر ليجد نبتة صغيرة مزهرة، نزل على ركبتيه، مد يده وقطف الزهرة ووضعها على قبرها، وهو يقول: **"ربما.. عليَّ أن أطلب العفو من هذا العالم كله.. وممن ارتكبت كل تلك الجرائم بحقهم.. ولكني أدين لك باعتذار أيضاً.. وكم أتمنى في هذه اللحظة لو كان بإمكاني سماع كلمة (سامحتك) منكِ الآن.. لقد كنت مزيفاً طوال سنين حياتي معك... لم تعلمي بحقيقتي.. وأنني لم أكن سوى جلاد.. يمارس كل تلك الجرائم..**

ويعود إليكِ بعد ذلك ويخبرك كم أنه يحبك.. أعلم أنكِ لم تكوني لتغفري لي ذلك الأمر.. أعلم أنكِ كنتِ تكرهين الظلم.. وتسألينني باستمرار.. هل يملك السجانون قلوباً مثلنا..؟ ولم تكن لدي القدرة على أن أجيبك.

لقد زرعتِ في أطوار كرهك للظلم.. لقد تعلمت منكِ كل تلك المبادئ.. وها هي اليوم بعد أن كبرت.. حاربت من أجل العدالة.. من أجل إنصاف المظلومين.. يحق لي ولكِ أن نفخر بها.. أليس كذلك..؟

لقد كبرت.. وهي الآن تنتظرني في الخارج.. في سيارتها التي اشترتها منذ أسابيع.. لم تعد كما كانت طفلة.. تخافين عليها من البرد.. هي الآن قادرة على أن تواجه العالم بقوتها.. إنها تملك قلباً دافئاً بإمكانه أن يغمر العالم كله بدفئه.

سأتركك الآن وأغادر.. سأعود إلى بيتنا.. إلى حيث جنتي التي خلقتها لي أنتِ يوماً.. وسأكتفي بأن أراقب ابنتنا وهي تحقق كل نجاحاتها.. دون الحاجة لأن نخاف عليها.

لقد فقدتكِ في وقت مبكر.. وفقدت قدرتي على الغناء لاحقاً"

نظر إلى يده اليسرى، وعاد ليكمل: **"وقدرتي على العزف على العود كذلك.. ولكن لا زالت لدي القدرة على الاعتناء بحديقتي.. وبزهرتي التي سأظل فخوراً بها دائماً وتذكرني بكِ.**

وداعاً عزيزتي.. وليرحمك الله"

توجهت أطوار إلى المنزل، وتوقفت أمام الباب، نزل السيد شاكر من السيارة، فتح باب الحديقة، توقف للحظة وهو يتأمل حديقته التي ذبلت وجفت بعد غيابه عنها لأكثر من عام.

بدت ملامح الاستياء على وجهه وهو يجول بنظره فيها، اقتربت منه أطوار ووقفت بجانبه، وهي تقول له: **"سامحني يا أبي.. لم أتمكن من رعايتها كما كنت تفعل أنت"**

اكتفى السيد شاكر بإيماءة لطيفه، وواصل السير نحو الداخل.

لاحظ وجود أكياس كثيرة لتربة زراعية في الحديقة..؟!

توقف عندها للحظة وهو ينتظر أن تخبره أطوار عن سبب وجودها هنا..؟

أمسكت أطوار بيده وهي تطلب منه السير معها حتى التفوا نحو الحديقة التي تقع خلف المنزل.

ليجد الأستاذة سلوان تجلس هناك على ركبتيها بجوار الشجيرات الجافة، وتعمل على إزالتها.

وفور رؤيتها للسيد شاكر، تركت كل شيء من يدها وتوجهت نحوه.

وقفت أمامه وهي تخلع قفازات العمل من يدها، وتقول له: **"الحمد لله على السلامة"**

تلفت السيد شاكر في أنحاء الحديقة الخلفية، ليجدها وقد تم غرس شجيرات ورد جديدة للتو فيها.

بادرته سلوان بالقول: **"تلك التي هناك.. انتهيت من غرسها بالأمس فقط"**

وتابعت وهي تبتسم: **"أدين لك بذلك.. فقد ساعدتني سابقاً في العناية بحديقتي"**

رد السيد شاكر: **"وانا أدين لك باعتذار"**

سلوان: **"لا داعي لذلك سيد شاكر.. علينا أن نتجاوز كل هذا الآن"**

سألها: **"هل أفهم من ذلك أنكِ تسامحينني..؟!"**

ابتسمت الأستاذة سلوان واكتفت بإيماءة تؤكد له ظنه.

لم تتوقف كثيراً عند ما قالته، وأكملت: **"لقد عملت على إزالة كل الحشائش الضارة من الحديقة على مدى يومين.. ولكن هناك نبتة حديثة لم أشأ أن أزيلها.. لأني أدركت أنها ليست من الحشائش الضارة.. أرجوك أن تلقي نظرة عليها"**

تقدم السيد شاكر نحوها، نزل على ركبتيه وتلمس أوراقها، وبعد تأملها للحظات، عاد ليقول: **"أجل هذه ليست من الحشائش.. إنها شجرة بندق حديثة النمو.. سيلزمها سنوات لتكبر"**

ومن ثم سأل بتعجب: **"ولكن.. كيف نبتت هنا.. لا أتذكر أني زرعت بذرة بندق في هذا المكان..؟!"**

ردت أطوار: **"ولكني أعلم.. لابد أنه السنجاب الذي صادفته في أحد الليالي الباردة هنا في الحديقة"**

نهض السيد شاكر ونفض التراب عن ركبتيه، والتفت نحو أطوار وهو يقول: **"ربما لن أعيش حتى أراها تكبر.. ولكن سيكون بإمكانك أنت رؤيتها بعد أن تصبح شجرة كبيرة"**

قالت سلوان: **"سنعمل على استبدال تربة الحديقة بتربة جديدة.. سنعمل سوياً على زراعتها مجدداً.. ونحول هذه المساحة من التراب إلى جنة.. فنحن من التراب.. وإلى التراب.. والوطن الذي نتشاركه.. تراب"**

تمت في السابع من نوفمبر ٢٠٢٤

صدر للمؤلف:

- رواية بعنوان (خريف لأربعة فصول) ٢٠٢٣
- مجموعة قصصية بعنوان (كلاسيكيات) ٢٠٢٣
- مجموعة مقالات بعنوان (عزف منفرد) ٢٠٢٣
- كتاب نصوص أدبية بعنوان (آدم) ٢٠٢٣

كتب مشتركة:

- مجموعة قصصية بعنوان (في إطار من الخيال) ٢٠٢٤
- مجموعة مقالات بعنوان (نظم فكرية) ٢٠٢٤
- مجموعة نصوص أدبية بعنوان (معزوفة قلم) ٢٠٢٤

حسابات المؤلف
على برامج التواصل الاجتماعي

Daydream.s.a

Daydream2019

Daydreamsa

Samir alim

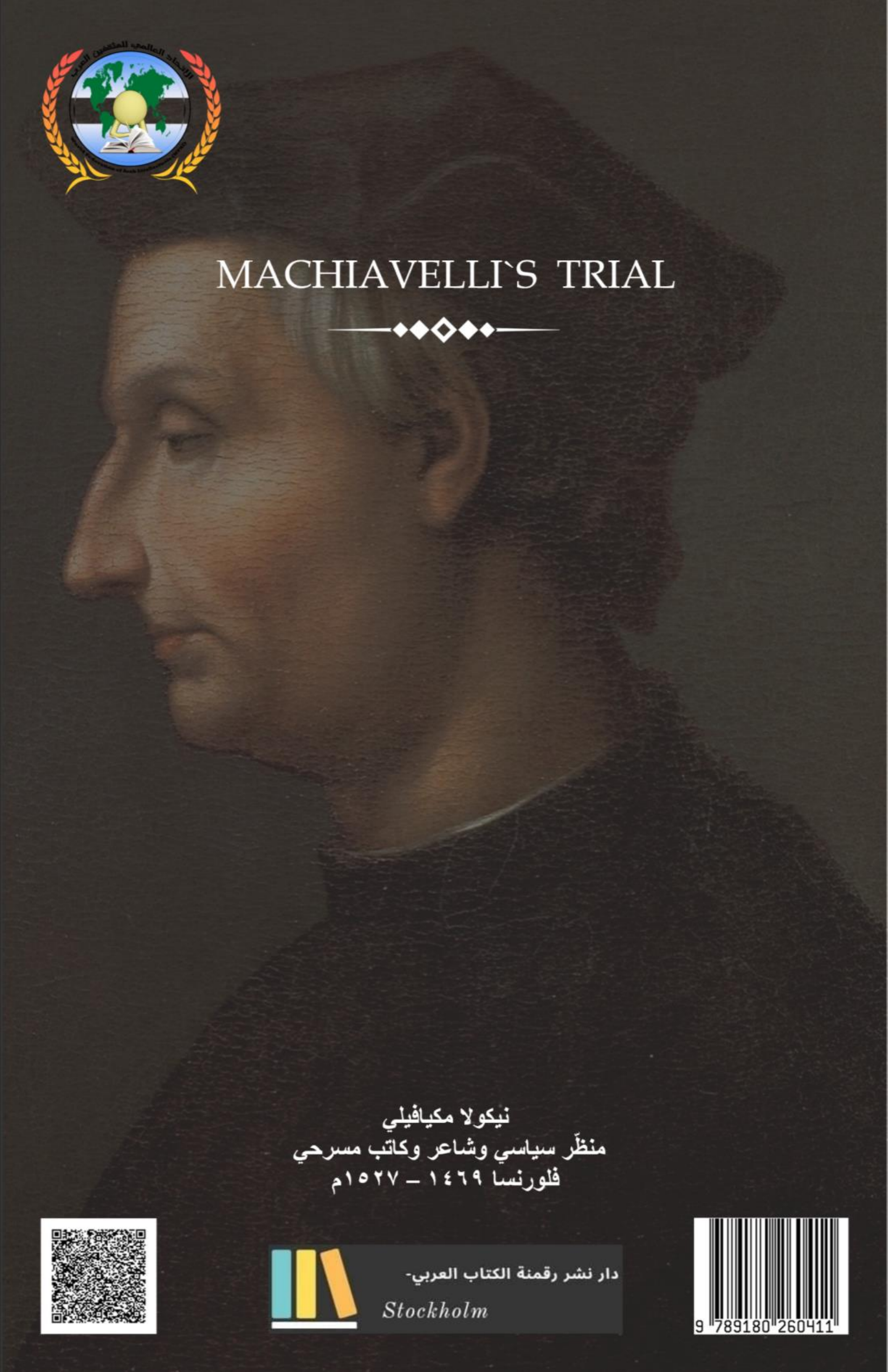

MACHIAVELLI`S TRIAL

نيكولا مكيافيلي
منظّر سياسي وشاعر وكاتب مسرحي
فلورنسا ١٤٦٩ – ١٥٢٧م

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-
Stockholm

9 789180 260411